

(١٢٨٤)

كاف التشبيه

في مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"قلت: وهذا ضعيف يضعفه أنه عليه السلام كان يدخر لأهله قوت سنتهم، اتفق البخاري عليه ومسلم. وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة، وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين. وقد روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين بمكة حين آذاهم المشركون" اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة" قالوا: ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا. فنزلت:" وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم" أي ليس معها رزقها مدخرا. وكذلك أنتم يرزقكم الله في دار الهجرة. وهذا أشبه من القول الأول. وتقدم الكلام في" كأين" وأن هذه أي دخلت عليها **كاف التشبيه** وصار فيها معنى كم. والتقدير عند الخليل وسيبويه كالعدد. أي كشيء كثير من العدد من دابة. قال مجاهد: يعني الطير والبهائم تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئا. الحسن: تأكل لوقتها ولا تدخر لغد. وقيل:" لا تحمل رزقها" أي لا تقدر على رزقها" الله يرزقها" أينما توجهت" وإياكم" وقيل: الحمل بمعنى الحمالة. وحكى النقاش: أن المراد النبي صلى الله عليه وسلم يأكل ولا يدخر. قلت: وليس بشيء، لإطلاق لفظ الدابة، وليس مستعملا في العرف إطلاقها على الآدمي فكيف على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد مضى هذا في" النمل" عند قوله" وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم" قال ابن عباس: الدواب هو كل ما دب من الحيوان، فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفأر. وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في محضنه. ويقال للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها." الله يرزقها وإياكم" يسوي بين الحريص والمتوكل في رزقه، وبين الراغب والقانع، وبين الحيول والعاجز حتى لا يغتر الجلد أنه مرزوق بجلده، ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم:" لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا". لدعائكم وقولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة (العليم) بما في قلوبكم.." [1]

"المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال له: أوصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن «١» في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالدا فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم- يعني أبا بكر- فقل له: إن علي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فأتى الرجل خالدا فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته. قال: ولا نعلم أحدا أجيزت وصيته

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦٠/١٣

بعد موته غير ثابت، رحمه الله، ذكره أبو عمر في الاستيعاب. الثانية- قوله تعالى:" ولا تجهروا له بالقول" أي لا تخاطبوه: يا محمد، ويا أحمد. ولكن: يا نبي الله، ويا رسول الله، توقيرا له. وقيل: كان المنافقون يرفعون أصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم، ليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهي المسلمون عن ذلك. وقيل:" لا تجهروا له" أي لا تجهروا عليه، كما يقال: سقط لفيه، أي على فيه." كجهر بعضكم لبعض" الك اف **كاف التشبيه** في محل النصب، أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض. وفي هذا دليل] على [أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة، أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها." أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون" أي من أجل أن تحبط، أي تبطل، هذا قول البصريين. وقال الكوفيون: أي لئلا تحبط أعمالكم. الثالثة- معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، أي إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد

---

(١). استن الفرس: قمص وعدا إقبالا وإدبارا. والطول والطيل (بالكسر): الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والطرف الآخر، ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه.." (١)

"قوله تعالى: (وكأين من نبي قاتل «١» معه ربيون كثير) قال الزهري: صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد، فانهزم جماعة من المسلمين. قال، كعب بن مالك: فكنت أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيت عينيه من تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ إلي أن اسكت، فأنزل الله عز وجل:" وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا" الآية. و" كأين" بمعنى كم. قال الخليل وسيبويه: هي أي دخلت. عليها **كاف التشبيه** وبنيت معها فصار في الكلام معنى وكم وصورت في المصحف نونا، لأنها كلمة. نقلت عن أصلها فغير لفظها لتغير معناها، ثم كثر استعمالها فتلعبت «٢» بها العرب وتصرفت فيها بالقلب والحذف، فحصل فيها لغات أربع قرئ بها. وقرأ ابن كثير" وكائن" مثل وكاعن، على وزن فاعل، وأصله كي فقلبت الياء ألفا، كما قلبت في ييأس «٣» فقيل ياءس، قال الشاعر:

وكائن بالأباطح من صديق ... يراني لو أصبت هو المصابا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦/٣٠٦

وقال آخر:

وكائن رددنا عنكم من مدجج ... يجيء أمام الركب يردي «٤» مقنعا

وقال آخر:

وكائن في المعاشر «٥» من أناس ... أخوهم فوقهم وهم كرام

وقرأ ابن محيصن" وكين" مهموزا مقصورا مثل وكعن، وهو من كائن حذفت ألفه. وعنه أيضا" وكأين" مثل وكعين وهو مقلوب كي المخفف. وقرأ الباقون" كأين" بالتشديد مثل كعين وهو الأصل، قال الشاعر:

كأين من أناس لم يزالوا ... أخوهم فوقهم وهم كرام

---

(١). قراءة نافع.

(٢). في اوح: فلغت.

(٣). القلب في ذلك على لغة من يقلب حرف العلة الساكن المفتوح ما قبله ألفا، وهى لغة بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وقبائل من اليمن، كما ذكره الواحدي في وسيطه في تفسير قوله تعالى:" إن هذان لساحران".

(٤). يردى: يمشى الرديان (بالتحريك) وهو ضرب من المشي فيه تبختر. والمقنع: الذي تقنع بالسلاح، كالبيضة والمغفر.

(٥). في البحر: المعاسر.." (١)

"الصحابة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعل لكل من أتى بأسير شيئا قال: يبقى أكثر الناس بغير شي. فموضع الكاف في" كما" نصب كما ذكرنا. وقال الفراء أيضا. قال أبو عبيدة: هو قسم، أي والذي أخرجك، فالكاف بمعنى الواو، وما بمعنى الذي. وقال سعيد بن مسعدة: المعنى أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق. قال وقال بعض العلماء" كما أخرجك ربك من بيتك بالحق" فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم. وقال عكرمة: المعنى أطيعوا الله ورسوله كما أخرجك. وقيل:" كما أخرجك" متعلق بقوله" لهم درجات" المعنى: لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم. أي هذا الوعد للمؤمنين حق في الآخرة كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب له، فأنجزك وعدك. وأظفرك بعدوك وأوفى لك، لأنه قال عز وجل:" وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم". فكما أنجز هذا الوعد في

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢٢٨

الدنيا كذا ينجزكم ما وعدكم به في الآخرة. وهذا قول حسن ذكره النحاس واختاره. وقيل: الكاف في "كما" **كاف التشبيه**، ومخرجه على سبيل، المجازاة، كقول القائل لعبده: كما وجهتك إلى أعدائي فاستضعفوك وسألت مددا فأمددتك وقويتك وأزحت علتك، فخذهم الآن فعاقبهم بكذا. وكما كسوتك وأجريت عليك الرزق فاعمل كذا وكذا. وكما أحسنت إليك فاشكرني عليه. فقال: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وغشاكم النعاس أمنة منه- يعني به إياه ومن معه- وأنزل من السماء ماء ليطهركم به، وأنزل عليكم من السماء ملائكة مردفين، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان. كأنه يقول: قد أزحت عللكم، وأمددتكم بالملائكة فاضربوا منهم هذه المواضع، وهو المقتل، لتبلغوا مراد الله في إحقاق الحق وإبطال الباطل. والله أعلم. (وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) أي لكارهون ترك مكة وترك أموالهم وديارهم.

[سورة الأنفال (٨): آية ٦]

يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦)." (١)

"[سورة يوسف (١٢): الآيات ١٠٥ الى ١٠٨]

وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون (١٠٥) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦) أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (١٠٧) قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨)

قوله تعالى: (وكأين من آية في السماوات والأرض) قال الخليل وسيبويه: هي" أي" دخل عليها **كاف التشبيه** وبنيت معها، فصار في الكلام معنى كم، وقد مضى في" آل عمران" «١» القول فيها مستوفى. ومضى القول في آية" السماوات والأرض" في" البقرة" «٢». وقيل: الآيات آثار عقوبات الأمم السالفة، أي هم غافلون معرضون عن تأملها. وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد" والأرض" رفعا ابتداء، وخبره. (يمرون عليها). وقرأ السدي" والأرض" نصبا بإضمار فعل، والوقف على هاتين القراءتين على" السماوات". وقرأ ابن مسعود:" يمشون عليها". قوله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان، قاله الحسن ومجاهد وعامر الشعبي وأكثر المفسرين. وقال عكرمة هو قوله:" ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" «٣» [الزخرف: ٨٧] ثم يصفونه بغير صفته ويجعلون له أندادا، وعن الحسن أيضا: أنهم أهل كتاب معهم شرك وإيمان، آمنوا بالله وكفروا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٦٨/٧

بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلا يصح إيمانهم، حكاه ابن الأنباري. وقال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وعنه أيضا أنهم النصارى. وعنه أيضا أنهم المشبهة، آمنوا مجملا وأشركوا

---

(١). راجع ج ٤ ص ٢٢٨ فما بعد.

(٢). راجع ج ٢ ص ١٩٢ فما بعد.

(٣). راجع ج ١٦ ص ١٢٣.." [١]

"أنشدته نحو العشر، قال: حسبك ثم أعطاني خمسين دينارا فخرجت فوجدت ابن هشام " المصري " جالسا بالباب فأعطيته شطرها.

ابن هشام المصري، (كأين): اسم مركب من **كاف التشبيه** وأي المنونه؛ ولذا جاز الوقف عليها بالنون؛ لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية؛ وكذا رسم في المصحف نونا، ومن وقف حذفه اعتبر حكمه في الأصل، وهو الحذف في الوقف. وتوافق "كأي "، "كم " في خمسة أمور: الإبهام، والافتقار إلى التمييز، والبناء، ولزوم التصدير، وإفادة التكثير تارة وهو الغالب نحو: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير)، والاستفهام أخرى، وهو نادر، ولم يثبته إلا ابن قتيبة، وابن عصفور، "." [٢]

"(وكأين) قال الخليل وسيبويه: هي أي الاستفهامية **وكاف التشبيه** بمعنى كم التكثيرية وهي كناية عن عدد مبهم. و (من نبي) تمييز لها، وفي كأين خمس لغات ذكرها في الجمل واختار الشيخ أن كأين كلمة بسيطة غير مركبة وأن آخرها نون هي من نفس الكلمة لا تنوين لأن هذه الدعاوي لا يقوم عليها دليل. والشيخ سلك في ذلك الطريق الأسهل، والنحويون ذكروا هذه الأشياء محافظة على أصولهم مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد وتشحيذ الذهن وتمرينه، وأطال في الجمل الكلام على كأين من حيث الأفراد والتركيب ليس في ذكره هنا كثير فائدة.

وقرىء (قتل) على البناء للمجهول واختارها أبو حاتم ولها وجهان (أحدهما) أن يكون في قتل الضمير يعود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وحينئذ يكون قوله (معه ربيون) جملة حالية، والثاني أن يكون القتل واقعا على (ربيون) فلا يكون في قتل ضمير، والمعنى قتل بعض أصحابه وهم الربيون، ورجح الزمخشري هذا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٢/٩

(٢) التقييد الكبير للبسيلي، البسيلي ص/٥٧٨

بقراءة قتادة قتل بالتشديد.
وقرىء (قاتل) واختارها أبو عبيد وقال إن الله إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه، وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه من قاتل ولم يقتل، فقاتل أعم وأمدح، ويرجح هذه القراءة الأخرى.." (١)
"كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (٥)
(كما أخرجك ربك) قال الزجاج: أي الأنفال ثابتة لك مثل إخراج ربك، وبه قال المبرد، والمعنى امض لأمرك في الغنائم ونفل من شئت وإن كرهوا لأن بعض الصحابة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعل لكل من أتى بأسير شيئا قال: بقي أكثر الناس بغير شيء، فموضع الكاف نصب، وقال أبو عبيدة: هو قسم أي والذي أخرجك فالكاف بمعنى الواو، وما بمعنى الذي.
وقال الأخفش: المعنى أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك، وقال عكرمة: المعنى أطيعوا الله ورسوله كما أخرجك ربك، وقيل الكاف **كاف التشبيه** على سبيل المجازاة، وقيل بمعنى على أي امض على الذي أخرجك فإنه حق، وقيل بمعنى إذ أي اذكر يا محمد إذ أخرجك.
وقيل هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب، ذكره صاحب الكشاف، وقال السمين فيه عشرون وجها، (الثاني) منها أن تقديره أصلحوا ذات بينكم إصلاحا كما أخرجك، وقد التفت من خطاب الجماعة إلى خطاب الواحد.
(الثالث) تقديره وأطيعوا الله ورسوله طاعة ثابتة محققة كما أخرجك (الرابع) تقديره يتوكلون توكلا حقيقيا كما أخرجك (السادس عشر) منها تقديره قسمتك الغنائم حق كما كان إخراجك حقا (السابع عشر) أن التشبيه وقع بين إخراجين اهـ.
(من بيتك) أي المدينة أو بيتك الذي بها (بالحق) أي إخراجا متلبسا بالحق لا شبهة فيه وقال مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك." (٢)
"(ولو يعجل الله للناس الشر) أي إجابة دعائهم بالشر مما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال، والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته، وقال القفال: لما وصفهم بالغفلة أكد ذلك بأن من غاية غفلتهم أن الرسول متى أنذرهم استعجلوا العذاب، فبين الله سبحانه أنه لا مصلحة في إيصال الشر إليهم فلعلهم يتوبون أو يخرج من أصلابهم من يؤمن.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٤٨/٢
(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣٣/٥

قيل ومعناه لو عجل الله للناس العقوبة (استعجالهم بالخير) أي كما
يستعجلون بالثواب والخير أي استعجالا مثل استعجالهم قال مكي: وهذا مذهب سيبويه أو تعجيلا مثل استعجالهم، وهذا تقدير أبي البقاء وهو الطاهر، وقال الزمخشري: أصله تعجيله لهم بالخير وهو ضعيف جدا، وقيل منصوب على إسقاط **كاف التشبيه** أي كاستعجالهم، والاستعجال طلب العجلة.
(لقضي إليهم أجلهم) أي لأهلكهم، وقيل معناه لأميتوا، قال ابن قتيبة: إن الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة وإعطاء المسؤول." (١)

"(وكأين من آية) قال الخليل وسيبويه إن كأين أصلها (أي) دخل عليها **كاف التشبيه** لكنه انمحى عن الحرفين المعنى الإفرادي وصار المجموع باسم واحد بمعنى كم الخبرية التكثيرية والأكثر إدخال من في مميزة وهو تمييز عن الكاف لا عن أي كما في مثلك رجلا.
والمعنى كم من آية كائنة (في السماوات) من كونها منصوبة بغير عمد مزينة بالكواكب النيرة السيارة والثوابت (والأرض) من جبالها وقفارها وبحارها ونباتها وحيواناتها تدلهم على توحيد الله سبحانه، وأنه الخالق لذلك والرازق له المحيي المميت.
قال الضحاك: كم من آية في السماء، يعني شمسها وقمرها، ونجومها وسحابها، وفي الأرض ما فيها من الخلق والأنهار والجبال والمدائن والقصور." (٢)

"(الذين صبروا) على مشاق التكاليف، وعلى أذية المشركين لهم، والهجرة لإظهار الدين وعلى الطاعة، وعن المعاصي، ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم (وعلى ربهم يتوكلون) أي: يفوضون أمورهم إليه في كل إقدام وإحجام، ثم ذكر سبحانه ما يعين على الصبر والتوكل، وهو النظر في حال الدواب فقال:
(وكأين) قد تقدم الكلام فيها وأنها أي دخلت عليها **كاف التشبيه**، وصار فيها معنى كم كما صرح به الخليل وسيبويه، وتقديرها عندهما كشيء كثير من العدد (من دابة) وقيل: المعنى وكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء (لا تحمل رزقها) أي لا تطيق حمله لضعفها، ولا تدخره لغد، ولا ترفعه معها مثل البهائم والطير.
(الله يرزقها وإياكم) أي إنما يرزقها الله من فضله ويرزقكم، فكيف لا تتوكلون على الله مع قوتكم وقدرتكم على أسباب العيش كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها. قال الحسن: تأكل لوقتها لا تدخر شيئا، وقال

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦/٢٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦/٤٠٩

مجاهد: يعني الطير والبهائم تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئا.
وعن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " أخرجه الترمذي وقال حديث حسن، والمعنى أنها تذهب أول النهار جياعا ضامرة البطون وتروح آخر النهار إلى أوكارها شباعا ممتلئة البطون، ولا تدخر شيئا. قال سفيان بن عيينة: ليس شيء من خلق الله يخبئ إلا الإنسان والفأرة والنملة، سوى سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الحريص والمتوكل في الرزق، وبين الراغب والقانع، وبين الجلد والعاجز يعني أن الجلد لا يتصور." (١)

"جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس﴾ : بدل ، وأصبح ، إذا حمل على ظاهره ، أن الخسف به وبداره كان ليلا ، وهو أفظع العذاب ، إذ الليل مقر الراحة والسكون ، والأمس يحتمل أن يراد به الزمان الماضي ، ويحتمل أن يراد به ما قبل يوم الخسف ، وهو يوم التمني ، ويدل عليه العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في قوله : ﴿فخسفنا﴾ ، فيكون فيه اعتقاب العذاب خروجه في زينته ، وفي ذلك تعجيل العذاب. ومكانه : منزلته في الدنيا من الثروة والحشم والأتباع. و: وي ، عند الخليل وسيبويه : اسم فعل مثل : صه ومه ، ومعناها : أعجب. قال الخليل : وذلك أن القوم ندموا فقالوا : متندمين على ما سلف منهم : وي ، وكل من ندم فأظهر ندامته قال : وي. وكأن : هي **كاف التشبيه** الداخلة على أن ، وكتبت متصلة **بكاف التشبيه** لكثرة الاستعمال ، وأنشد سيبويه :

وي كأن من يكن له نشب بحسبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

والبيت لزيد بن عمرو بن نفيل. وحكى الفراء أن امرأة قالت لزوجها : أين ابنك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت ، وعلى هذا المذهب يكون الوقف على وي. وقال الأخفش : هي ويك ، وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب ، ولا موضع له من الإعراب ، والوقف عليه ويك ، ومنه قول عنترة :

ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمهاقيل الفوارس ويك عنتر اقدم

قال الأخفش : وأن عنده مفتوح بتقدير العلم ، أي أعلم أن الله ، وقال الشاعر :

ألا ويك المضرة لا تدوملا يبقى على البؤس النعيم

وذهب الكسائي ويونس وأبو حاتم وغيرهم إلى أن أصله ويلك ، فحذفت اللام والكاف في موضع جر

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٣/١٠

بالإضافة. فعلى المذهب الأول قيل : تكون الكاف خالية من معنى التشبيه ، كما قيل : ﴿ليس كمثلها شيء﴾ . وعلى المذهب الثاني ، فالمعنى : أعجب لأن الله. وعلى المذهب الثالث تكون ويلك كلمة تحزن ، والمعنى أيضا : لأن الله. وقال أبو زيد وفرقة معه : ويكأن ، حرف واحد بجملته ، وهو بمعنى : ألم تر. وبمعنى : ألم تر ، قال ابن عباس والكسائي وأبو عبيد. وقال الفراء : ويك ، في كلام العرب ، كقوله الرجل : أما ترى إلى صنع الله ؟ وقال ابن قتيبة ، عن بعض أهل العلم أنه قال : معنى ويك : رحمة لك ، بلغة حمير.

ولما صدر منهم تمني حال قارون ، وشاهدوا الخسف ، كان ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا ، وداعيا إلى الرضا بقدر الله ، فتنبهوا لخطئهم فقالوا : وي ، ثم قالوا : ﴿ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشآء من عباده﴾ ، بحسب مشيئته وحكمته ، لا لكرامته عليه ، ويضيق على من يشاء ، لا لهوانه ، بل لحكمته وقضائه ابتلاء. وقرأ الأعمش : لولا من الله ، بحذف أن ، وهي مزادة. وروي عنه : من الله ، برفع النون والإضافة. وقرأ الجمهور : لخسف مبنيا للمفعول ؛ وحفص ، وعصمة ، وأبان عن عاصم ، وابن أبي حماد عن أبي بكر : مبنيا للفاعل ؛ وابن مسعود ، وطلحة ، والأعمش : لا تخسف بنا ، كقولك : انقطع بنا ، كأنه فعل مطاوع ، والمقام مقام الفاعل هو ﴿بنآ﴾ . ويجوز أن يكون المصدر : أي لا نخسف الانخساف ، ومطاوع فعل لا يتعدى إلى مفعول به ، فلذلك

١٣٥

بني إما لبنا وإما للمصدر. وعن ابن مسعود أيضا : لتخسف ، بتاء وشد السين ، مبنيا للمفعول.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٢٧

﴿تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * من جآء بالحسنة فله خير منها ومن جآء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ .

لما كان من قول أهل العلم والإيمان ثواب الله خير ، ذكر محل الثواب ، وهو الدار الآخرة. والمعنى : تلك التي سمعت بذكرها ، وبلغك وصفها. ﴿الدار الاخرة﴾ : أي نعيم الدار الآخرة ، وهي الجنة ، والبقاء فيها سرمدا ، وعلق حصولها على مجرد الإرادة ، فكيف يمن بأشر العلو والفساد ؟ ثم جاء التركيب بلا في قوله : ﴿ولا فسادا ﴾ ، فدل على أن كل واحد من العلو والفساد مقصود ، لا مجموعهما. قال الحسن : العلو : العز والشرف ، إن جر البغي الضحاك ، الظلم والفساد يعم أنواع الشر. وعن علي ، كرم الله وجهه : أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه ، فيدخل تحتها. وعن الفضيل ، أنه

قرأها ثم قال : ذهبت الأماني. وعن عمر بن عبد العزيز : أنه كان يرددها حتى قبض. ﴿فله خير منها﴾ : يحتمل أن يكون خير أفعل التفضيل ، وأن يكون واحد الخيور ، أي فله خير بسبب فعلها ، ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله : ﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ ، تهجينا لحالهم وتبغيضا للسيئة إلى قلوب السامعين ، ففيه بتكراره ما ليس فيه لو كان : فلا يجزون بالصهر ، وما كانوا على حذف مثل ، أي إلا مثل ما كانوا يعملون ، لأن جزاء السيئة سيئة مثلها ، والحسنة بعشر أمثالها.

." (١)

"جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٠

والكلام على قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم آمنوا ، كالكلام على قوله تعالى : ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا ﴾ من حيث عطف هذه الجملة على سبيل الاستئناف ، أو عطفها على صلة من قوله : من يقول ، أو عطفها على يكذبون ، ومن حيث العامل في إذا ، ومن حيث حكم الجملة بعد إذا ، ومن حيث المفعول الذي لم يسم فاعله. واختلف في القائل لهم آمنوا ، فقال ابن عباس : الصحابة ، ولم يعين أحدا منهم ، وقال مقاتل : قوم مخصوصون منهم وهم : سعد بن معاذ ، وأبو لبابة ، وأسيد بن الحضير. ولما نهاهم تعالى عن الإفساد أمرهم بالإيمان لأن الكمال يحصل بترك مالا ينبغي وبفعل ما ينبغي ، وبدىء بالمنهي عنه لأنه الأهم ، ولأن المنهيات عنها هي من باب التروك ، والتروك أسهل في الامتثال من امتثال المأمورات بها. والكاف من قوله : ﴿كمآ ءامن الناس﴾ في موضع نصب ، وأكثر المعربين يجعلون ذلك نعتا لمصدر محذوف التقدير عندهم : آمنوا إيمانا كما آمن الناس ، وكذلك يقولون : في سير عليه شديد ، أو : سرت حثيثا ، إن شديدا وحثيثا نعت لمصدر محذوف التقدير : سير عليه سيرا شديدا ، وسرت

٦٦

سيرا حثيثا. ومذهب سيبويه ، رحمه الله ، أن ذلك ليس بنعت لمصدر محذوف ، وإنما هو منصوب على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم المحذوف بعد الإضمار على طريق الاتساع ، وإنما لم يجز ذلك لأنه يؤدي إلى حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه في غير المواضع التي ذكروها. وتلك المواضع أن تكون الصفة خاصة بجنس الموصوف ، نحو : مررت بكاتب ومهندس ، أو واقعة خبرا ، نحو : زيد قائم ، أو حالا ، نحو : مررت بزيد راكبا ، أو وصفا لظرف ، نحو : جلست قريبا منك ، أو مستعملة استعمال الأسماء ، وهذا يحفظ ولا يقاس عليه ، نحو : الأبطح والأبرق. وإذا خرجت الصفة عن هذه

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر)، /

المواضع لم تكن إلا تابعة للموصوف ، ولا يكتفي عن الموصوف ، ألا ترى أن سيبويه منع : ألا ماء ولو باردا وأن تقدم ما يدل على حذف الموصوف وأجاز : ولو باردا ، لأنه حال ، وتقرير هذا في كتب النحو. وما ، من : كما آمن الناس ، مصدرية التقدير كإيمان الناس ، فينسبك من ما ، والفعل بعدها مصدر مجرور **بكاف التشبيه** التي هي نعت لمصدر محذوف ، أو حال على القولين السابقين ، وإذا كانت ما مصدرية فصلتها جملة فعلية مصدرة بماض متصرف أو مضارع ، وشذ وصلها بليس في قول الشاعر :

بما لستما أهل الخيانة والغدر

ولا توصل بالجملة الإسمية خلافا لقوم ، منهم : أبو الحجاج الأعلم ، مستدلين بقوله :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٠

وجدنا الحمر من شر المطاياكما الحبطات شر بني تميم

وأجاز الزمخشري ، وأبو البقاء في ما من قوله : كما آمن ، أن تكون كافة للكاف عن العمل مثلها في : ربما قام زيد ، وينبغي أن لا تجعل كافة إلا في المكان الذي لا تتقدر فيه مصدرية ، لأن إبقاءها مصدرية مبق للكاف على ما استقر فيها من العمل ، وتكون الكاف إذ ذاك مثل حروف الجر الداخلة على ما المصدرية ، وقد أمكن ذلك في : كما آمن الناس ، فلا ينبغي أن تجعل كافة. والألف واللام في الناس يحتمل أن تكون للجنس ، فكأنه قال : الكاملون في الإنسانية ، أو عبر بالناس عن المؤمنين لأنهم هم الناس في الحقيقة ، ومن عداهم صورته صورة الناس ، وليس من الناس لعدم تمييزه ، كما قال الشاعر :

ليس من الناس ولكنهيحسبه الناس من الناس

(١) ".

"عنه أن العطف بثم يقتضي الاستبعاد ، ولذلك قيل عنه في قوله : ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ . وهذا الاستبعاد لا يستفاد ن العطف بثم ، وإنما يستفاد من مجيء هذه الجمل ووقوعها بعدما تقدم مما لا يقتضي وقوعها ، ولأن صدور هذا الخارق العظيم الخارج عن مقدار البشر ، فيه من الاعتبار والعظات ما يقتضي لين القلوب والإنابة إلى الله تعالى ، والتسليم لأقضيته ، فصدر مهم غير ذلك من غلظ القلوب وعدم انتفاعها ، بما شاهدت ، والتعنت والتكذيب ، حتى نقل أنهم بعدما حيي القتيل ، وأخبر بمن قتله قالوا : كذب. والضمير في قلوبكم ضمير ورثة القتيل ، قاله ابن عباس ، وهم الذين قتلوه ، وأنكروا قتله. وقيل : قلوب بني إسرائيل جميعا قست بمعاصيهم وما ارتكبوه ، قاله أبو العالية وغيره. وكنى بالقسوة عن

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٤٨/١

نبو القلب عن الاعتبار ، وأن المواعظ لا تجول فيها. وأتى بمن في قوله : ﴿منا بعد ذالك﴾ إشعارا بأن القسوة كان ابتداؤها عقيب مشاهدة ذلك الخارق ، ولكن العطف بثم يقتضي المهلة ، فيتدافع معنى ثم ، ومعنى من ، فلا بد من تجوز في أحدهما. والتجوز في ثم أولى ، لأن سجاياهم تقتضي المبادرة إلى المعاصي بحيث يشاهدون الآية العظيمة ، فينحرفون إثرها إلى المعصية عنادا وتكذيبا ، والإشارة بذلك قيل : إلى إحياء القتيل ، وقيل : إلى كلام القتيل ، وقيل : إشارة إلى ما سبق من الآيات من مسخهم قردة وخنازير ، ورفع الجبل ، وانبجاس الماء ، وإحياء القتيل ، قاله الزجاج.

﴿فهى كالحجارة﴾ : يريد في القسوة. وهذه جملة ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم بالحجارة ، إذ الحجر لا يتأثر بموعظة ، ويعني أن قلوبهم صلبة ، لا تخلخلها الخوارق ، كما أن الحجر خلق صلبا. وفي ذلك إشارة إلى أن اعتياص قلوبهم ليس لعارض ، بل خلق ذلك فيها خلقا أوليا ، كما أن صلابة الحجر كذلك. والكاف المفيدة معنى التشبيه : حرف وفاقا لسيبويه وجمهور النحويين ، خلافا لمن ادعى أنها تكون اسما في الكلام ، وهو عن الأخفش. فتعلقه هنا بمحذوف ، التقدير : فهي كائنة كالحجارة ، خلافا لابن عصفور ، إذ زعم أن **كاف التشبيه** لا تتعلق بشيء ، ودلائل ذلك مذكورة في كتب النحو. والألف واللام في الحجارة لتعريف الجنس. وجمعت الحجارة ولم تفرد ، فيقال كالحجر ، فيكون أخضر ، إذ دلالة المفرد على الجنس كدلالة الجمع ، لأنه قوبل الجمع بالجمع ، لأن قلوبهم جمع ، فناسب مقابلته بالجمع ، ولأن قلوبهم متفاوتة في القسوة ، كما أن الحجارة متفاوتة في الصلابة. فلو قيل : كالحجر ، لأفهم ذلك عدم التفاوت ، إذ يتوهم فيه من حيث الإفراد ذلك.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

﴿أو أشد قسوة﴾ ، أو : بمعنى الواو ، أو بمعنى أو للابهام ، أو للإباحة ، أو للشك ، أو للتخيير ، أو للتنويع ، أقوال : وذكر المفسرون مثلا لهذه المعاني ، والأحسن القول الأخير. وكأن قلوبهم على قسمين : قلوب كالحجارة قسوة ، وقلوب أشد قسوة من الحجارة ، فأجمل ذلك في قوله : ﴿ثم قست قلوبكم﴾ ، ثم فصل ونوع إلى مشبه بالحجارة ، وإلى أشد منها ، إذ ما كان أشد ، كان مشاركا في مطلق القسوة ، ثم امتاز بالأشدية. وانتصاب قسوة على التمييز ، وهو من حيث المعنى تقتضيه الكاف ويقتضيه أفعل التفضيل ، لأن كلا منهما ينتصب عنه التمييز. تقول : زيد كعمرو حلما ، وهذا التمييز منتصب بعد أفعل التفضيل ، منقول من المبتدأ ، وهو نقل غريب ، فتؤخر هذا التمييز وتقيم ما كان مضافا إليه مقامه. تقول : زيد أحسن وجها من عمرو ، وتقديره : وجه زيد أحسن من وجه عمرو ، فأخرت وجها وأقمت ما كان مضافا مقامه ،

فارتفع بالابتداء ، كما كان وجه مبتدأ ، ولما تأخر أدى إلى حذف وجه من قولك : من وجه عمرو ، وإقامة عمرو مقامه ، فقلت : من عمرو ، وإنما كان الأصل ذلك ، لأن المتصف بزيادة الحسن حقيقة ليس الرجل إنما هو الوجه ، ونظير هذا : مررت بالرجل الحسن الوجه ، أو الوجه أصل هذا الرفع ، لأن المتصف بالحسن حقيقة ليس هو الرجل إنما هو الوجه ، وإنما أوضحنا هذا ، لأن ذكر مجيء التمييز منقولا من

٢٦٢

". (١)

"وقال بعض هؤلاء : الكاف زائدة. وقال بعضهم : مثل زائدة ، وجعل بعضهم المثل هنا من ضرب الأمثال. وقال : العرب تضرب الأمثال لبيان ما خفي معناه ودق إيضاحه ، لما خفي سر ولادة عيسى من غير أب ، لأنه خالف المعروف ، ضرب الله المثل بآدم الذي استقر في الأذهان. وعلم أنه أوجد من غير أب ولا أم ، كذلك خلق عيسى بلا أب ، ولا بد من مشاركة معنوية بين من ضرب به المثل ، وبين من ضرب له المثل ، من وجه واحد ، أو من وجوه لا يشترط الإشتراك في سائر الصفات. والمعنى الذي وقعت فيه المشاركة بين آدم وعيسى كون كل واحد منهما خلق من غير أب. وقال بعض أهل العلم : المشاركة بين (آدم وعيسى في خمسة عشر وصفا : في التكوين ، و: في الخلق من العناصر التي ركب الله منها الدنيا. وفي العبودية ، وفي النبوة. وفي المحنة : عيسى باليهود ، وآدم بابليس ، وفي : أكلهما الطعام والشراب ، وفي الفقر إلى الله. وفي الصورة ، وفي الرفع إلى بالسماء والإنزال منها إلى الأرض ، وفي الإلهام ، عطس آدم فألهم ، فقال الحمد لله. وألهم عيسى ، حين أخرج من بطن أمة فقال : ﴿إنى عبد الله﴾ وفي العلم ، قال : ﴿وعلم ءادم الاسمآء﴾ وقال : ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة﴾ وفي نفخ الروح فيهما ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾

٤٧٧

وفي الموت ، وفي فقد الأب ، ومعنى : عند الله أي عند من يعرف حقيقة الأمر ، وكيف هو. أي : هكذا هو الأمر فيما غاب عنكم ولم تطلعوا على كنهه.

والعامل في : عند ، العامل في : **كاف التشبيه** ، وهذا التشبيه هو من أحد الطرفين كما تقدم ، وهو الوجود من غير أب وهما نظيران في أن كلا منهما أوجده الله خارجا عما استقروا واستمر في العادة من خلق الإنسان متولدا من ذكر وأنثى ، كما قال تعالى : ﴿رحيم * يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢٢٣/١

والوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من وجود من غير أب ، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه ، وأسر بعض العلماء بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى ؟ قالوا : لأنه لا أب له. قال : فآدم أولى لأنه لا أبوين له. قالوا : كان يحيي الموتى. قال : فخرقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر ، وأحيا حزقيل ثمانية آلاف. فقالوا : كان يبريء الأكمه والأبرص. قال : فجر جيس أولى لأنه طحن وأحرق ، ثم قام سالما. إنتهى.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٠

وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عين قتادة بعد ما قلعت ، ورد الله نورها ، وصح أن أعمى دعا له فرد الله له بصره.

وفي حديث الشاب الذي أتي به ليتعلم من سحر الساحر ، فترك الساحر ودخل في دين عيسى وتعبد به ، فصار يبرىء الأكمه والأبرص ، وفيه انه دعا لجليس الملك وابن عمه ، وكان أعمى ، فرد الله عليه بصره. ﴿خلقه من تراب﴾ هي من تسمية الشيى باسم أصله. كقوله ﴿وهو يحاورها أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة﴾ كان ترابا ثم صار طينا وخلق منه آدم. كما قال : ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ وقال تعالى : ﴿إنى خالقا بشرا من طين﴾ وقال : ﴿قال ءأسجد لمن خلقت طينا﴾ .

والضمير المنصوب في : خلقه ، عائد على آدم ، وهذه الجملة تفسيرية لمثل آدم ، فلا موضع لها من الإعراب. وقيل : هي في موضع الحال ، وقدر مع خلقه مقدرة ، والعامل فيها معنى التشبيه. قال ابن عطية : ولا يجوز أن يكون خلقه صفة لآدم ولا حالا منه. قال الزجاج : إذ الماضي لا يكون حالا أنت فيها ، بل هو كلام مقطوع منه مضمنه تفسير المثل. إنتهى كلامه. وفيه نظر ، والمعنى : قدره جسدا من طين ﴿ثم قال له كن﴾ أي أنشأه بشرا ، قاله الزمشخري ، وسبقه إلى معناه أبو مسلم. قلنا : ولو كان الخلق بمعنى الإنشاء. لا بمعنى التقدير ، لم يأت بقوله : ﴿ثم قال له كن﴾ لأن ما خلق لا يقال له : كن ، ولا ينشأ إلا إن كان معنى ﴿ثم قال له كن﴾ عبارة عن نفخ الروح فيه ، وقاله عبد الجبار. فيمكن أن يكون خلقه بمعنى أنشأه لا بمعنى قدره. قيل : أو يكون : كن ، عبارة عن كونه لحما ودما ، وقوله : فيكون ، حكاية حال ماضية ولا قول هناك حقيقة ، وإنما ذلك على سبيل التمثيل ، وكناية عن سرعة الخلق والتمكن من ايجاد ما يريد تعالى إيجاده ، إذ المعدوم لا يمكن أن يؤمر.

و : ثم ، قيل لترتيب الخبر ، لأن قوله : كن ، لم يتأخر عن خلقه ، وإنما هو في المعنى تفسير للخلق ، ويجوز أن يكون للترتيب الزماني أي : أنشأه أولا من طين ، ثم بعد زمان أوجد فيه الروح أي صيره لحما

ودما على من قال ذلك.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٠
." (١)

"﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤتها منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤتها منها ﴾ هذا تعريض بالذين رغبوا في الغنائم يوم أحد واشتغلوا بها ، والذين ثبتوا على القتال فيه ولم يشغلهم شيء عن نصرة الدين ، وهذا الجزاء من إيتاء الله من أراد ثواب الدنيا مشروط بمشيئة الله تعالى ، كما جاء في الآية الأخرى : ﴿عجلنا له فيها ما نشآء لمن نريد﴾ .
وقوله : "نؤته بالنون فيهما" وفي : سنجزي قراءة الجمهور وهو التفات ، إذ هو خروج من غيبة إلى تكلم بنون العظمة. وقرأ الأعمش : يؤته بالياء فيهما وفي سيجزي ، وهو جار على ما سبق من الغيبة. قال ابن عطية : وذلك على حذف الفاعل لدلالة الكلام عليه انتهى. وهو وهم ، وصوابه : على إضمار الفاعل ، والضمير عائد على الله. وظاهر التقسيم يقتضي اختصاص كل واحد بما أراد ، لأن من كانت نيته مقصورة على طلب دنياه لا نصيب له في الآخرة ، لكن من كانت نيته مقصورة على طلب الآخرة قد يؤتى نصيبا من الدنيا.
وللمفسرين فيها أقوال : نؤته نصيبا من الغنيمة لجهاده الكفار ، أو لم نحرمه ما قسمناه له إذ من طلب الدنيا بعمل الآخرة نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب. أو هي خاصة في أصحاب أحد أو من أراد ثواب الدنيا بالتعرض لها بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزي عليها في الدنيا والآخرة.
﴿وسنجزى الشاكرين﴾ وعد لمن شكر نعم الله فقصر همه ونيته على طلب ثواب الآخرة. قال ابن فورك : وفيه
٧٠
إشارة إلى أنهم ينعمهم الله بنعيم الدنيا ، ولا يقصرهم على نعيم الآخرة. وأظهر الحرميان ، وعاصم ، وابن عامر في بعض طرق من رواية هشام ، وابن ذكوان دال يرد عند ثواب ، وأدغم في الوصل. وقرأ قالون والحلواني عن هشام من طريق : باختلاس الحركة ، وقرأ الباقون بالإشباع. وأما في الوقف فبالسكون للجميع. ووجه الإسكان أن الهاء لما وقعت موقع المحذوف الذي كان حقه لو لم يكن حرف علة أن يسكن ، فأعطيت الهاء ما تستحقه من السكون. ووجه الاختلاس بأنه استصحب ما كان للهاء قبل أن تحذف الياء

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٣٦٤/٢

، لأنه قبل الحذف كان أصله يؤتيه والحذف عارض فلا يعتد به. ووجه الإشباع بأنه جاز نظر إلى اللفظ وإن كانت الهاء متصلة بحركة والأولى ترك هذه التوجيهات. فإن اختلاس الضمة والكسرة بعد متحرك لغة حكاها الكسائي عن بني عقيل وبني كلاب. قال الكسائي : سمعت أعراب كلاب وعقيل يقولون : ﴿إن الانسان لربها لكنود﴾ ولربه لكنود بغير تمام وله مال ، وله مال. وغير بني كلاب وبني عقيل لا يوجد في كلامهم اختلاس ، ولا سكون في له وشبهه إلا في ضرورة نحو قول الشاعر :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦٤

له رجل كأنه صوت حادإذا طلب الوسيقة أو زمير

وقول الآخر :

واشرب الماء ما بي نحوه عطشإلا لأن عيونه سيل واديها

﴿وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لمآ أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ﴾

٧١

لما كان من المؤمنين ما كان يوم أحد وعتب عليهم الله ما حذر منهم في الآيات التي تقدمت ، أخبرهم بأن الأمم السالفة قتلت أنبياء لهم كثيرون أو قتل ربيون كثير معهم ، فلم يلحقهم ما لحقكم من الوهن والضعف ، ولا ثناهم عن القتال فجعهم بقتل أنبيائهم ، أو قتل ربيبهم ، بل مضوا قدما في نصرة دينهم صابرين على ما حل بهم. وقتل نبي أو أتباعه من أعظم المصاب ، فكذلك كان ينبغي لكم التأسي بمن مضى من صالحي الأمم السابقة ، هذا وأنتم خير الأمم ، ونبيكم خير الأنبياء. وفي هذه الجملة من العتب لمن فر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقرأ الجمهور وكأين قالوا : وهي أصل الكلمة ، إذ هي أي دخل عليها **كاف التشبيه** ، وكتبت بنون في المصحف ، ووقف عليها أبو عمرو. وسورة بن المبارك عن الكسائي بياء دون نون ، ووقف الجمهور على النون اتباعا للرسم. واعتل لذلك أبو علي الفارسي بما يوقف عليه في كلامه وذلك على عادة المعللين ، ومما جاء على هذه اللغة قول الشاعر :

وكائن في المعاسر من أناسأخوهم فوقهم وهم كرام

وقرأ ابن كثير : وكائن وهي أكثر استعمالا في لسان العرب وأشعارها. قال : .

وكائن رددنا عنكم من مدجج

وقرأ ابن محيصين والأشهب العقيلي : وكأين على مثال كعين. وقرأ بعض القراء من الشواذ كيئن ، وهو

مقلوب قراءة ابن محيصين. وقرأ ابن محيصين أيضا فيما حكاه الداني كان على مثال كع وقال الشاعر :
كان صديق خلته صادق الأخاأبان اختباري أنه لي مداهن
وقرأ الحسن كي بكاف بعدها ياء مكسورة منونة. وقد طول المفسرون ابن عطية وغيره بتعليل هذه التصرفات في كأين ، وبما عمل في كأين ، فلذلك أضربنا عن ذكره صفحا.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦٤
." (١)

"وقرأ الحرميان وأبو عمرو قتل مبنيا للمفعول ، وقتادة كذلك ، إلا أنه شدد التاء ، وباقي السبعة قاتل بألف فعلا ماضيا. وعلى كل من هذه القرآت يصلح أن يسند الفعل إلى الضمير ، فيكون صاحب الضمير هو الذي قتل أو قتل على معنى التكثير بالنسة لكثرة الأشخاص ، لا بالنسبة لفرد فرد. إذ القتل لا يتكثر في كل فرد فرد. أو هو قاتل ويكون قوله : معه ربيون محتملا أن تكون جملة في موضع الحال ، فيرتفع ربيون بالابتداء ، والظرف قبله خبره ، ولم يحتج إلى الواو لأجل الضمير في معه العائد على ذي الحال ، ومحتملا أن يرتفع ربيون على الفاعلية بالظرف ، ويكون الظرف هو الواقع حالا التقدير : كائنا معه ربيون ، وهذا هو الأحسن. لأن وقوع الحال مفردا أحسن من وقوعه جملة. وقد اعتمد الظرف لكونه وقع حالا فيعمل وهي حال محكية ، فلذلك ارتفع ربيون بالظرف. وإن كان العامل ماضيا لأنه حكى الحال كقوله تعالى : ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ وذلك على مذهب البصريين. وأما الكسائي وهشام فإنه يجوز عندهما إعمال اسم الفاعل الماضي غير المعرف بالألف واللام من غير تأويل ، بكونه حكاية حال ، ويصلح أن يسند الفعل إلى ربيون فلا يكون فيه ضمير ، ويكون الربيون هم الذين قتلوا أو قتلوا أو قاتلوا ، وموضع كأين رفع على الابتداء. والظاهر أن خبره بالجملة من قوله : قتل أو قتل أو قاتل ، سواء أرفع الفعل الضمير ، أم الربيين. وجوزوا أن يكون قتل إذا رفع الضمير في موضع الصفة ومعه ربيون في موضع الخبر كما تقول : كم من رجل صالح معه مال. أو في موضع الصفة فيكون قد وصف بكونه مقتولا ، أو مقتلا ، أو مقاتلا ، وبكونه معه ربيون كثير. ويكون خبر كأين قد حذف تقديره : في الدنيا أو مضى. وهذا ضعيف ، لأن الكلام مستقل بنفسه لا يحتاج إلى تكلف إضمار. وأما إذا رفع الظاهر فجوزوا أن تكون الجملة الفعلية من قتل ومتعلقاتها في موضع الصفة لنبي ، والخبر محذوف. وهذا كما قلنا
٧٢

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٥٦/٣

ضعيف. ولما ذكروا أن أصل كأين هو أي دخلت عليها **كاف التشبيه** فجرتها ، فهي عاملة فيها ، كما دخلت على ذا في قولهم : له عندي كذا. وكما دخلت على أن في قولهم : كأن ادعى أكثرهم إن كأن ، بقيت فيها الكاف على معنى التشبيه. وإن كذا ، وكأن ، زال عنهما معنى التشبيه. فعلى هذا لا تتعلق الكاف بشيء ، وصار معنى كأين معنى كم ، فلا تدل على التشبيه ألبتة. وقال الحوفي : أما العامل في الكاف فإن حملناها على حكم الأصل فمحمول على المعنى ، والمعنى : إصابتكم كإصابة من تقدم من الأنبياء وأصحابهم. وإن حملنا الحكم على الانتقال إلى معنى كم ، كان العامل بتقدير الابتداء ، وكانت في موضع رفع وقتل الخبر. ومن متعلقة بمعنى الاستقرار ، والتقدير الأول أوضح لحمل الكلام على اللفظ دون المعنى بما يجب من الخفض في أي. وإذا كانت أي على بابها م ن معاملة اللفظ ، فمن متعلقة بما تعلقت به الكاف من المعنى المدلول عليه انتهى كلامه. وهو كلام فيه غرابة. وجرهم إلى التخليط في هذه الكلمة ادعاؤهم بأنها مركبة من : **كاف التشبيه** ، وإن أصلها أي : فجرت **بكاف التشبيه**. وهي دعوى لا يقوم على صحتها دليل. وقد ذكرنا رأينا فيها أنها بسيطة مبنية على السكون ، والنون من أصل الكلمة وليس بتنوين ، وحملت في البناء على نظيرتها كم. وإلى أن الفعل مسند إلى الضمير.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦٤

". (١)

"سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٣

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤

كم اسم بسيط لا مركب من **كاف التشبيه** وما الاستفهامية حذف ألفها لدخول حرف الجر عليها وسكنت كما قالوا لم تركيبا لا ينفك كما ركبت في كأين مع أي وتأتي استفهامية وخبرية وكثيرا ما جاءت الخبرية في القرآن ولم يأت تمييزها في القرآن إلا مجرورا بمن وأحكامها في نوعيها مذكورة في كتب النحو. القيلولة نوم نصف النهار وهي القائلة قاله الليث ، وقال الأزهري الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر ولم يكن نوم ، وقال الفراء : قال : يقيل قيلولة وقيلا وقائلة ومقيلا استراح وسط النهار. العيش الحياة عاش يعيش عيشا ومعاشا وعيشة ومعيشة ومعيشا. قال رؤبة :

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٥٧/٣

إليك أشكو شدة المعيشوجهد أيام نتفن ريشي
غوى يغوي غيا وغواية فسد عليه أمره وفسد هو في نفسه ومنه غوى الفصيل أكثر من شرب لبن أمه حتى فسد جوفه وأشرف على الهلاك ، وقيل أصله الهلاك ومنه ﴿فسوف يلقون غيا﴾ .
الشمائل
٢٦٤
جمع وهو جمع تكسير وجمعه في القلة على أشمل قال الشاعر :
يأتي لها من أيمن وأشمل
وشمال يطلق على اليد اليسرى وعلى ناحيتها ، والشمائل أيضا جمع شمال وهي الريح والشمائل أيضا الأخلاق يقال هو حسن الشمائل. ذأمه عابه يذأمه ذأما بسكون الهمزة ويجوز إبدالها ألفا قال الشاعر :
صحبتك إذ عيني عليها غشاوةفلما انجلت قطعت نفسي أذيمها
وفي المثل لن يعدم الحسناء ذأما. وقيل : أردت أن تديمه فمدحته ، وقال الليث ذأمته حقرته ، وقال ابن قتيبة وابن الأنباري : ذأمه وذمه ، دحره أبعده وأقصاه دحورا قال الشاعر :
دحرت بني الحصيب إلى قديدوقد كانوا ذوي أشر وفخر
وسوس تكلم كلاما خفيا يكرره والوسواس صوت الحلي شبه الهمس به وهو فعل لا يتعدى إلى منصوب نحو ولولت ووعوع. قال ابن الأعرابي : رجل موسوس ، بكسر الواو ، ولا يقال : موسوس بفتحها. وقال غيره : يقال موسوس له وموسوس إليه. وقال رؤبة يصف صيادا :
وسوس يدعو مخلصا رب الفلقلما دنا الصيد دنا من الوهق
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤
يقول لما أحس بالصيد وأراد رميه وسوس في نفسه أيخطىء أم يصيب. قال الأزهري : وسوس وورور معناهما واحد ، نصح بذل المجهود في تبيين الخير وهو ضد غش ويتعدى بنفسه وباللام نصحت زيدا ونصحت لزيد ويبعد أن يكون يتعدى لواحد بنفسه ولآخر بحرف الجر وأصله نصحت لزيد ، من قولهم نصحت لزيد الثوب بمعنى خطته خلافا لمن ذهب إلى ذلك. ذاق الشيء يذوقه ذوقا مسه بلسانه أو بفمه ويطلق على الأكل. طفق ، بكسر الفاء وفتحها ، ويقال : طبق بالباء وهي بمعنى أخذ من أفعال المقاربة. خصف الفعل وضع جلدا على جلد وجمع بينهما بسير والخصف الخرز. الريش معروف وهو للطائر ويستعمل في معان يأتي ذكرها في تفسير المركبات واشتقوا منه قالوا راشه يريشه ، وقيل الريش مصدر راش.

النزع الإزالة والجذب بقوة ﴿الاماصا *كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر بها وذكرى للمؤمنين﴾ هذه السورة مكية كلها قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد والضحاك وغيرهم ، وقال مقاتل إلا قوله ﴿وسالهم عن القرية﴾ إلى قوله : ﴿من ظهورهم﴾ فإن ذلك مدني وروي هذا أيضا عن ابن عباس.

٢٦٥

وقيل إلى قوله : ﴿المصلحين * وإذ نتقنا﴾ واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله ﴿وهاذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ واستطرد منه لما بعده وإلى قوله آخر السورة ﴿وهو الذى جعلكم خلئاف الارض﴾ وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم وذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعية ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الإلهي وذكر الأمر باتب ،عه كما أمر في قوله ﴿وهاذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة أوائل السورة في أول البقرة وذكر ما حدسه الناس فيها ولم يقم دليل على شيء من تفسيرهم يعين ما قالوا وزادوا هنا لأجل الصاد أن معناه أنا الله أعلم وأفصل رواه أبو الضحى عن ابن عباس أو المصور قاله السدي : أو الله الملك النصير قاله بعضهم أو أنا الله المصير إلي ، حكاه الماوردي أو المصير كتاب فحذف الياء والراء ترخيما وعبر عن المصير بالمص قاله التبريزي. وقيل عنه : أنا الله الصادق. وقيل معناه

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤." (١)

"﴿وما كنت بجانب الغربى إذ قضينآ إلى موسى الامر﴾ . فقوله : وما كنت ، هنا تهكم بهم ، لأنه قد علم كل أحد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم. وأجمعوا أمرهم أي : عزموا على إلقاء يوسف في الجب ، وهم

٣٥٠

يمكرون جملة حالية. والمكر : أن يدبر على الإنسان تدبيرا يضره ويؤذيه والناس ، الظاهر العموم لقوله : ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. وعن ابن عباس : أنهم أهل مكة. ولو حرصت : ولو بالغت في طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر. وجواب لو محذوف أي : ولو حرصت لم يؤمنوا ، إنما يؤمن من يشاء الله إيمانه. والضمير في عليه عائد على دين الله أي : ما تبتغي عليه أجرا على دين الله ، وقيل : على القرآن ، وقيل : على التبليغ ، وقيل : على الأنباء بمعنى القول. وفيه توبيخ للكفرة ، وإقامة

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢١٥/٤

الحجة عليهم. أو وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى ، كما يعطي جملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا موعظة وذكر من الله للعالمين عامة ، وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ا وقرأ بشر بن عبيد : وما نسألهم بالنون. ثم أخبر تعالى أنهم لفرط كفرهم يمرون على الآيات التي تكون سببا للإيمان ولا تؤثر فيهم ، وأن تلك الآيات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي وتقدم قراءة ابن كثير وكأين. قال ابن عطية وهو اسم فاعل من كان فهو كائن ومعناها معنى كم في التكثير انتهى. وهذا شيء يروي عن يونس ، وهو قول مرجوح في النحو. والمشهور عندهم أنه مركب من **كاف التشبيه** ومن أي ، وتلاعبت العرب به فجاءت به لغات. وذكر صاحب اللوامح أن الحسن قرأ وكي بياء مكسورة من غير هم ولا ألف ولا تشديد ، وجاء كذلك عن ابن محيصن ، فهي لغة انتهى. من آية علامة على توحيد الله وصفاته ، وصدق ما جيء به عنه. وقرأ عكرمة وعمرو بن قائد : والأرض بالرفع على الابتداء ، وما بعده خبر. ومعنى يمرون عليها فيشاهدون ما فيها من الآيات. وقرأ السدي : والأرض بالنصب ، وهو من باب الاشتغال أي : ويطوون الأرض يمرون عليها على آياتها ، وما أودع فيها من الدلالات. والضمير في عليها وعنها في هاتين القراءتين يعود على الأرض ، وفي قراءة الجمهور وهي بجر الأرض ، يعود الضمير على آية أي : يمرون على تلك الآيات ويشاهدون تلك الدلالات ، ومع ذلك لا يعتبرون. وقرأ عبد الله : والأرض برفع الضاد ، ومكان يمرون يمشون ، والمراد : ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر. وهم مشركون جملة حالية أي : إيمانهم ملتبس بالشرك. وقال ابن عباس : هم أهل الكتاب ، أشركوا بالله من حيث كفروا بنبيه ، أو من حيث ما قالوا في عزير والمسيح. وقال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : هم كفار العرب أقروا بالخالق الرازق المحيي المميت ، وكفروا بعبادة الأوثان والأصنام. وقال ابن عباس : هم الذين يشبهون الله بحلقه. وقيل : هم أهل مكة قالوا : لله ربنا لا شريك له ، والملائكة بناته ، فأشركوا ولم يوحدوا. وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة أيضا ذلك في تلبيتهم يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع أحدهم يقول : لبيك لا شريك لك يقول له : "قط قط" أي قف هنا ولا تزد إلا شريك هولك وقيل : هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة. وقال عطاء : هذا في الدعاء ينسى الكفار ربهم في الرخاء ، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء. وقيل : هم المنافقون ، جهروا بالإيمان وأخفوا الكفر. وقيل : على بعض اليهود عبدوا عزيرا ، والنصارى عبدوا الكواكب. وقيل : قريش لما غشيهم الدخان في سني القحط قالوا : إنا مؤمنون ، ثم عادوا

إلى الشرك بعد كشفه. وقيل : جميع الخلق مؤمنهم بالرسول وكافرهم ، فالكفار تقدم شركهم ، والمؤمنون فيهم الشرك الخفي ، وأقربهم إلى الكفر المشبهة. ولذلك قال ابن عباس : آمنوا محملا ، وكفروا مفصلا. وثانيها من يطيع الخلق بمعصية الخالق ، وثالثها من يقول : نفعني فلان وضرني فلان.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٥٠

أفأمنوا : استفهام إنكار فيه توبيخ وتهديد ، غاشية نقمة تغشاهم أي ، تغظيهم كقوله : ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ وقال الضحاك : يعني الصواعق والقوارع انتهى. وإتيان الغاشية يعني في

٢٥١

الدنيا ، وذلك لمقابلته بقوله أو تأتيهم الساعة أي يوم القيامة ، بغتة أي : فجأة في الزمان من حيث لا يتوقع ، وهم لا يشعرون تأكيد لقوله بغتة. قال الكرماني : لا يشعرون بإتيانها أي : وهم غيره مستعدين لها. قال ابن عباس : تأخذهم الصيحة على أسواقهم ومواضعهم. وقرأ أبو حفص ، وبشر بن عبيد : أو يأتيهم الساعة.

". (١)

"وهذه اللغة هي أصل هذه اللفظة لأنها **كاف التشبيه** دخلت على أي كما دخلت على ذا في قولك لفلان كذا وكذا وكما دخلت على أن في قولك كأن زيدا أسد لكن بقي لها معنى التشبيه في كأن وزال عنها ذلك في كذا وكذا وفي " كأين " وصرفت العرب " كأين " في معنى كم التي هي للتكثير وكثر استعمالهم للفظة حتى لعب فيها لسان العرب على اللغات الأربع التي ذكرت وهذا كما لعب في قولهم لعمري حتى قالوا وعملي وكما قالوا أطيب وأيطب وكما قالوا طبيخ في بطيخ فعوملت الكاف وأي معاملة ما هو شيء واحد فأما اعتلال لغة من قال كأين على وزن فاعل فإنهم أخذوا الأصل الذي هو كاين فقلبوا الياء قبل الهمزة ونقلت حركة كل واحد منهما إلى أختها فجاء كيا على وزن كيع فحذفوا الياء الثانية المفتوحة تخفيفا كما حذفوا الياء من ميت وهين ولين فقالوا ميت وهين ولين وكما حذفوا الياء الثانية من أي تخفيفا ومنه قول الفرزدق بن غالب التميمي

(تنظرت نصرا والسماكين أيهما

علي من الغيث استهلت مواطره)

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، ٢٨٧/٥

فجاء كيا على وزن كيع فأبدلت هذه الياء الساكنة ألفا مراعاة للفتحة التي قبلها كما قالوا في يوجل يأجل وكما أبدلوا الياء ألفا في طاى وكما أبدلت في آية عند سيبويه إذ أصلها عنده أية على وزن فعلة بسكون العين فجاء كاء ثم كتب هذا التنوين نونا في المصحف فأما قياس اللغة فحذفه في الوقف فكما يقولون مررت بزيد فكذلك يقولون كأي ووقف عليه أبو عمرو بياء دون نون وكذلك روى سورة بن المبارك عن الكسائي ووقف سائر القراء بإثبات النون مراعاة لخط المصحف قال أبو علي ولو قيل إنه لما تصرف في الكلمة بالقلب صارت بمنزلة النون التي من نفس الكلمة وصارت بمنزلة لام فاعل فأقرت في الوقف لكان قولا ويقوي ذلك أنهم لما حذفوا الكلام من قولهم أما لا جعلوها بالحذف ككلمة واحدة فأجازوا الإمالة في ألف لا كما تجوز في التي من نفس الكلمة في الأسماء والأفعال فيوقف على كأين بالنون ولا يتوقف على

النون إذا لم تقلب كما لا تميل الألف من لا إذا لم يحذف فعلها

." (١)

"هاتان الآيتان تدلان أن الآية التي قبلهما فيها تعريض لقريش ومعاصري محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال فإخبارك بالغيوب دليل قائم على نبوتك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وإن كنت أنت حريضا على إيمانهم أي يؤمن من شاء الله .

وقوله " ولو حرصت " اعتراض فصيح .

وقوله " وما تسألهم " الآية توبيخ للكفرة وإقامة الحجة عليهم أي ما أسفههم في أن تدعوهم إلى الله دون أن تبغي منهم أجرا فيقول قائل

بسبب الأجر يدعوهم .

٢٨٥

وقرأ مبشر بن عبيد وما نسألهم بالنون .

ثم ابتدأ الله تعالى الإخبار عن كتابه العزيز أنه ذكر وموعظة لجميع العالم نفعنا الله به ووفر حظنا منه بعزته .

وقرأت الجماعة وكأين بهمز الألف وشد الياء قال سيبويه هي **كاف التشبيه** اتصلت بأي ومعناها معنى كم في التكثير .

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١/٥٤٧

وقرأ ابن كثير وكائن بمد الألف وهمز الياء وهو من اسم الفاعل من كان فهو كائن ولكن معناه معنى كم أيضا .

وقد تقدم استيعاب القراءات في هذه الكلمة في قوله " وكأين من نبي قتل " .

وال " آية " هنا المخلوقات المنصوبة للاعتبار والحوادث الدالة على الله سبحانه في مصنوعاته ومعنى " يمرون عليها " الآية أي إذا جاء منها ما يحس أو يعلم في الجملة لم يتعظ الكافر به ولا تأمله ولا اعتبر به بحسب شهواته وعمهه فهو لذلك كالمعرض ونحو هذا المعنى قول الشاعر

(تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا

ويصدع قلبي أن يهب هبوبها) " الطويل "

وقرأ السدي والأرض بالنصب بإضمار فعل الوقف على هذا في " السماوات " وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد والأرض بالرفع على الإبتداء والخبر قوله " يمرون " وعلى القراءة بخفض الأرض ف " يمرون " نعت الآية .

وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها .

وقوله " وما يؤمن أكثرهم " الآية قال ابن عباس هي في أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله ثم يشركون من حيث كفروا بنبيه أو من حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله .

وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد هي في كفار العرب وإيمانهم هو إقرارهم بالخالق والرازق والمميت فسماه إيمانا وإن أعقبه إشراكهم بالأوثان والأصنام فهذا الإيمان لغوي فقط من حيث هو تصديقها .

وقيل هذه الآية نزلت بسبب قول قريش في الطواف والتلبية لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك .

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع أحدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط أي قف هنا ولا تزد إلا شريك هو لك .

وال " غاشية "

". (١)

"" كأين " هي **كاف التشبيه** دخلت على أي قال سيبويه وقد أوعبت القول في هذه اللفظة وقراءتها في سورة آل عمران في قوله " وكأين من نبي قاتل " وهي لفظة إخبار وقد تجيء استفهاما وحكى الفراء

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، ٣/٢٩١

كأين ما لك وقرأت فرقة أهلكناها وقرأت فرقة أهلكتها بالإفراد والمراد أهل القرية و " ظالمة " معناه بالكفر " وخاوية "
معناه خالية ومنه خوى النجم إذا خلا من النور ونحوه ساقطة " على عروشها " والعروش السقوف والمعنى أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها فهي
١٢٧
على العروش " وبئر " قيل هو معطوف على العروش وقيل على القرية وهو أصوب وقرأت فرقة وبيئر بهمزة وسهلها الجمهور وقرأت فرقة معطلة بفتح الميم وسكون العين وفتح الطاء وتخفيفها والجمهور على معطلة بضم الميم وفتح العين وشد الطاء والمشيد المبني بالشيد وهو الجص وقيل المشيد المعلى بالأجر ونحو فمن الشيد قول عدي بن زيد
(شاده مرمرا وجلله كلسا
فللطير في ذراه وكور)
شاد بنى بالشيد والأظهر في البيت أنه أراد علاه بالمرمر وقالت فرقة في هذه الآية إن " مشيد " معناه معلى محصنا وجملة معنى الآية تقتضي أنه كان كذلك قبل خرابه ثم وبخهم على الغفلة وترك الاعتبار بقوله " أفلم يسيروا في الأرض " أي في البلاد فينظروا في أحوال الأمم المكذبة المعذبة وهذه الآية تقتضي أن العقل في القلب وذلك هو الحق ولا ينكر أن للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ " فتكون " نصب بالفاء في جواب الاستفهام صرف الفعل من الجزم إلى النصب وقوله " فإنها لا تعمى الأبصار " لفظ مبالغة كأنه قال ليس العمى عمى العين وإنما العمى حق العمى عمى القلب ومعلوم أن الأبصار تعمى ولكن المقصد ما ذكرناه وهذا كقوله عليه السلام ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف والضمير في " فإنها " للقصة ونحوها من التقدير وقوله " التي في الصدور " مبالغة كقوله " يقولون بأفواههم "كما تقول نظرت إليه بعيني ونحو هذا والضمير في " يستعجلونك " لقريش وقوله " ولن يخلف الله وعده " وعد ووعيد وإخبار بأن كل شيء إلى وقت محدود و الوعد هنا مقيد بالعذاب فلذلك ورد في مكروه وقوله " وإن يوما عند ربك كألف سنة " قالت فرقة معناه " وإن يوما " من ايام عذاب الله "كألف سنة " مما تعدون من هذه لطول العذاب وبؤسه فكأن المعنى فما أجهل من يستعجل هذا وقالت فرقة معناه " وإن يوما " عند الله لإحاطته فيه وعلمه وإنفاذه قدرته "كألف سنة " عندكم ع وهذا التأويل يقتضي أن

عشرة

." (١)

"قال السدي المعنى نحن حفظتكم في الدنيا واولياؤكم في الآخرة والضمير في قوله " فيها " عائد على الاخرة و " تدعون " معناه تطلبون و " نزلا " نصب على المصدر

وقراءة الجمهور بضم الواو وقرأ أبو حيوة بإسكانها

وقوله تعالى " ومن احسن قولا " الآية ابتداء توصية محمد عليه السلام وهو

لفظ يعم كل من دعا قديما وحديثا الى الله تعالى والى طاعته من الأنبياء والمؤمنين والمعنى لا احد احسن قولا ممن هذه حاله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة وبين ان حالة محمد عليه السلام كانت كذلك مبرزة إلى تخصيصه بالآية ذهب السدي وابن زيد وابن سيرين

وقال قيس بن أبي حازم وعائشة ام المؤمنين وعكرمة نزلت هذه الآية في المؤذنين

قال قيس " وعمل صالحا " هو الصلاة بين الآذان والإقامة

وذكر النقاش

١٦

ذلك عن ابن عباس ومعنى القول بأنها في المؤذنين انهم داخلون فيها واما نزولها فبمكة بلا خلاف ولم يكن بمكة آذان و إنما ترتب بالمدينة وان الآذان لمن الدعاء الى الله تعالى ولكنه جزء منه

والدعاء إالى الله بقوة كجهاد الكفار وردع الطغاة وكف الظلمة وغيره أعظم غناء من تولي الاذان إذ لا مشقة فيه والأصوب ان يعتقد ان الآية نزلت عامة

قال زيد بن علي المعنى دعا إلى الله بالسيف

وقرأ الجمهور (إنني) بنونين

وقرأ ابن أبي عبلة (إني) بنون واحدة

وقال فضيل بن رفيدة كنت مؤذنا في أصحاب ابن مسعود فقال لي عاصم بن هبيرة إذا أكملت الآذان فقل " إنني من المسلمين " ثم تلا هذه الآية

ثم وعظ تعالى نبيه عليه السلام ونبهه على أحسن مخاطبة فقرر ان الحسنة والسيئة لا تستوي أي فالحسنة أفضل وكرر في قوله " ولا السيئة " تاكيدا ليدل على أن المراد ولا تستوي الحسنة والسيئة ولا السيئة والحسنة

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١٥٦/٤

فحذف اختصارا ودلت " لا " على هذا الحذف

وقوله تعالى " ادفع بالتي هي أحسن " آية جمعت مكارم الأخلاق وانواع الحلم والمعنى ادفع امورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة او بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات فمن ذلك بذل السلام وحسن الأدب وكظم الغيظ والسماحة في القضاء والاقتضاء وغير ذلك

قال ابن عباس إذا فعل المؤمن هذه الفضائل عصمه الله من الشيطان وخضع له عدوه وفسر مجاهد وعطاء هذه الآية بالسلام عند اللقاء ولا شك ان السلام هو مبدأ الدفع بالتي هي أحسن وهو جزء منه ثم قال تعالى "كأنه ولي حميم " فدخل **كاف التشبيه** لأن الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم

والحميم هو القريب الذي يحتم للإنسان

والضمير في قوله " يلقاها " عائد عل هذه الخلق التي يتضمنها قوله " ادفع بالتي هي أحسن "

وقالت فرقه المراد ومايلقى لا إله إلا الله وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ

(١) ".

"الوصف كأن معناها التشبيه كي معناها التعليل كم معناها التكثير وهي خبرية واستفهامية كأين بمعنى كم وهي عند سيبويه **كاف التشبيه** دخلت على أي كلا حرف ردع وزجر وقيل إنها تكون للنفي أي ليس الأمر كما ظننت وقيل إنها استفتاح كلام بمعنى إلا الكاف بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل وقيل إنها تكون زائدة

حرف اللام لبس الأمر أي خلطه بفتح الباء في الماضي وكسرها في المستقبل ألباب عقول وهو جمع لب لبث في المكان أقام فيه لمز يلمز أي عاب الشيء لؤلؤ جوهر لغو الكلام الباطل منه والفحش ولغو اليمين ما لا يلزم لها بفتح الهاء من اللهو ومضارعه يلهو ولهى عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح إذا أعرض عنه وألهاه الشيء إذا أشغله ومنه لا تلهكم أموالكم لطيف اسم الله تعالى قيل معناه رفيق وقيل خبير بخفيات الأمور لدى ولدن معناها عند ليت معناها التمني لعل معناها الترجي في المحبوبات والتوقع للمكروهات وأشكل ذلك في حق الله تعالى فقيل جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب أي ذلك مما يرتجى عندكم أي يتوقع وقد يكون معناها التعليل أو مقاربة الأمر فلا إشكال لولا لها معنيان

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١٥/٥

التمني وامتناع شيء لامتناع غيره لما لها معنيان النفي وهي الجازمة ووجود شيء لوجود غيره وأما لما بالتخفيف فهي لام التأكيد دخلت على ما وقال الكوفيون هي ... ٢٧." (١)

"وهم من أهل العلم الذين لا يليق بهم المجازفة ومن حقهم الإنصاف بأن يبينوا مواقع الخطأ عند مخالفيهم. وجعل ابن عطية التعريف للعهد وجعل المعهود التوراة أي لأنها الكتاب الذي يقرأه الفريقان ووجه التعجيب على هذا الوجه أن التوراة هي أصل للنصرانية والإنجيل ناطق بحقيتها فكيف يسوغ للنصارى ادعاء أنها ليست بشيء كما فعلت نصارى نجران. وأن التوراة ناطقة بمجيء رسل بعد موسى فكيف ساغ لليهود تكذيب رسول النصارى.

وإذا جعل الضمير عائدا للنصارى خاصة يحتمل أن يكون المعهود التوراة كما ذكرنا أو الإنجيل الناطق بأحقية التوراة وفي ﴿يتلون﴾ دلالة على هذا لأنه يصير التعجب مشربا بضرب من الاعتذار أعني أنهم يقرأون دون تدبر وهذا من التهكم وإلا لقال وهم يعلمون الكتاب وبهذا يتبين أن ليست هذه الآية واردة للانتصار لأحد الفريقين أو كليهما.

وقوله: ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ أي يشبه هذا القول قول فريق آخر غير الفريقين وهؤلاء الذين لا يعلمون هم مقابل الذين يتلون الكتاب وأريد بهم مشركو العرب وهم لا يعلمون لأنهم أميون وإطلاق: ﴿الذين لا يعلمون﴾ على المشركين وارد في القرآن من ذلك قوله الآتي: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ [البقرة: ١١٨] بدليل قوله ﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ [البقرة: ١١٨] يعني كذلك قال اليهود والنصارى: والمعنى هنا أن المشركين كذبوا الأديان كلها اليهودية والنصرانية والإسلام والمقصود من التشبيه تشويه المشبه به بأنه مشابه لقول أهل الضلال البحت.

وهذا استطراد للإنحاء على المشركين فيما قابلوا به الدعوة الإسلامية أي قالوا للمسلمين مثل مقالة أهل الكتابين بعضهم لبعض وقد حكى القرآن مقالتهم في قوله: ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ [الأنعام: ٩١]

والتشبيه المستفاد من الكاف في ﴿كذلك﴾ تشبيه في الادعاء على أنهم ليسوا على شيء والتقدير مثل ذلك القول الذي قالته اليهود والنصارى قال الذين لا يعلمون ولهذا يكون لفظ مثل قولهم تأكيدا لما أفاده **كاف التشبيه** وهو تأكيد يشير إلى أن المشابهة بين قول الذين لا يعلمون وبين قول اليهود والنصارى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٥٠/١

مشابهة تامة لأنهم لما قالوا : ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ قد كذبوا اليهود والنصارى والمسلمين. وتقديم الجار والمجرور على متعلقه وهو ﴿قال﴾ إما لمجرد الاهتمام ببيان المماثلة." (١)

"وإما ليغني عن حرف العطف في الانتقال من كلام إلى كلام إيجازا بديعا لأن مفاد حرف العطف التشريك ومفاد **كاف التشبيه** التشريك إذ التشبيه تشريك في الصفة. ولأجل الاهتمام أو لزيادته أكد قوله: ﴿كذلك﴾ بقوله ﴿مثل قولهم﴾ فهو صفة أيضا لمعمول قالوا المحذوف أي قالوا مقولا مثل قولهم. ولك أن تجعل كذلك تأكيدا لمثل قولهم وتعتبر تقديمه من تأخير والأول أظهر. وجوز صاحب الكشاف وجماعة أن لا يكون قوله: ﴿مثل قولهم﴾ أو قوله ﴿كذلك﴾ تأكيدا للآخر وأن مرجع التشبيه إلى كيفية القول ومنهجه في صدوره عن هوى، ومرجع المماثلة إلى المماثلة في اللفظ فيكون على كلامه تكريرا في التشبيه من جهتين للدلالة على قوة التشابه.

وقوله: ﴿فالله يحكم بينهم﴾ الآية جاء بالفاء لأن التوعد بالحكم بينهم يوم القيامة وإظهار ما أكنته ضمائرهم من الهوى والحسد متفرع عن هذه المقالات ومسبب عنها وهو خبر مراد به التوبيخ والوعيد والضمير المجرور بإضافة بين راجع إلى الفرق الثلاث وما كانوا فيه يختلفون يعم ما ذكر وغيره والجملة تذييل.

[١١٤] ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾

عطف على ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ [البقرة: ١١٣] باعتبار ما سبق ذلك من الآيات الدالة على أفانين أهل الكتاب في الجراءة وسوء المقالة أي أن قولهم هذا وما تقدمه ظلم ولا كظلم من منع مساجد الله وهذا استطراد واقع معترضا بين ذكر أحوال اليهود والنصارى لذكر مساوئ المشركين في سوء تلقيهم دعوة الإسلام الذي جاء لهديهم ونجاتهم.

والآية نازلة في مشركي العرب كما في رواية عطاء عن ابن عباس وهو الذي يقتضيه قوله: ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ الآية كما سيأتي وهي تشير إلى منع أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من الدخول لمكة كما جاء في حديث سعد بن معاذ حين دخل مكة خفية وقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بالبيت آمنا وقد أويتم الصباء، وتكرر ذلك في عام الحديبية.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٥٩/١

(٢) التحرير والتنوير، ٦٦٠/١

"عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [البقرة:١٤٣]

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾

هذه الجملة معترضة بين جملة ﴿سيقول السفهاء﴾ [البقرة:١٤٢] الخ، وجملة ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ الخ، اعتراضية وهي من قبيل الواو الاستئنافية، فالآية السابقة لما أشارت إلى أن الذين هدوا إلى صراط مستقيم هم المسلمون وأن ذلك فضل لهم ناسب أن يستطرد لذكر فضيلة أخرى لهم هي خير مما تقدم وهي فضيلة كون المسلمين عدولا خيارا ليشهدوا على الأمم لأن الآيات الواقعة بعدها هي في ذكر أمر القبلة وهذه الآية لا تتعلق بأمر القبلة.

وقوله: ﴿كذلك﴾ مركب من **كاف التشبيه** واسم الإشارة فيتعين تعرف المشار إليه وما هو المشبه به قال صاحب "الكشاف" أي مثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطا فاختلف شارحوه في تقرير كلامه وتبين مراده: فقال البيضاوي "الإشارة إلى المفهوم أي ما فهم من قوله تعالى: ﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ [البقرة:١٤٢] أي كما جعلناكم أمة وسطا أو كما جعلنا قبلتكم أفضل قبلة جعلناكم أمة وسطا اه أي أن قوله: ﴿يهدي من يشاء﴾ يومئ إلى أن المهدي هم المسلمون وإلى أن المهدي إليه هو استقبال الكعبة وقت قول السفهاء ﴿ما ولاهم﴾ [البقرة:١٤٢] على ما قدمناه وهذا يجعل الكاف باقية على معنى التشبيه ولم يعرج على وصف "الكشاف" الجعل بالعجيب كأنه رأى أن اسم الإشارة لا يتعين للحمل على أكثر من الإشارة وإن كان إشارة البعيد فهو يستعمل غالبا من دون إرادة بعد وفيه نظر، والمشار إليه على هذا الوجه معنى تقدم في الكلام السابق فالإشارة حينئذ إلى مذكور متقرر في العلم فهي جارية على سنن الإشارات. وحمل شراح "الكشاف" الكاف على غير ظاهر التشبيه، فأما الطيب والقطب فقالا الكاف فيه اسم بمعنى مثل منتصب على المفعولية المطلقة لجعلناكم أي مثل الجعل العجيب جعلناكم فليس تشبيها ولكنه تمثيل لحالة والمشار إليه ما يفهم من مضمون قوله: ﴿يهدي﴾ وهو الأمر العجيب الشأن أي الهدى التام، ووجه الإتيان بإشارة البعيد التنبيه على تعظيم المشار إليه وهو الذي عناه في "الكشاف" بالجعل العجيب، فالتعظيم هنا." (١)

(١) التحرير والتنوير، ١٥/٢

"واعلم أن العرب تستعمل الصيغتين في التعجب: يقولون ألم تر إلى كذا، ويقولون أرأيت مثل كذا أو ككذا، وقد يقال ألم تر ككذا لأنهم يقولون لم أر كاليوم في الخير أو في الشر، وفي الحديث: "فلم أره كاليوم منظرا قط" وإذا كان ذلك يقال في الخير جاز أن يدخل عليه الاستفهام فتقول: ألم تر كاليوم – في الخير والشر –، وحيث حذف الفعل المستفهم عنه فلك أن تقدره على الوجهين، وما صاحب "الكشاف" إلى تقديره: أرأيت كالذي لأنه الغالب في التعجب مع **كاف التشبيه**.

والذي مر على قرية قيل هو أرميا بن حلقيا، وقيل هو عزير بن شرخيا "عزرا بن سريا" والقرية بيت المقدس في أكثر الأقوال، والذي يظهر لي أنه حزقيال ابن بوزي نبي إسرائيل كان معاصرا لأرميا ودانيال وكان من جملة الذين أسرهم بختنصر إلى بابل في أوائل القرن السادس قبل المسيح، وذلك أنه لما رأى عزم بختنصر على استئصال اليهود وجمعه آثار الهيكل ليأتي بها إلى بابل، جمع كتب شريعة موسى وتابوت العهد وعصا موسى ورماها في بئر أرشليم خشية أن يحرقها بختنصر، ولعله اتخذ علامة يعرفها بها وجعلها سرا بينه وبين أنبياء زمانه وورثتهم من الأنبياء. فلما أخرج إلى بابل بقي هنالك وكتب كتابا في مراء رآها وحيا تدل على مصائب اليهود وما يرجى لهم من الخلاص، وكان آخر ما كتبه في السنة الخمسة والعشرين بعد سبي اليهود، ولم يعرف له خبر بعد كما ورد في تاريخهم، ويظن أنه مات أوقتل. ومن جملة ما كتبه: "أخرجني روح الرب وأنزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاما كثيرة وأمرني عليها وإذا تلك البقعة يابسة فقال لي أتحيى هذه العظام، فقلت: يا سيدي الرب أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب قال ها أنا ذا أدخل فيكم الروح وأضع عليكم عصبا وأكسوكم لحما وجلدا. فتنبأت، كما أمرني فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه، ونظرت و إذا باللحم والعصب كساها وبسط الجلد عليها من فوق ودخل فيهم الروح فحيوا وقامو على أقدامهم جيش عظيم جدا" ولما كانت رؤيا الأنبياء وحيا فلا شك أن الله لما أعاد عمران أورشليم في عهد عزرا النبي في حدود سنة ٤٥٠ قبل المسيح أحيا النبي حزقيال – عليه السلام – ليرى مصداق نبوته، وأراه إحياء العظام، وأراه آية في طعامه وشرابه وحماره – وهذه مخاطبة بين الخالق وبعض أصفيائه على طريق المعجزة – وجعل خبره آية للناس من أهل الإيمان الذين يوقنون بما أخبرهم الله تعالى، أو لقوم أطلعهم الله على ذلك من أصفيائه، أو لأهل القرية التي كان فيها وفقد من بينهم فجاءهم من بعد مائة سنة وتحققه من يعرفه بصفاته، فيكون قوله تعالى: ﴿مر على قرية﴾ إشارة إلى." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٠٨/٢

"ومثل حال الذي ينفق ماله رئاء الناس المشبه به- تمثيلا يسري إلى الذين يتبعون صدقاتهم بالمن والأذى بقوله: ﴿فمثله كمثل صفوان﴾ إلخ – وضمير مثله عائد إلى الذي ينفق ماله رئاء الناس، لأنه لما كان تمثيلا لحال المشبه به كان لا محالة تمثيلا لحال المشبه، ففي الكلام ثلاثة تشبيهات.

مثل حال الكافر الذي ينفق ماله رئاء الناس بحال صفوان عليه تراب يغشيه، يعني يخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر، فتقدير الكلام عليه تراب صالح للزرع فحذفت صفة التراب إيجازا اعتمادا على أن التراب الذي يرقب الناس أن يصيبه وابل هو التراب الذي يبذرون فيه، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه، جرفه الماء من وجه الصفوان فلم يترك منه شيئا وبقي مكانه صلدا أملس فخاب أمل زارعه.

وهذا ذاحسن و أدق من أن نجعل المعنى تمثيل إنفاق الكافر بحال تراب على صفوان اصابه وابل فجرفه، وأن وجه الشبه هو سرعة الزوال وعدم القرار كقوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ [ابراهيم:١٨] فإن مورد تلك الآية مقام آخر.

ولك١ أن تجعل **كاف التشبيه** في قوله تعالى: ﴿كالذي ينفق ماله﴾ صفة لمصدر محذوف دل عليه ما في لفظ صدقاتهم من معنى الإنفاق وحذف المضاف بين الكاف وبين اسم الموصول، والتقدير إنفاقا كإنفاق الذي ينفق ماله رئاء الناس.

وقد روعي في هذا التمثيل عكس التمثيل لمن ينفق ماله في سبيل الله بحبة أغلت سبعمائة حبة.

فالتشبيه تشبيه مركب معقول بمركب محسوس. ووجه الشبه الأمل في حالة تغر بالنفع ثم لا تلبث الا تأتي لآملها بما أمله فخاب أمله. ذلك أن المؤمنين لا يخلون من رجاء حصول الثواب لهم من صدقاتهم، ويكثر أن تعرض الغفلة للمتصدق فيتبع صدقته بالمن والأذى اندفاعا مع خواطر خبيثة..

وقوله: ﴿لا يقدرون على شيء مما كسبوا﴾ أوقع موقعا بديعا من نظم الكلام تنهال به معان كثيرة فهو بموقعه كان صالحا لأن يكون حالا من الذي ينفق ماله رئاء الناس

_

١ هذا مقابل قولنا في الصفحة السابقة " هو حال من ضمير تبطلوا"." (١)

"بقرينة قوله، في الآية التي بعد هذه: ﴿ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ [آل عمران:١٢]. والوقود بفتح الواو ما يوقد به كالضوء، وقد تقدم نظيره في قوله ﴿التي وقودها الناس والحجارة﴾ في سورة البقرة.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٥٢٠

وقوله ﴿كدأب آل فرعون﴾ موقع **كاف التشبيه** موقع خبر لمبتدأ محذوف يدل عليه المشبه به، والتقدير: دأبهم في ذلك كدأب آل فرعون، أي عادتهم وشأنهم كشأن آل فرعون.

والدأب: أصله الكدح في العمل وتكريره، وكأن أصل فعله متعد، ولذلك جاء مصدره على فعل، ثم أطلق على العادة لأنها تأتي من كثرة العمل، فصار حقيقة شائعة قال النابغة:

كدأبك في قوم أراك اصطنعتهم

أي عادتك، ثم استعمل الشأن كقول امرئ القيس:

كدأبك من أم الحويرث قبلها

وهو المراد هنا، في قوله ﴿كدأب آل فرعون﴾ ، والمعنى: شأنهم في ذلك كشأن آل فرعون؛ إذ ليس في ذلك عادة متكررة ، وقد ضرب الله لهم هذا المثل عبرة وموعظة؛ لأنهم إذا استقروا الأمم التي أصابها العذاب، وجدوا جميعهم قد تماثلوا في الكفر: بالله، وبرسله، وبآياته، وكفى بهذا الاستقراء موعظة لأمثال مشركي العرب، وقد تعين أن يكون المشبه به هو وعيد الاستئصال والعذاب في الدنيا؛ إذ الأصل أن حال المشبه، أظهر من حال المشبه به عند السامع.

وعليه فالأخذ في قوله ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ هو أخذ الانتقام في الدنيا كقوله ﴿أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

وأريد بآل فرعون فرعون وآله؛ لأن الآل يطلق على أشد الناس اختصاصا بالمضاف إليه، والاختصاص هنا اختصاص في المتابعة والتوطؤ على الكفر، كقوله ﴿أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر:٤٦] فلذكر الآل هنا من الخصوصية ما ليس لذكر القوم؛ إذ قوم الرجل قد يخالفونه، فلا يدل الحكم المتعلق بهم على أنه مساو لهم في الحكم، قال تعالى ﴿ألا بعدا لعاد قوم هود﴾ [هود:٦٠] في كثير من الآيات نظائرها، وقال ﴿أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون﴾ [الشعراء:١٠-١١].." (١)

"﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين [١٤٦] وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين [١٤٧] فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾ [١٤٨].

عطف على قوله: ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية وما بينهما اعتراض، وهو عطف

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٣/٣

العبرة على الموعظة فإن قوله: ﴿ومن ينقلب على عقبيه﴾ موعظة لمن يهم بالانقلاب، وقوله: ﴿وكأين من نبي قاتل﴾ عبرة بما سلف من صبر أتباع الرسل والأنبياء عند إصابة أنبيائهم أو قتلهم، في حرب أو غيره، لمماثلة الحالين. فالكلام تعريض بتشبيه حال أصحاب أحد بحال أصحاب الأنبياء السالفين لأن محل المثل ليس هو خصوص الانهزام في الحرب بل ذلك هو الممثل. وأما التشبيه فهو بصبر الأتباع عند حلول المصائب أو موت المتبوع.

وكأين كلمة بمعنى التكثير، قيل: هي بسيطة موضوعة للتكثير، وقيل: هي مركبة من **كاف التشبيه** وأي الاستفهام وهو قول الخليل وسيبويه، وليست أي هذه استفهامية حقيقيا، ولكن المراد منها تذكير المستفهم بالتكثير، فاستفهامها مجازي، ونونها في الأصل تنوين، فلما ركبت وصارت كلمة واحدة جعل تنوينها نونا وبنيت. والأظهر أنها بسيطة وفيها لغات أربع، أشهرها في النشر كأين بوزن كعين هكذا جرت عادت اللغويين والنحاة إذا وزنوا الكلمات المهموزة أن يعوضوا عن حرف الهمزة بحرف العين لئلا تلتبس الهمزة بالألف أو الياء التي تكتب في صورة إحداهما، وأشهرها في الشعر كائن بنون اسم فاعل كان، وليست باسم فاعل خلافا للمبرد، بل هي مخفف كأين.

ولهم في كيفية تخفيفها توجيهات أصلها قول الخليل لما كثر استعمالها تصرف فيها العرب بالقلب والحذف في بعض الأحوال. قلت: وتفصيلية يطول. وأنا أرى أنهم لما راموا التخفيف جعلوا الهمزة ألفا، ثم التقى ساكنان على غير حده، فحذفوا الياء الساكنة فبقيت الياء المكسورة فشابهت اسم فاعل كان فجعلوها همزة كالياء التي تقع بعد ألف زائدة، وأكثر ما وقع في كلام العرب هو كأين لأنها أخف في النظم وأسعد بأكثر الموازين في أوائل الأبيات وأوسطها بخلاف كائن، قال الزجاج: اللغتان الجيدتان كأين وكائن. وحكى الشيخ ابن عرفة في تفسيره عن شيخه ابن الحباب قال: أخبرنا شيخنا أحمد بن." (١)

"ظلمات. وقوله: ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ تقديره: كمن مثله مثل ميت فما صدق "من" ميت بدليل مقابلته بميت في الحالة المشبهة، فيعلم أن جزء الهيئة المشبهة هو الميت لأن المشبه والمشبه به سواء في الحالة الأصلية وهي حالة كون الفريقين مشركين. ولفظ مثل بمعنى حالة. ونفي المشابهة هنا معناه نفي المساواة، ونفي المساواة كناية عن تفضيل إحدى الحالتين على الأخرى تفضيلا لا يلتبس، فذلك معنى نفي المشابهة كقوله: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور﴾ [الرعد: ١٦] وقوله ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾ [السجدة:١٨] والكاف في قوله: ﴿كمن مثله في

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٤٢/٣

الظلمات﴾ **كاف التشبيه**، وهو تشبيه منفي بالاستفهام الإنكاري.

والكلام جار على طريقة تمثيل حال من أسلم وتخلص من الشرك بحال من كان ميتا فأحيي، وتمثيل حال من هو باق في الشرك بحال ميت باق في قبره. فتضمنت جملة: ﴿أومن كان ميتا﴾ إلى آخرها تمثيل الحالة الأولى، وجملة: ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ الخ تمثيل الحالة الثانية، فهما حالتان مشبهتان، وحالتان مشبه بهما، وحصل بذكر **كاف التشبيه** وهمزة الاستفهام الإنكاري أن معنى الكلام نفي المشابهة بين من أسلم وبين من بقي في الشرك. كما حصل من مجموع الجملتين: أن في نظم الكلام تشبيهين مركبين.

ولكن وجود **كاف التشبيه** في قوله: ﴿كمن مثله﴾ مع عدم التصريح بذكر المشبهين في التركيبين أثارا شبهة: في اعتبار هذين التشبيهين أهو من قبيل التشبيه التمثيلي، أم من قبيل الاستعارة التمثيلية؛ فنحا القطب الرازي في شرح الكشاف القبيل الأول، ونحا التفتزاني القبيل الثاني. والأظهر ما نحاه التفتزاني: أنهما استعارتان تمثيليتان، وأما **كاف التشبيه** فهو متوجه إلى المشابهة المنفية في مجموع الجملتين لا إلى مشابهة الحالين بالحالين، فمورد **كاف التشبيه** غير مورد تمثيل الحالين. وبين الاعتبارين بون خفي.

والمراد: بـ ﴿الظلمات﴾ ظلمة القبر لمناسبته للميت، وبقرينة ظاهر ﴿في﴾ من حقيقة الظرفية وظاهر حقيقة فعل الخروج.

ولقد جاء التشبيه بديعا: إذ جعل حال المسلم، بعد أن صار إلى الإسلام، بحال من كان عديم الخير، عديم الإفادة كالميت، فإن الشرك يحول دون التمييز بين الحق والباطل، ويصرف صاحبه عن السعي إلى ما فيه خيره ونجاته، وهو في ظلمة لو أفاق لم يعرف أين ينصرف، فإذا هداه الله إلى الإسلام تغير حاله فصار يميز بين الحق والباطل، ويعلم الصالح من الفاسد، فصار كالحي وصار يسعى إلى ما فيه الصلاح، ويتنكب عن سبيل." (١)

"والتاء فيه للتأكيد، و ﴿ما﴾ موصولة عامة، أي: ما يشاء من مؤمنين أو كافرين على ما تقتضيه حكمته، وهذا تعريض بالاستئصال لأن ظاهر الضمير يفيد العموم.

والتشبيه في قوله: ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ تشبيه في إنشاء موجودات بعد موجودات أخرى، لا في كون المنشئات مخرجة من بقايا المعدومات كما أنشأ البشر نشأة ثانية من ذرية من أنجاهم الله في السفينة مع نوح عليه السلام، فيكون الكلام تعريضا بإهلاك المشركين ونجاة المؤمنين من العذاب.

وكاف التشبيه في محل نصب نيابة عن المفعول المطلق، لأنها وصف لمحذوف تقديره: استخلافا كما

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٤/٧

أنشأكم، فإن الإنشاء يصف كيفية الاستخلاف. و ﴿من﴾ ابتدائية. ومعنى الذرية واشتقاقها تقدم عند قوله تعالى ﴿ومن ذريتي﴾ في سورة البقرة [١٢٤].

ووصف ﴿قوم﴾ بـ ﴿آخرين﴾ للدلالة على المغايرة، أي قوم ليسوا من قبائل العرب، وذلك تنبيه على عظيم قدرة الله تعالى أن ينشئ أقواما من أقوام يخالفونهم في اللغة والعوائد والمواطن، وهذا كناية عن تباعد العصور، وتسلسل المنشآت لأن الاختلاف بين الأصول والفروع لا يحدث إلا في أزمنة بعيدة، فشتان بين أحوال قوم نوح وبين أحوال العرب المخاطبين، وبين ذلك قرون مختلفة متباعدة.

[١٣٤] ﴿إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾.

هذه الجملة بدل اشتمال من جملة: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ [الأنعام: ١٣٣] فإن المشيئة تشتمل على الحالين: حال ترك إهلاكهم، وحال إيقاعه، فأفادت هذه الجملة أن مشيئة الله تعلقت بإيقاع ما أوعدهم به من الإذهاب، ولك أن تجعل الجملة استئنافا بيانيا: جوابا عن أن يقول سائل من المشركين، متوركا بالوعيد: إذا كنا قد أمهلنا وأخر عنا الاستئصال فقد أفلتنا من الوعيد، ولعله يلقاه أقوام بعدنا، فورد قوله: ﴿إن ما توعدون لآت﴾ مورد الجواب عن هذا السؤال الناشئ عن الكلام السابق بتحقيق أن ما أوعد به المشركون واقع لا محالة وإن تأخر.

والتأكد بـ ﴿إن﴾ مناسب لمقام المتردد الطالب، وزيادة التأكد بلام الابتداء لأنهم متوغلون في إنكار تحقق ما أوعدوا به من حصول الوعيد واستسخاهم به، فإنهم قالوا: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب." (١)

"الفاء عندهم تفريعا في كلام واحد.

والنسيان في الموضعين مستعمل مجازا في الإهمال والترك لأنه من لوازم النسيان، فإنهم لم يكونوا في الدنيا ناسين لقاء يوم القيامة. فقد كانوا يذكرونه ويتحدثون عنه حديث من لا يصدق بوقوعه.

وتعليق الظرف بفعل: ﴿ننساهم﴾ لإظهار أن حرمانهم من الرحمة كان من أشد أوقات احتياجهم إليها، فكان لذكر اليوم أثر في إثارة تحسرهم وندامتهم، وذلك عذاب نفساني.

ودل معنى **كاف التشبيه** في قوله: ﴿كما نسوا﴾ على أن حرمانهم من رحمة الله كان مماثلا لإهمالهم التصديق باللقاء، وهي مماثلة جزاء العمل للعمل، وهي مماثلة اعتبارية، فلذلك يقال: إن الكاف في مثله للتعليل، كما في قوله تعالى ﴿واذكروه كما هداكم﴾ [البقرة: ١٩٨] وإنما التعليل معنى يتولد من استعمال

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٦/٧

الكاف في التشبيه الاعتباري، وليس هذا التشبيه بمجاز، ولكنه حقيقة خفية لخفاء وجه الشبه.

وقوله ﴿كما نسوا﴾ ظرف مستقر في موضع الصفة لموصوف محذوف دل عليه ﴿ننساهم﴾ أي نسيانا كما نسوا.

و"ما" في: ﴿كما نسوا﴾ وفي ﴿وما كانوا﴾ مصدرية أي كنسيانهم اللقاء وكجحدهم بآيات الله. ومعنى جحد الآيات تقدم عند قوله تعالى: ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ في سورة الأنعام [٣٣].

[٥٢] ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾.

الواو في ﴿ ولقد جئناهم ﴾ عاطفة هذه الجملة على جملة ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ [الأعراف: ٥٠]، عطف القصة على القصة، والغرض على الغرض، فهو كلام أنف انتقل به من غرض الخبر عن حال المشركين في الآخرة إلى غرض وصف أحوالهم في الدنيا، المستوجبين بها لما سيلاقونه في الآخرة، وليس هو من الكلام الذي عقب الله به كلام أصحاب الجنة في قوله ﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ [الأعراف: ٥١] لأن قوله هنا ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف: ٥٣] الخ، يقتضي أنه حديث عن إعراضهم عن القرآن في الدنيا، فضمير الغائبين في قوله: ﴿جئناهم﴾ عائد إلى الذين كذبوا في قوله: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء﴾." (١)

"وإنما وصفت الأصنام بأنها لهم ولم يقتصر على قوله ﴿أصنام﴾ قال ابن عرفة التونسي عادتهم يجيبون بأنه زيادة تشنيع بهم وتنبيه على جهلهم وغوايتهم في أنهم يعبدون ما هو ملك لهم فيجعلون مملوكهم إلاههم.

وفصلت جملة ﴿قالوا﴾ ، فلم تعطف بالفاء: لأنها لما كانت افتتاح محاور، وكان شأن المحاورة أن تكون جملها مفصولة شاع فصلها، ولو عطفت بالفاء لجاز أيضا.

ونداؤهم موسى وهو معهم مستعمل في طلب الإصغاء لما يقولونه، إظهارا لرغبتهم فيما سيطلبون، وسموا الصنم إلها لجهلهم فهم يحسبون أن اتخاذ الصنم يجدي صاحبه، كما لو كان آلهه معه، وهذا يدل على أن بني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد وحنيفية إبراهيم ويعقوب التي وصى بها في قوله ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٢] لأنهم لما كانوا في حال ذل واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجوا في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبيد.

والتشبيه في قوله ﴿كما لهم آلهة﴾ أرادوا به حض موسى على إجابة سؤالهم، وابتهاجا بما رأوا من حال

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٦/٨

القوم الذين حلوا بين ظهرانيهم وكفى بالأمة خسة عقول أن تعد القبيح حسنا، وأن تتخذ المظاهر المزينة قدوة لها، وأن تنخلع عن كمالها في اتباع نقائص غيرها.

و ﴿ما﴾ يجوز أن تكون صلة وتوكيدا كافة عمل حرف التشبيه، ولذلك صار **كاف التشبيه** داخلا على جملة لا على مفرد، وهي جملة من خبر ومبتدا، ويجوز أن تكون "ما" مصدرية غير زمانية، والجملة بعدها في تأويل مصدر، والتقدير كوجود آلهة لهم، وإن كان الغالب أن "ما" المصدرية لا تدخل إلا على الفعل نحو قوله تعالى ﴿ودوا ما عنتم﴾ [آل عمران: ١١٨] فيتعين تقدير فعل يتعلق به المجرور في قوله ﴿لهم﴾ أو يكتفي بالاستقرار الذي يقتضيه وقوع الخبر جازا ومجرورا، كقول نهشل بن جرير التميمي:

كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه١

وفصلت جملة ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ لوقوعها في جواب المحاورة، أي: أجاب

-

١ أوله: أخ ماجد لم يخزني يوم مشهد، قاله: يرثي أخاه مالكا قتل يوم صفين وسيف عمرو وهو سيف عمرو بن معديكرب.." (١)

"ومال إلى الأرض، والكلام تمثيل لحال المتلبس بالنقائص والكفر بعد الإيمان والتقوى، بحال من كان مرتفعا عن الأرض فنزل من اعتلاء إلى أسفل فبذكر الأرض علم أن الإخلاد هنا ركون إلى السفل أي تلبس بالنقائص والمفاسد.

واتباع الهوى ترجيح ما يحسن لدى النفس من النقائص المحبوبة، على ما يدعو إليه الحق والرشد، فالاتباع مستعار للاختيار والميل، والهوى شاع في المحبة المذمومة الخاسرة عاقبتها.

وقد تفرع على هذه الحالة تمثيله بالكلب اللاهث، لأن اتصافه بالحالة التي صيرته شبيها بحال الكلب اللاهث تفرع على إخلاده إلى الأرض واتباع هواه، فالكلام في قوة أن يقال: ولكنه أخلد إلى الأرض فصار في شقاء وعناد كمثل الكلب إلخ.

واستعمال القرآن لفظ المثل بعد **كاف التشبيه** مألوف بانه يراد به تشبيه الحالة بالحالة، وتقدم قوله تعالى: ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾ في سورة البقرة [١٧]، فلذلك تعين أن التشبيه هنا لا يخرج عن المتعارف في التشبيه المركب، فهذا الضال تحمل كلفة اتباع الدين الصالح وصار يطلبه في حين كان غير مكلف بذلك في زمن الفترة فلقي من ذلك نصبا وعناء، فلما حان حين اتباع الحق ببعثة محمد صلى الله

---

(١) التحرير والتنوير، ٨/٢٦٥

عليه وسلم تحمل مشقة العناد والإعراض عنه في وقت كان جديرا فيه بان يستريح من عنائه لحصول طلبته فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الموصوف باللهث، فهو يلهث في حالة وجود أسباب اللهث من الطرد والإرهاب والمشقة وهي حالة الحمل عليه، وفي حالة الخلو عن ذلك السبب وهي حالة تركه في دعة ومسالمة والذي ينبه على هذا المعنى هو قوله ﴿أو تتركه﴾ .

وليس لشيء من الحيوان حالة للتشبيه بها في الحالتين غير حالة الكلب اللاهث لأنه يلهث إذا أتعب وإذا كان في دعة فاللهث في أصل خلقته.

وهذا التمثيل من مبتكرات القرآن فان اللهث حالة تؤذن بحرج الكلب من جراء عسر تنفسه عن اضطراب باطنه وان لم يكن لاضطراب باطنه سبب آت من غيره فمعنى ﴿إن تحمل عليه﴾ أن تطارده وتهاجمه.مشتق من الحمل الذي هو الهجوم على أحد لقتاله، يقال حمل فلان على القوم حملة شعواء أو حملة منكرة، وقد أغفل المفسرون توضيحه وأغفل الراغب في مفردات القرآن هذا المعنى لهذا الفعل.

فهذا تشبيه تمثيل مركب منتزعة فيه الحالة المشبهة والحالة المشبه بها من متعدد." (١)

"لما ذكر قبله، تقديره: هذا الحال كحال ما أخرجك ربك من بيتك بالحق ووجه الشبه هو كراهية المؤمنين في بادئ الأمر لما هو وخير لهم في الواقع وإما بتقدير مصدر لفعل الاستقرار الذي يقتضيه الخبر بالمجرور في قوله: ﴿الأنفال لله والرسول﴾ [الأنفال: ١] إذ التقدير: استقرت لله والرسول استقرارا كما أخرجك ربك، أي فيما يلوح إلى الكراهية والامتعاض في بادئ الأمر، ثم نوالهم النصر والغنيمة في نهاية الأمر، فالتشبيه تمثيلي وليس مراعى فيه تشبيه بعض أجزاء الهيئة المشبهة ببعض أجزاء الهيئة المشبه بها، أي أن ما كرهتموه من قسمة الأنفال على خلاف مشتهاكم سيكون فيه خير عظيم لكم، حسب عادة الله تعالى بهم في أمره ونهيه، وقد دل على ما في الكلام من معنى مخالفة مشتهاهم قوله: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ [الأنفال: ١] كما تقدم، مع قوله في هذه الجملة ﴿وإن فريقا من المؤمنين لكارهون﴾.

فجملة: ﴿وإن فريقا﴾ في موضع الحال والعامل فيها ﴿أخرجك ربك﴾ ، هذا وجه اتصال **كاف التشبيه** بما قبلها على ما الاظهر، وللمفسرين وجوه كثيرة بلغت العشرين قد استقصاها ابن عادل، وهي لا تخلو من تكلف، وبعضها متحد المعنى، وبعضها مختلفه، وأحسن الوجوه ما ذكره ابن عطية ومعناه قريب مما ذكرنا وتقديره بعيد منه.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٥٣/٨

والمقصود من هذا الأسلوب: الانتقال إلى تذكيرهم بالخروج إلى بدر وما ظهر فيه من دلائل عناية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين.

و ﴿ما﴾ مصدرية. والإخراج: أما مراد به الأمر بالخروج للغزو، وأما تقدير الخروج لهم وتيسيره.

والخروج مفارقة المنزل والبلد إلى حين الرجوع إلى المكان الذي خرج منه، أو إلى حين البلوغ إلى الموضع المنتقل إليه.

والإخراج من البيت: هو الإخراج المعين الذي خرج به النبي صلى الله عليه وسلم غازيا إلى بدر.

والباء في ﴿بالحق﴾ للمصاحبة أي إخراجا مصاحبا للحق، والحق هنا الصواب، لما تقدم آنفا من أن اسم الحق جامع لمعنى كمال كل شيء في محامد نوعه.

والمعنى أن الله أمره بالخروج إلى المشركين ببدر أمرا موافقا للمصلحة في حال كراهة فريق من المؤمنين ذلك الخروج.

وقد أشار هذا الكلام إلى السبب الذي خرج به المسلمين إلى بدر، فكان بينهم وبين." (١)

"وهذا تفسير أليق بالتشبيه لتحصل المخالفة المطلقة بين الحالة المشبهة والحالة المشبه بها، وإلا فإن أمرهم بقتال العدو الكثير العدد، وهم في قلة، إرجاء بهم إلى الموت إلا أنه موت مظنون، وبهذا التفسير يظهر حسن موقع جملة ﴿وهم ينظرون﴾ أما المفسرون فتأولوا الموت في الآية بأنه الموت المتيقن فيكون التخالف بين المشبه والمشبه به تخالفا بالتقييد.

وجملة: ﴿وهم ينظرون﴾ حال من ضمير ﴿يساقون﴾ ومفعول ﴿ينظرون﴾ محذوف دل عليه قوله: ﴿إلى الموت﴾ أي: وهم ينظرون الموت، لأن حالة الخوف من الشيء المخوف إذا كان منظورا إليه تكون أشد منها لو كان يعلم أنه يساق إليه ولا يراه، لأن للحس من التأثير على الإدراك ما ليس لمجرد التعقل، وقريب من هذا المعنى قول جعفر بن علبة:

يرى غمرات الموت ثم يزورها

وفي عكسه في المسرة قوله تعالى: ﴿وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ [البقرة: ٥٠].

[٧، ٨] ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾.

الأحسن أن تكون ﴿وإذ يعدكم الله﴾ معطوفا على ﴿كما أخرجك﴾ [الأنفال: ٥] عطف المفرد على

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣/٩

المفرد فيكون المعطوف مشبها به التشبيه المفاد بالكاف والمعنى: كإخراجك الله من بيتك وكوقت يعدكم الله إحدى الطائفتين الآية واسم الزمان إذ أضيف إلى الجملة كانت الجملة في تأويل المفرد فتؤول بمصدر، والتقدير: وكوقت وعد الله إحدى الطائفتين، ف ﴿إذ﴾ اسم زمان متصرف مجرور بالعطف على مجرور **كاف التشبيه**، وجعل صاحب "الكشاف" ﴿إذ﴾ مفعولا لفعل "اذكر" محذوف شان ﴿إذ﴾ الواقعة في مفتتح القصص، فيكون عطف جملة الأمر المقدر على جملة ﴿قل الأنفال لله﴾ [الأنفال: ١] والمناسبة هي أن كلا القولين فيه توقيفهم على خطإ رأيهم وأن ما كرهوه هو الخير لهم.

و"الطائفة" الجماعة من الناس، وتقدم عند قوله: ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ في سورة النساء [١٠٢].." (١)

"كذلك في الأشهر الحرم، وكل فريق يكون كذلك في الحرم.

والكاف في ﴿كما يقاتلونكم﴾ أصلها **كاف التشبيه** استعيرت للتعليل بتشبيه الشيء المعلول بعلته، لأنه يقع على مثالها ومنه قوله تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ [البقرة:١٩٧].

وجملة ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ . تأييد وضمان بالنصر عند قتالهم المشركين، لأن المعية هنا معية تأييد على العمل، وليست معية علم، إذ لا تختص معية العلم بالمتقين.

وابتدئت الجملة ب ﴿واعلموا﴾ للاهتمام بمضمونها كما تقدم في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ [الأنفال:٤١] الآية، بحيث يجب أن يعلموه ويعوه.

والجملة بمنزلة التذييل لما قبلها من أجل ما فيها من العموم في المتقين، دون أن يقال واعلموا أن الله معكم ليحصل من ذكر الاسم الظاهر معنى العموم، فيفيد أن المتصفين بالحال المحكية في الكلام السابق معدودون من جملة المتقين، لئلا يكون ذكر جملة ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ غريبا عن السياق، فيحصل من ذلك كلام مستقل يجري مجرى المثل وإيجاز يفيد أنهم حينئذ من المتقين، وأن الله يؤيدهم لتقواهم، وأن القتال في الأشهر الحرم في تلك الحالة طاعة لله وتقوى، وأن المشركين حينئذ هم المعتدون على حرمة الأشهر، وهم الحاملون على المقابلة بالمثل للدفاع عن النفس.

[٣٧] ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [التوبة:٣٧].

استئناف بياني ناشئ عن قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله﴾ [التوبة:٣٦] الآية لأن ذلك كالمقدمة

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٧/٩

إلى المقصود وهو إبطال النسيء وتشنيعه.

والنسيء يطلق على الشهر الحرام الذي أرجئت حرمته وجعلت لشهر آخر فالنسيء فعيل بمعنى مفعول من نسأ المهموز اللام، ويطلق مصدرا بوزن فعيل مثل نذير من قوله: ﴿كيف نذير﴾ (١) [الملك:١٧]، ومثل النكير والعذر وفعله نسأ المهموز، أي أخر، فالنسيء -

-

(١) في المطبوعة (فكيف كان نذير) وهو غلط.." (١)

"ومعنى ﴿هي حسبهم﴾ أنها ملازمة لهم. وأصل حسب أنه بمعنى الكافي، ولما كان الكافي يلازمه المكفي كني به هنا عن الملازمة، ويجوز أن يكون ﴿حسب﴾ على أصله ويكون ذكره في هذا المقام تهكما بهم، كأنهم طلبوا النعيم، فقيل: حسبهم نار جهنم.

واللعن: الإبعاد عن الرحمة والتحقير والغضب.

والعذاب المقيم: إن كان المراد به عذاب جهنم فهو تأكيد لقوله: ﴿خالدين فيها هي حسبهم﴾ لدفع احتمال إطلاق الخلود على طول المدة، وتأكيد للكناية في قوله: ﴿هي حسبهم﴾ وإن كان المراد به عذابا آخر تعين أنه عذاب في الدنيا وهو عذاب الخزي والمذلة بين الناس.

وفي هذه الآية زيادة تقرير لاستحقاق المنافقين العذاب، وأنهم الطائفة التي تعذب إذا بقوا على نفاقهم، فتعين أن الطائفة المعفو عنها هم الذين يؤمنون منهم.

[٦٩] ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ .

قيل هذا الخطاب التفات، عن ضمائر الغيبة الراجعة إلى المنافقين، إلى خطابهم لقصد التفريع والتهديد بالموعظة، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة الإمهال بأن آخر ذلك حبط الأعمال في الدنيا والآخرة، وأن يحق عليهم الخسران.

فكاف التشبيه في موضع الخبر عن مبتدأ محذوف دل عليه ضمير الخطاب، تقديره: أنتم كالذين من قبلكم، أو الكاف في موضع نصب بفعل مقدر، أي: فعلتم كفعل الذين من قبلكم، فهو في موضع المفعول المطلق الدال على فعله، ومثله في حذف الفعل والإتيان بما هو مفعول الفعل المحذوف قول النمر بن

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٧/١٠

تولب:

حتى إذا ال كلاب قال لها ... كاليوم مطلوبا ولا طالبا

أراد: لم أر كاليوم، إلا أن عامل النصب مختلف بين الآية والبيت.

وقيل هذا من بقية المقول المأمور بأن يبلغه النبي صلى الله عليه وسلم إياهم من قوله: ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ [التوبة:٦٥] الآية. فيكون ما بينهما اعتراضا بقوله:." (١)

"[٣٣] ﴿كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾

تذييل للتعجيب من استمرارهم على الكفر بعد ما ظهر لهم من الحجج والآيات، وتأييس من إيمانهم بإفادة أن انتفاء الإيمان عنهم بتقدير من الله تعالى عليهم فقد ظهر وقوع ما قدره من كلمته في الازل، والكاف الداخلة قبل اسم الإشارة **كاف التشبيه**. والمشبه به هو المشار إليه، وهو حالهم وضلالهم، أي كما شاهدت حقت كلمة ربك، يعني أن فيما شاهدت ما يبين لك أن قد حقت كلمة ربك عليهم أنهم لا يؤمنون.

وقوله: ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ بدل من "كلمة" أو ﴿من كلمات﴾. والمراد مضمون جملة: ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ .

وقرأ نافع، وابن عامر ﴿كلمات ربك﴾ بالجمع. وقرأها الباقون بالأفراد، والمعنى واحد لأن الكلمة تطلق على مجموع الكلام كقوله تعالى: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، ولأن ا الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات أو باعتبار تكرر الكلمة الواحدة بالنسبة لأناس كثيرين.

والفسق: الخروج من المسلك الذي شأن الشيء سلوكه، والمراد به فسق عن تلقي دعوة الرسل وإعمال النظر، وتقدم في قوله تعالى: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ في سورة البقرة[٢٦].

ثم يجوز أن يكون المرد بالذين فسقوا كل من استمر على فسقه فلا يؤمن، فتكون الجملة تذييلا لما فيها من العموم الشامل لهؤلاء المتحدث عنهم، كقوله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ [الرعد: ١٧]، ويجوز أن يكون المراد بالذين فسقوا المتحدث عنهم خاصة فيكون من الإظهار في مقام الإضمار لإفادة أنهم مع صفاتهم السابقة قد اتصفوا بالفسق، ولإفادة كون فسقهم علة في أن حقت عليهم كلمة الله، ويكون المشبه به هو الحق المأخوذ من ﴿حقت﴾ أي كذلك الحق حقت عليهم كلمة ربك مبالغة في ظهوره حتى أنه إذا أريد تشبيه ه وتقريبه لم يشبه إلا بنفسه على طريقة قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ في سورة البقرة[١٤٣].

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٦/١٠

وهي مع ذلك تذييل لما فيه من الفذلكة والتعجيب.

[٢٤] ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى." (١)

"آمنوا وعملوا الصالحات في منازل الآخرة أعقب ببيان التنظير بين حالي الفريقين المشركين والمؤمنين بطريقة تمثيل ما تستحقه من ذم ومدح.

فالجملة فذلكة للكلام وتحصيل له وللتحذير من مواقعة سببه.

والمثل، بالتحريك: الحالة والصفة كما في قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ الآية من سورة الرعد[٣٥]، أي حالة الفريقين المشركين والمؤمنين تشبه حال الأعمى الأصم من جهة وحال البصير السميع من الجهة الأخرى، فالكلام تشبيه وليس استعارة لوجود **كاف التشبيه** وهو أيضا تشبيه مفرد لا مركب.

والفريقان هما المعهودان في الذكر في هذا الكلام، وهما فريق المشركين وفريق المؤمنين، إذ قد سبق ما يؤذن بهذين الفريقين من قوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ [هود: ١٨]. ثم قوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم﴾ [هود: ٢٣] الآية.

والفريق: الجماعة التي تفارق، أي يخالف حالها حال جماعة أخرى في عمل أو نحلة. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ في سورة الأنعام[٨١].

شبه حال فريق الكفار في عدم الانتفاع بالنظر في دلائل وحدانية الله الواضحة من مخلوقاته بحال الأعمى، وشبهوا في عدم الانتفاع بأدلة القرآن بحال من هو أصم.

وشبه حال فريق المؤمنين في ضد ذلك بحال من كان سليم البصر، سليم السمع فهو في هدى ويقين من مدركاته.

وترتيب الحالين المشبه بهما في الذكر على ترتيب ذكر الفريقين فيما تقدم ينبي بالمراد من كل فريق على طريقة النشر المرتب. والترتيب في اللف والنشر هو الأصل والغالب.

وقد علم أن المشبهين بالأعمى والأصم هم الفريق المقول فيهم: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ [هود: ٢٠].

والواو في قوله: ﴿والأصم﴾ للعطف على ﴿الأعمى﴾ عطف أحد المشبهين على الآخر. وكذلك الواو في قوله: ﴿والسميع﴾ للعطف على ﴿والبصير﴾ .." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٧٥/١١

(٢) التحرير والتنوير، ٢٣٥/١١

"فعل القول إذا وقع في سياق المحاورة، لأن جملة ﴿سخروا﴾ تتضمن أقوالا تنبني عن سخريتهم أو تبين عن كلام في نفوسهم.

وجمع الضمير في قوله: ﴿منا﴾ يشير إلى أنهم يسخرون منه في عمل السفينة ومن الذين آمنوا به إذ كانوا حوله واثقين بأنه يعمل عملا عظيما، وكذلك جمعه في قوله: ﴿فإنا نسخر منكم﴾ .

والسخرية: الاستهزاء. وهو تعجب باحتقار واستحماق. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿فحاق بالذين سخروا منهم﴾ في أول سورة الأنعام [١٠]، وفعلها يتعدى ب"من".

وسخريتهم منه حمل فعله على العبث بناء على اعتقادهم أن ما يصنعه لا يأتي بتصديق مدعاه.

وسخرية نوح – عليه السلام – والمؤمنين. من الكافرين من سفه عقولهم وجهلهم بالله وصفاته. فالسخريتان مقترنتان في الزمن.

وبذلك يتضح وجه التشبيه في قوله: ﴿كما تسخرون﴾ فهو تشبيه في السبب الباعث على السخرية، وإن كان بين السببين بون.

ويجوز أن تجعل **كاف التشبيه** مفيدة معنى التعليل كالتي في قوله تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ [البقرة: ١٩٨] فيفيد التفاوت بين السخريتين، لأن السخرية المعللة أحق من الأخرى، فالكفار سخروا من نوح عليه السلام لعمل يجهلون غايته، ونوح عليه السلام وأتباعه سخروا من الكفار لعلمهم بأنهم جاهلون في غرور، كما دل عليه قوله: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ فهو تفريع على جملة ﴿فإنا نسخر منكم﴾ أي سيظهر من هو الأحق بأن يسخر منه.

وفي إسناد "العلم" إلى ضمير المخاطبين دون الضمير المشارك بأن يقال: فسوف نعلم، إيماء إلى أن المخاطبين هم الأحق بعلم ذلك. وهذا يفيد أدبا شريفا بأن الواثق بأنه على الحق لا يزعزع ثقته مقابلة السفهاء أعماله النافعة بالسخرية، وأن عليه وعلى أتباعه أن يسخروا من الساخرين.

والخزي: الإهانة، وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ في آخر سورة آل عمران [١٩٢].." (١)

"لأن حكمة الله تقتضي المساواة في الجزاء على الأعمال المتماثلة.

والاستثناء بقوله: ﴿إلا كما يعبد﴾ استثناء من عموم المصادر. **وكاف التشبيه** نائبة عن مصدر محذوف. التقدير: إلا عبادة كما يعبد آباؤهم.

---

(١) التحرير والتنوير، ١١/٢٥٧

والآباء: أطلق على الأسلاف، وهم عاد وثمود. وذلك أن العرب العدنانيين كانت أمهم جرهمية، وهي امرأة إسماعيل، وجرهم من إخوة ثمود، وثمود إخوة لعاد، ولأن قريشا كانت أمهم خزاعية وهي زوج قصي. وعبادة الأصنام في العرب أتاهم بها عمرو بن يحيى، وهو جد خزاعة.

وعبر عن عبادة الآباء بالمضارع للدلالة على استمرارهم على تلك العبادة، أي إلا كما اعتاد آباؤهم عبادتهم. والقرينة على المضي قوله: ﴿من قبل﴾ ، فكأنه قيل: إلا كما كان يعبد آباؤهم. والمضاف إليه ﴿قبل﴾ محذوف تقديره: من قبلهم، تنصيصا على أنهم سلفهم في هذا الضلال وعلى أنهم اقتدوا بهم.

وجملة ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾ عطف على جملة التعليل والمعطوف هو المعلول، وقد تسلط عليه معنى **كاف التشبيه** لذلك. فالمعنى: وإنا لموفوهم نصيبهم من العذاب كما وفينا أسلافهم.

والتوفية: إكمال الشيء غير منقوص.

والنصيب: أصله الحظ. وقد استعمل "موفوهم" و"نصيبهم" هنا استعمالا تهكميا كأن لهم عطاء يسألونه فوفوه، فوقع قوله: ﴿غير منقوص﴾ حالا مؤكدة لتحقيق التوفية زيادة في التهكم، لأن من إكرام الموعود بالعطاء أن يؤكد له الوعد ويسمى ذلك بالبشارة.

والمراد نصيبهم من عذاب الآخرة، فإن الله لم يستأصلهم كما استأصل الأمم السابقة ببركة النبيء صلى الله عليه وسلم إذ قال: "لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده" .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب﴾ .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ .

اعتراض لتثبيت النبيء صلى الله عليه وسلم وتسليته بأن أهل الكتاب وهم أحسن حالا من أهل الشرك قد أوتوا الكتاب فاختلفوا فيه، وهم أهل ملة واحدة فلا تأس من اختلاف قومك عليك،." (١)

"ووجه الأمر إلى النبيء صلى الله عليه وسلم تنويها ليبنى عليه قوله: ﴿كما أمرت﴾ فيشير إلى أنه المتلقي للأوامر الشرعية ابتداء. وهذا تنويه له بمقام رسالته، ثم أعلم بخطاب أمته بذلك بقوله: ﴿ومن تاب معك﴾ . **وكاف التشبيه** في قوله: ﴿كما أمرت﴾ في موضع الحال من الاستقامة المأخوذة من "استقم". ومعنى تشبيه الاستقامة المأمور بها بما أمر به النبيء صلى الله عليه وسلم لكون الاستقامة ممثالة لسائر ما أمر به، وهو تشبيه المجمل بالمفصل في تفصيله بأن يكون طبقه. ويؤول هذا المعنى إلى أن تكون الكاف

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٣٤/١١

في معنى "على" كما يقال: كن كما أنت. أي لا تتغير ولتشبه أحوالك المستقبلة حالتك هذه.

﴿ومن تاب﴾ عطف على الضمير المتصل في ﴿أمرت﴾ . ومصحح العطف موجود وهو الفصل بالجار والمجرور.

﴿ومن تاب﴾ هم المؤمنون، لأن الإيمان توبة من الشرك. و ﴿معك﴾ حال من ﴿تاب﴾ وليس متعلقا ب ﴿تاب﴾ لأن النبيء صلى الله عليه وسلم لم يكن من المشركين.

وقد جمع قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ أصول الصلاح الديني وفروعه لقوله: ﴿كما أمرت﴾ .

قال ابن عباس: "ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد ولا أشق من هذه الآية عليه. ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: لقد أسرع إليك الشيب "شيبتي هود وأخواتها". وسئل عما في هود فقال: قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ .

﴿ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾

الخطاب في قوله: ﴿ولا تطغوا﴾ موجه إلى المؤمنين الذين صدق عليهم ﴿ومن تاب معك﴾ .

والطغيان أصله التعاظم والجراءة وقلة الاكتراث، وتقدم في قوله تعالى: ﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ في سورة البقرة [١٥]. والمراد هنا الجراءة على مخالفة ما أمروا به، قال تعالى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي﴾ . فنهى الله المسلمين عن مخالفة أحكام كتابه كما نهى بني إسرائيل. وقد شمل الطغيان أصول المفاسد، فكانت الآية جامعة لإقامة المصالح ودرء المفاسد، فكان النهي عنه جامعا لأحوال مصادر الفساد من نفس المفسد وبقي ما يخشى." (١)

"فما صدق ﴿من﴾ الأولى هم الذين وعدهم الله الوعد الحسن وهم المؤمنون، وما صدق ﴿من﴾ الثانية جمع هم الكافرون. والاستفهام مستعمل في إنكار المشابهة والمماثلة التي أفادها **كاف التشبيه** فالمعنى أن الفريقين ليسوا سواء إذ لا يستوي أهل نعيم عاجل زائل وأهل نعيم آجل خالد.

وجملة ﴿فهو لاقيه﴾ معترضة لبيان أنه وعد محقق، والفاء للتسبب.

وجملة ﴿ثم هو﴾ الخ عطف على جملة ﴿متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فهي من تمام صلة الموصول. و ﴿ثم﴾ للتراخي الرتبي لبيان أن رتبة مضمونها في الخسارة أعظم من مضمون التي قبلها، أي لم تقتصر خسارتهم على حرمانهم من نعيم الآخرة بل تجاوزت إلى التعويض بالعذاب الأليم.

ومعنى ﴿من المحضرين﴾ أنه من المحضرين للجزاء على ما دل عليه التوبيخ في ﴿أفلا تعقلون﴾ [القصص:

---

(١) التحرير والتنوير، ١١/٣٤٠

٦٠] والمقابلة في قوله ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا﴾ المقتضية أن الفريق المعين موعودون بضد الحسن، فحذف متعلق ﴿المحضرين﴾ اختصارا كما حذف في قوله ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ [الصافات: ٥٧] وقوله ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين﴾ [الصافات: ١٢٧، ١٢٨] [٦٢-٦٣] ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾

تخلص من إثبات بعثة الرسل وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى إبطال الشركاء لله، فالجملة معطوفة على جملة ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا﴾ [القصص: ٦١] مفيدة سبب كونهم من المحضرين، أي لأنهم من دون الله شركاء وزعموا أنهم يشفعون لهم فإذا هم لا يجدونهم يوم يحضرون للعذاب، فلك أن تجعل مبدأ الجملة قوله ﴿يناديهم﴾ فيكون عطفا على جملة ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ [القصص: ٦١] أي يحضرون ويناديهم فيقول: أين شركائي﴾ الخ. ولك أن تجعل مبدأ الجملة قوله ﴿يناديهم﴾ . ولك أن تجعله عطف مفردات فيكون ﴿ويوم يناديهم﴾ عطفا على ﴿يوم القيامة من المحضرين﴾ [القصص: ٦١] فيكون ﴿يوم يناديهم﴾ عين ﴿يوم القيامة﴾ وكان حقه أن يأتي بدلا من ﴿يوم القيامة﴾ لكنه عدل عن الإبدال إلى العطف لاختلاف حال ذلك اليوم باختلاف العنوان، فنزل منزلة يوم زيادة في تهويل ذلك اليوم.." (١)

"حين تحققوه بما حاصلة: أنهم لو عملوا أن البعث يكون بعد ساعة من الحلول في القبر لأقروا به. وقد أنبأ عن هذا تسمية كلامهم هذا معذرة بقوله عقبه: ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ [الروم: ٥٧]. وهذه فتنة أصيبوا بها حين البعث جعلها الله لهم ليكونوا هزأة لأهل النشور. ويتضح غلطهم وسوء فهمهم كما دل عليه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والأيمان﴾ الآية [الروم: ٥٦]، وقد أومأ إلى أن هذا هو المراد من الآية أنه قال عقب ذلك ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ ، أي كهذا الخطأ كانوا في الدنيا يصرفون عن الحق بمثل هذه الترهات. وتقدم شيء من هذا في المعنى عند قوله تعالى: ﴿يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما﴾ في سورة طه [١٠٣، ١٠٤]. وبلغ من ضلالهم في ذلك أنهم يقسمون عليه، وهذا بعد ما يجزي بينهم من الجدال من قول بعضهم: ﴿إن لبثتم إلا عشرا﴾ . وقول بعضهم ﴿إن لبثتم إلا يوما﴾ ، وقول آخرين ﴿لبثنا يوما أو بعض يوم﴾ [الكهف: ١٩] وبعض اليوم يصدق بالساعة، كما حكي عنهم في هذه الآية. والظاهر أن هذا

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٧/٢٠

القسم يتخاطبون به فيما بينهم كما اقتضته آية سورة طه، أو هو حديث آخر أعلنوا به حين اشتد الخلاف بينهم لأن المصير إلى الحلف يؤذن بمشادة ولجاج في الخلاف. وفي قوله: ﴿الساعة﴾ و ﴿ساعة﴾ الجناس التام.

وجملة ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ استئناف بياني لأن غرابة حالهم من فساد تقدير المدة والقسم عليه مع كونه توهما يثير سؤال سائل عن مثار هذا الوهم في نفوسهم فكان قوله: ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ بيانا لذلك. ومعناه: أنهم لا عجب في صدور ذلك منهم فإنهم كانوا يجيئون بمثل تلك الأوهام مدة كونهم في الدنيا، فتصرفهم أوهامهم عن اليقين، وكانوا يقسمون على عقائدهم كما في قوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ [النحل: ٣٨] استخفافا بالأيمان، وكذلك إشارة إلى انصرافهم عن الحق يوم البعث. والمشار إليه هو المشبه به والمشبه محذوف دل عليه **كاف التشبيه**، والتقدير: إفكا مثل إفكهم هذا كانوا يؤفكون به في حياتهم الدنيا. والمقصود من التشبيه المماثلة والمساواة.

والإفك بفتح الهمزة: الصرف وهو من باب ضرب، ويعدى إلى الشيء المصروف عنه بحرف ﴿عن﴾، وقد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ في سورة العنكبوت [٦٠]. ولم يسند إفكهم إلى آفك معين لأن بعض صرفهم يكون من أوليائهم وأئمة دينهم، وبعضه من طبع الله على قلوبهم.

وإقحام فعل ﴿كانوا﴾ للدلالة على أن المراد في زمان قبل ذلك الزمن، أي في زمن." (١)

"و ﴿ثم﴾ للتراخي الرتبي لأن مرجع الأشياء إلى تصرفه بعد صدورها من لدنه أعظم وأعجب.

وقد أفاد التركيب أن تدبير الأمور من السماء إلى الأرض من وقت خلقهما وخلق ما بينهما يستقر على ما دبر عليه كل بحسب ما يقتضيه حال تدبيره من استقراره، ويزول بعضه ويبقى بعضه ما دامت السماوات والأرض، ثم يجمع ذلك كله فيصير إلى الله مصيرا مناسبا لحقائقه؛ فالذوات تصير مصير الذوات والأعراض والأعمال تصير مصير أمثالها، أي يصير وصفها ووصف أصحابها إلى علم الله وتقدير الجزاء، فذلك المصير هو المعبر عنه بالعروج إلى الله فيكون الحساب على جميع المخلوقات يومئذ.

واليوم من قوله: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ هو اليوم الذي جاء ذكره في آية سورة الحج [٤٧] بقوله: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ .

ومعنى تقديره بألف سنة أنه تحصل فيه من تصرفات الله في كائنات السماء والأرض ما لو كان من عمل الناس لكان حصول مثله في ألف سنة، فلك أن تقدر ذلك بكثرة التصرفات، أو بقطع المسافات، وقد

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/٨٠

فرضت في ذلك عدة احتمالات. والمقصود: التنبيه على عظم القدرة وسعة ملكوت الله وتدبيره. ويظهر أن هذا اليوم هو يوم الساعة، أي ساعة اضمحلال العالم الدنيوي، وليس اليوم المذكور هنا هو يوم القيامة المذكور في سورة المعارج قاله ابن عباس: ولم يعين واحدا منهما، وليس من غرض القراء تعيين أحد اليومين ولكن حصول العبرة بأهوالهما.

وقوله: ﴿في يوم﴾ يتنازعه كل من فعلي ﴿يدبر﴾ و ﴿يعرج﴾ ، أي يحصل الأمران في يوم.

و ﴿ألف﴾ عند العرب منتهى أسماء العدد وما زاد على ذلك من المعدودات يعبر عنه بأعداد أخرى مع عدد الألف كما يقولون خمسة آلاف، ومائة ألف، وألف ألف.

و ﴿ألف﴾ يجوز أن يستعمل كناية عن الكثرة الشديدة كما يقال: زرتك ألف مرة، وقوله تعالى: ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة﴾ [البقرة: ٩٦]، وهو هنا بتقدير **كاف التشبيه** أو كلمة نحو، أي كان مقداره كألف سنة أو نحو ألف سنة كما في قوله: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج: ٤٧].

ويجوز أن يكون ﴿ألف﴾ مستعملا في صريح معناه. وقوله: ﴿مما تعدون﴾ ، أي: مما تحسبون في أعدادكم، و ﴿ما﴾ مصدرية أو موصولية وهو وصف لـ﴿ألف سنة﴾ . وهذا الوصف لا يقتضي كون اسم ﴿ألف﴾ مستعملا." (١)

"كاحتواء المنبع على مائه والمعدن على ترابه ومثله قوله تعالى ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ [البقرة: ١٧٩].

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾

خبر ثالث أو رابع عن الضمير في قوله ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [الشورى: ٩]. وموقع هذه الجملة كالنتيجة للدليل فإنه لما قدم ما هو نعم عظيمة تبين أن الله لا يماثله شيء من الأشياء في تدبيره وإنعامه. ومعنى ﴿ليس كمثله شيء﴾ ليس مثله شيء، فأقحمت **كاف التشبيه** على "مثل" وهي بمعناه لأن معنى المثل هو التشبيه، فتعين أن الكاف مفيدة تأكيدا لمعنى المثل، وهو من التأكيد اللفظي باللفظ المرادف من غير جنسه، وحسنه أن المؤكد اسم فأشبه مدخول **كاف التشبيه** المخالف لمعنى الكاف فلم يكن فيه الثقل الذي في قول خطام المجاشعي:

وصاليات ككما يؤثفين١

وإذ قد كان المثل واقعا في حيز النفي فالكاف تأكيد لنفيه فكأنه نفي المثل عنه تعالى بجملتين تعليما

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٨/٢١

للمسلمين كيف يبطلون مماثلة الأصنام لله تعالى وهذا الوجه هو رأي ثعلب وابن جني والزجاج والراغب وأبي البقاء وابن عطية.

وجعله في الكشاف وجها ثانيا، وقدم قبله أن تكون الكاف غير مزيدة، وأن التقدير: ليس شبيه مثله شيء. والمراد: ليس شبه ذاته شيء، فأثبت لذاته مثلا ثم نفي عن ذلك المثل أن يكون له مماثل كناية عن نفي المماثل لذات الله تعالى، أي بطريق لازم اللازم لأنه إذا نفي المثل عن مثله فقد انتفى المثل عنه إذ لو كان له مثل لما استقام قولك: ليس شيء مثل مثله. وجعله من باب قول العرب: فلان قد أيفعت لداته، أي أيفع هو فكني بإيفاع لداته عن إيفاعه وقول رقيقة بنت صيفي٢ في حديث سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته اه، أي ويكون معهم الطيب الطاهر يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

وتبعه على ذلك ابن المنير في الانتصاف، وبعض العلماء يقول: هو كقولك ليس

_

١ رجز وقبله:

لم يبق من آي بها تحيين

غير حطام ورمادي كفتين

٢ هي رقيقة بقافين بصيغة التصغير بنت صيفي "والصواب أبي صيفي" بن هشام بن عبد المطلب.." (١)

"وجملة ﴿إنه بكل شيء عليم﴾ استئناف بياني هو كالعلة لقوله ﴿لمن يشاء﴾ أي أن مشيئته جارية على حسب علمه بما يناسب أحوال المرزوقين من بسط أو قدر.

وبيان هذا في قوله الآتي ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ [الشورى: ٢٧] ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣] انتقال من الامتنان بالنعم الجثمانية إلى الامتنان بالنعمة الروحية بطريق الإقبال على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين للتنويه بدين الإسلام وللتعريض بالكفار الذين أعرضوا عنه. فالجملة ابتدائية.

ومعنى ﴿شرع﴾ أوضح وبين لكم مسالك ما كلفكم به. وأصل ﴿شرع﴾ جعل طريقا واسعة، وكثر إطلاقه على سن القوانين والأديان فسمي الدين شريعة. فشرع هنا مستعار للتبيين كما في قوله ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى: ٢١]، وتقدم في قوله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٥/٢٥

ومنهاجا﴾ في سورة العقود.[٤٨]
والتعريف في ﴿الدين﴾ تعريف الجنس، وهو يعم الأديان الإلهية السابقة. و ﴿من﴾ للتبعيض. والتوصية: الأمر بشيء مع تحريض على إيقاعه والعمل به. ومعنى كونه شرع للمسلمين من الدين ما وصى به نوحا أن الإسلام دين مثل ما أمر به نوحا وحضه عليه. فقوله ﴿ما وصى به نوحا﴾ مقدر فيه مضاف، أي مثل ما وصى به نوحا، أو هو بتقدير **كاف التشبيه** على طريقة التشبيه البليغ مبالغة في شدة المماثلة حتى صار المثل كأنه عين مثله. وهذا تقدير شائع كقول ورقة بن نوفل هذا هو الناموس الذي أنزل على عيسى.
والمراد: المماثلة في أصول الدين مما يجب لله تعالى من الصفات، وفي أصول الشريعة من كليات التشريع، وأعظمها توحيد الله، ثم ما بعده من الكليات الخمس." (١)
"في الآخرة كما أنا أفضل حالا منكم في الدنيا. وتأويل نزول هذه الآية على هذا السبب أن حدوث قول هؤلاء النفر صادف وقت نزول هذه الآيات من السورة أو أن قولهم هذا متكرر فناسب تعرض الآية له حقه.
ونزول الآية على هذا السبب لإبطال كلامهم في ظاهر حاله وإن كانوا لم يقولوه عن اعتقاد وإنما قالوه استهزاء، لئلا يروج كلامهم على دهمائهم والحديثين في الإسلام لأن شأن التصدي للإرشاد أن لا يغادر مغمزا لرواج الباطل إلا سده، كما في قوله تعالى ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ [مريم: ٧٨،٧٧] وله نظائر في القرآن.
وزاد القرطبي في حكاية كلام الكلبي أنهم قالوه حين برزوا لهم يوم بدر، وهو لا يستقيم لأن السورة مكية ولم ينقل عن أحد استثناء هذه الآية منها.
والاجتراح: الاكتساب، وصيغة الافتءال فيه للمبالغة، وهو مشتق من الجرح فأطلق على اكتساب السباع ونحوها، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح وسمي به اكتساب الناس لأن غالب كسبهم في الجاهلية كان من الإغارة على إبل القوم وهي بالرماح، قالت أم رزع: فنكحت بعده رجلا سريا، ركب شريا، وأخذ خطيا وأراح علي نعما ثريا ، ولذلك غلب إطلاق الاجتراح على اكتساب الإثم والخبيث.
وظاهر تركيب الآية أن قوله ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ داخل في الحسبان المنكور فيكون المعنى: إنكار أن يستوي المشركون مع المؤمنين لا في الحياة ولا بعد الممات، فكما خالف الله بين حاليهم في الحياة الدنيا فجعل فريقا كفرة مسيئين وفريقا مؤمنين محسنين، فكذلك سيخالف بين حاليهم في الممات فيموت

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٨/٢٥

المشركون على اليأس من رحمة الله إذ لا يوقنون بالبعث ويلاقون بعد الممات هول ما توعدهم الله به، ويموت المؤمنون رجاء رحمة الله والبشرى بما وعدوا به ويلاقون بعد الممات ثواب الله ورضوانه.

وقرأ الجمهور ﴿سواء﴾ مرفوعا فيكون موقع جملة ﴿سواء محياهم﴾ موقع البدل من **كاف التشبيه** التي هي بمعنى مثل على ما ذهب إليه صاحب الكشاف يريد أنه بدل مطابق لأن الجملة تبدل من المفرد على الأصح، والبدل المطابق هو عطف البيان عند التحقيق، فيكون جملة ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ بيان ما حسبه المشركون. وقرأه حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف منصوبا، فلفظ ﴿سواء﴾ وحده بدل من كاف المماثلة، بدل مفرد من مفرد أو حال من ضمير النصب في ﴿نجعلهم﴾ وهذا لأن." (١)

"وفي هذا امتنان على الناس بخلق نظام النوم فيهم لتحصل لهم راحة من أتعاب العمل الذي يكدحون له في نهارهم فالله تعالى جعل النوم حاصلا للإنسان بدون اختياره، فالنوم يلجئ الإنسان إلى قطع العمل لتحصل راحة لمجموعه الهصبي الذي ركنه في الدماغ، فبتلك الراحة يستجد العصب قواه التي أوهنها عمل الحواس وحركات الأعضاء وأعمالها، بحيث لو تعلقت رغبة أحد بالسهر لا بد له من أن يغلبه النوم وذلك لطف بالإنسان بحيث يحصل له ما به منفعة مداركه قسرا عليه لئلا يتهاون به، ولذلك قيل: إن أقل الناس نوما أقصرهم عمرا وكذلك الحيوان.

[١٠] ﴿وجعلنا الليل لباسا﴾.

من إتمام الاستدلال الذي قبله وما فيه من المنة لأن كون الليل لباسا حالة مهيئة لتكيف النوم ومعينة على هنائه والانتفاع به لأن الليل ظلمة عارضة في الجو من مزايلة ضوء الشمس عن جزء من كرة الأرض وبتلك الظلمة تحتجب المرئيات عن الإبصار فيعسر المشي والعمل والشغل وينحط النشاط فتتهيأ الأعصاب للخمول ثم يغشاها النوم فيحصل السبات بهذه المقدمات العجيبة، فلا جرم كان نظام الليل آية على انفراد الله تعالى بالخلق وبديع تقديره.

وكان دليلا على أن إعادة الأجسام بعد الفناء غير متعذرة عليه تعالى فلو تأمل المنكرون فيها لعلموا أن الله قادر على البعث فلما كذبوا خبر الرسول صلى الله عليه وسلم به، وفي ذلك امتنان عليهم بهذا النظام الذي فيه اللطف بهم وراحة حياتهم لو قدروه حق قدره لشكروه وما أشركوا، فكان تذكر حالة الليل سريع الخطورة بالأذهان عند ذكر حالة النوم فكان ذكر النوم مناسبة للانتقال إلى الاستدلال بحالة الليل على حسب أفهام السامعين.

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٧٠/٢٥

والمعني من جعل الليل لباسا يحوم حول وصف حالة خاصة بالليل عبر عنها باللباس.

فيجوز أن يكون اللباس محمولا على معنى الاسم وهو المشهور في إطلاقه، أي ما يلبسه الإنسان من الثياب فيكون وصف الليل به على تقدير **كاف التشبيه** على طريقة التشبيه البليغ، أي جعلنا الليل للإنسان كاللباس له، فيجوز أن يكون وجه الشبه هو التغشية. وتحته ثلاثة معان:

أحدها: أن الليل ساتر للإنسان كما يستره اللباس، فالإنسان في الليل يختلي بشؤونه." (١)

"أحدهما : أن يكون مجرورا عطفا على " ذكركم " المجرور **بكاف التشبيه** ، تقديره : أو كذكر أشد ذكرا ، فتجعل للذكر ذكرا مجازا ، وإليه ذهب الزجاج ، وتبعه أبو البقاء – رضي الله عنه – وابن عطية.

والثاني : أنه مجرور عطفا على المخفوض بإضافة المصدر إليه ، وهو ضمير المخاطبين ، قال الزمخشري : أو أشد ذكرا في موضع جر عطفا على ما أضيف إليه الذكر في قوله : ﴿كذكركم آبآءكم أو أشد ذكرا﴾ ؛ كما تقول : "كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا " وهو حسن ، وليس فيه تجوز بأن يجعل للذكر ذكر ؛ لأنه جعل " أشد " من صفات الذاكرين ، إلا أن فيه العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ، وهو ممنوع عند البصريين ، ومحل ضرورة.

وأما نصبه فمن أوجه : أحدها : أن يكون معطوفا على " آباءكم " قال الزمخشري ، فإنه قال : " بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم " ؛ إلى أن " ذكرا " من فعل المذكور هو كلام يحتاج إلى تفسير ، فقوله : " هو معطوف على آباءكم " : معناه أنك إذا عطفت " أشد " على " آباءكم " ، كان التقدير : أو قوما أشد ذكرا من آبائكم ، فكان القوم مذكورين ، والذكر الذي هو تمييز بعد " أشد " هو من فعلهم ، أي : من فعل القوم المذكرين ؛ لأنه جاء بعد " أفعل " الذي هو صفة للقوم ، ومعنى " من آبائكم " أي من ذكركم لآبائكم ، وهذا أيضا ليس فيه تجوز بأن جعل الذكر ذاكرا.

الثاني : أن يكون معطوفا على محل الكاف في "كذكركم " ؛ لأنها عندهم نعت لمصدر محذوف ، تقديره : " ذكرا كذكركم آباءكم أو أشد " وجعلوا الذكر ذاكرا مجازا ؛ كقولهم : شعر شاعر ، وهذا تخريج أبي علي وابن جني.

الثالث : قاله مكي : أن يكون منصوبا بإضمار فعل ، قال : تقديره : " فاذكروه ذكرا أشد من ذكركم لآبائكم " ؛ فيكون نعتا لمصدر في موضع الحال ، أي : اذكروه بالغين في الذكر.

الرابع : أن يكون منصوبا بإضمار فعل الكون ، قال أبو البقاء : " وعندي أن الكلام محمول على المعنى

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨/٣٠

، والتقدير : أو كونوا أشد لله ذكرا منكم لآبائكم ، ودل على هذا المعنى قوله : ﴿فاذكروا الله﴾ أي : كونوا ذاكريه ، وهذا أسهل من حمله على المجاز " يعنى المجاز الذي تقدم ذكره عن الفارسي وتلميذه.
٤٣٤
الخامس : أن يكون " أشد " نصبا على الحال من " ذكرا " ؛ لأنه لو تأخر عنه ، لكان صفة له ؛ كقوله :
[مجزوء الوافر] ١٠٠٥ - لمية موحشا طلل
يلوح كأنه خلل
"

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٣١
." (١)

"آتيناهم ، ثم قال : كثيرا من الآيات التي آتيناهم ، والاستفهامية لا تحتاج إلى ذلك.
و " من آية " فيه وجهان : أحدهما : أنها مفعول ثان على القول بأن "كم " منصوبة على الاشتغال ؛ كما تقدم ، ويكون مميز "كم " محذوفا ، و " من " زائدة في المفعول ؛ لأن الكلام غير موجب ، إذ هو استفهام ، وهذا إذا قلنا إن "كم " استفهامية لا خبرية ؛ إذ الكلام مع الخبرية إيجاب ، و " من " لا تزاد في الواجب إلا على رأي الأخفش ، والكوفيين ، بخلاف ما إذا كانت استفهامية.
قال أبو حيان : فيمكن أن يجوز ذلك فيه لانسحاب الاستفهام على ما بعده وفيه بعد ، لأن متعلق الاستفهام هو المفعول الأول لا الثاني ، فلو قلت : "كم من درهم أعطيته من رجل " على زيادة " من " في " رجل " لكان فيه نظر " انتهى.
والثاني : أنها تمييز ، ويجوز دخول " من " على مميز "كم " استفهامية كانت أو خبرية مطلقا ، أي : سواء وليها ممزها ، أم فصل بينهما بجملة ، أو ظرف أو جار ومجرور ، على ما قرره النحاة ، و "كم " وما في حيزها في محل نصب أو خفض ، لأنها في محل المفعول الثاني للسؤال فإنه يتعدى لاثنين : إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بحرف جر : إما عن ، وإما الباء ؛ نحو : سألته عن كذا وبكذا ؛ قال تعالى : ﴿فاسأل به خبيرا﴾ [الفرقان : ٥٩] ، وقد جمع بينهما في قوله : [الطويل] ١٠٣٢ -
فأصبحن لا يسألنني عن بما به
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٨٨

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٦٣٥

....

وقد يحذف حرف الجر ، فمن ثم جاز في محل "كم " النصب ، والخفض بحسب التقديرين ، و "كم " هنامعلقة للسؤال ، والسؤال لا يعلق إلا بالاستفهام ؛ كهذه الآية ، وقوله تعالى : ﴿﴾ [القلم : ٤٠] ، وقوله : [الطويل] ١٠٣٣ - يا أيها الراكب المزجي مطيته

سائل بني أسد ما هذه الصوت

وقال آخر : [السبيط]

٤٩٠

١٠٣٤ - ....

واسأل بمصقلة البكري ما فعلا

وإنما علق السؤال ، وإن لم يكن من أفعال القلوب ؛ قالوا : لأنه سبب للعلم ، والعلم يعلق ، فكذلك سببه ، وإذا كانوا قد أجروا نقيضه في التعليق مجراه في قوله : [الطويل] ١٠٣٤ - ومن أنتم إنا نسينا من أنتم

وريحكم من أي ريح الأعاصر

فإجراؤهم سببه مجراه أولى.

واختلف النحاة في "كم " : هل بسيطة ، أو مركبة من **كاف التشبيه** وما الاستفهامية ، حذفت ألفها ؛ لانجرارها ، ثم سكنت ميمها ، كما سكنت ميم " لم " من " لم فعلت كذا " في بعض اللغات ، فركبتا تركيبا لازما ؟ والصحيح الأول.

وأكثر ما تجيء في القرآن خبرية مرادا بها التكثير ، ولم يأت ممزها في القرآن إلا مجرورا بمن.

قال أبو مسلم : في الآية حذف ، والتقدير : كم آتيناهم من آية بينة ، وكفروا بها ، ويدل على هذا الإضمار قوله : ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾.

فصل اعلم أنه ليس المقصود اسأل بني إسرائيل ليخبروك عن تلك الآيات لتعلمها ؛ لأنه - عليه السلام - كان علاما بها بإعلام الله له ، وإنما المقصود المبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله تعالى ، فهو سؤال على جهة التقريع والتوبيخ ؛ لأنه أمر بالإسلام ، ونهى عن الكفر بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كآفة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [البقرة : ٢٠٨] ثم قال : ﴿فإن زللتم﴾ [البقرة : ٢٠٩] أي : أعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ، بقوله : ﴿فإن زللتم من بعد ما جآءتكم البينات فاعلموا اا أن الله عزيز حكيم﴾ [البقرة : ٢٠٩] ، ثم هددهم بقوله : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في

ظلل من الغمام والملا اائكة﴾ [البقرة : ٢١٠] ، ثم ثلث التهديد بقوله : ﴿سل بنى إسرائيل﴾ يعني هؤلاء الحاضرين كم آتينا أسلافهم آيات بينات فأنكروها ، فلا جرم استوجبوا العقاب ، وهذا تنبيه لهؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلوا عن آيات الله ، لوقعوا في العذاب.

وفي المراد بـ " الآية البيںة " قولان :

٤٩١

(١) ".

"وقرئ : يؤته – بياء الغيبة – والضمير لله تعالى ، وكذلك : " وسنجزي الشاكرين " بالنون والياء.

فصل نزلت في الذين تركوا المركز يوم أحد ؛ طلبا للغنيمة ، ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ يعني : الغنيمة ، قوله : ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾ قيل : أراد الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا ، وهذه الآية – وإن وردت في الجهاد خاصة – عامة في جميع الأعمال ؛ لأن المؤثر في جلب الثواب والعقاب هو القصد والدواعي ، لا ظواهر الأعمال.

ثم قال : " وسنجزي الشاكرين " أي : المؤمنين المطيعين.

عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة.

ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه ، وشتت عليه أمره ، ولا يأتيه منها إلا ما كتب له "

وروى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه ".

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٧٤

هذه اللفظة ، قيل : هي مركبة من **كاف التشبيه** ، ومن " أي " ، وقد حدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير ، المفهوم من "كم " الخبرية ، ومثلها في التركيب وإفهام التكثير : "كذا " في قولهم : له عندي كذا درهما ، والأصل : **كاف التشبيه** و " ذا " الذي هو اسم إشارة ، فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير ، فـ "كم " الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى واحد ، وقد عهدنا في التركيب إحداث معنى آخر ؛ ألا ترى أن " لولا " حدث لها معنى جديد ، وكان من حقها – على هذا – أو يوقف عليها بغير نون ؛ لأن التنوين

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٦٦٧

يحذف وقفا ، إلا أن الصحابة كتبتها " كأين " - بثبوت النون - ، فمن ثم وقف عليها جمهور القراء بالنون ؛ اتباعا لرسم المصحف.

٥٧٩

ووقف أبو عمرو وسورة بن المبارك عن الكسائي " كأي " - من غير نون - على القياس.

واعتل الفارسي لوقف النون بأشياء ، منها : أن الكلمة لما ركبت خرجت عن نظائرها ، فجعل التنوين كأنه حرف أصلي من بنية الكلمة.

وفيها لغات خمس.

أحدها : " كين " - وهي الأصل - وبها قرأ الجماعة ، إلا ابن كثير.

وقال الشاعر : [الوافر] ١٦٤٧ - كأين في المعاشر من أناس

أخوهم فوقهم ، وهم كرام

الثانية : " كائن " - بزنة كاعن - وبها قرأ ابن كثير وجماعة ، وهي أكثر استعمالا من " كأين " وإن كانت تلك الأصل - .

قال الشاعر : [الوافر] ١٦٤٨ - وكائن بالأباطح من صديق

يراني لو أصبت هو المصابا

وقال الآخر : [الطويل] ١٦٤٩ - وكائن رددنا عنكم من مدجج

....

وقال آخر : [الطويل] ١٦٥٠

- وكائن ترى في الحي من ذي قرابة

....

٥٨٠

." (١)

"أنشده المفضل ممدودا ، مهموزا ، مخففا.

واختلفوا في توجيه هذه القراءة ، فنقل عن المبرد أنها اسم فاعل من كان ، يكون ، فهو كائن ، واستبعده مكي ، قال : لإتيان " من " بعده ، ولبنائه على السكون.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٢٦١

وكذلك أبو البقاء ، قال : " وهو بعيد الصحة ؛ لأنه لو كان كذلك لكان معربا ، ولم يكن فيه معنى التكثير ".

لا يقال : هذا تحامل على المبرد ؛ فإن هذا لازم له – أيضا – فإن البناء ، ومعنى التكثير عارضان – أيضا – لأن التركيب عهد فيه مثل ذلك – كما تقدم في "كذا " ، و " لولا " ، ونحوهما ، وأما لفظ مفرد ينقل غلى معنى ، ويبنى من غير سبب ، فلم يوجد له نظير.

وقيل : هذه القراءة أصلها "كأين " – كقراءة الجماعة – إلا أن الكلمة دخلها القلب ، فصارت "كائن " مثل كاعن – واختلفوا في تصييرها بالقلب كذلك على أربعة أوجه : أحدها : أنه قدمت الياء المشددة على الهمزة ، فصار وزنها كعلف ، إلا أنك قدمت العين والسلام ، وهما الياء المشددة – ثم حذفت الياء الثانية لثقلها بالحركة والتضعيف ، كما قالوا في : " أيها " ، ثم قلبت الياء الساكنة ألفا ، كما قلبوها في نحو آية – والأصل : أية – وكما قالوا : طائي – والأصل : طيئ – فصار اللفظ "كأين " ووزنه كعف ، لأن الفاء أخرت إلى موضع اللام ، واللام قد حذفت.

الوجه الثاني : أنه حذفت الياء الساكنة – التي هي عين – وقدمت المتحركة – التي هي لام – فتأخرت الهمزة – التي هي فاء – وقلبت الياء ألفا ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار "كائن " ووزنه كلف.

الوجه الثالث : ويعزى للخليل – أنه قدمت إحدى الياءين في موضع الهمزة ، فتحركت بحركة الهمزة – وهي الفتحة – وصارت الهمزة ساكنة في موضع الياء ، فتحركت الياء ، وانفتح ما قبلها ، فقلبت ألفا ، فالتقى الساكنان – الألف المنقلبة عن الياء ، والهمزة بعدها ساكنة – فكسرت الهمزة على أصل التقاء الساكنين ، وبقيت إحدى الياءين متطرفة ، فأذهبها التنوين – بعد سلب حركتها – كياء قاض وغاز.

الوجه الرابع : أنه قدمت الياء المتحركة ، فانقلبت ألفا ، وبقيت الأخرى ساكنة ، فحذفها التنوين – مثل قاض – ووزنه على هذين الوجهين أيضا كلف ؛ لما تقدم من حذف العين ، وتأخير الفاء ، وإنما الأعمال تختلف.

اللغة الثالثة : "كأين " – بياء خفيفة بعد الهمزة – على مثال كعين ، وبها قرأ ابن محيصن ، والأشهب العقيلي ، ووجهها أن الأصل : "كأين " – كقراءة الجماعة – فحذفت

٥٨١

الياء الثانية ، استثقالا ، فالتقى ساكنان – الياء والتنوين – فكسر الياء ؛ لالتقاء الساكنين ، ثم سكنت الهمزة تخفيفا لثقل الكلمة بالتركيب ، فصارت كالكلمة الواحدة كما سكنوا " فهو " و " فهي ".

اللغة الرابعة : "كيإن " بياء ساكنة ، بعدها همزة مكسورة ، وهذه مقلوب القراءة التي قبلها ، وقرأ بها بعضهم.

اللغة الخامسة : "كإن " – على مثال كع – ونقلها الداني قراءة عن ابن محيصن أيضا.

وقال الشاعر : [الطويل] ١٦٥١ – كئن من صديق خلته صادق الإخا

ء أبان اختباري أنه لي مداهن

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٧٩

وفيها وجهان : أحدهما : أنه حذف الياءين دفعة واحدة لامتزاج الكلمتين بالتركيب.

والثاني : أنه حذف إحدى الياءين – على ما تقدم تقريره – ، ثم حذف الأخرى لالتقائها ساكنة مع التنوين ووزنه – على هذا – كف ؛ لحذف العين واللام منه.

واختلفوا في " أي " هل هي مصدر في الأصل ، أم لا ؟ فذهب جماعة إلى أنها ليست مصدرا ، وهو قول أبي البقاء ؛ فإنه قال "كأين " الأصل فيه : " أي " ، التي هي بعض من كل ، أدخلت عليها **كاف التشبيه**.

وفي عبارته عن " أي " بأنها بعض من كل ، نظر لأنها ليست بمعنى : بعض من كل ، نعم إذا أضيفت إلى معرفة فحكمها حكم " بعض " في مطابقة الجزء ، وعود الضمير ، نحو : أي الرجلين قائم ولا نقول : قاما ، فليست هي التي " بعض " اصلا.

وذهب ابن جني إلى أنها – في الأصل – مصدر أوى يأوي – إذا انضم ، واجتمع – والأصل : أوي ، نحو طوى يطوي طيا – فاجتمعت الياء والواو ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ، وأدغمت في الياء ، وكأن ابن جني ينظر إلى أن معنى المادة من الاجتماع الذي يدل عليه " أي " فإنها للعموم ، والعموم يستلزم الاجتماع.

وهل هذه الكاف الداخلة على " أي " تتعلق بغيرها من حروف الجر ، أم لا ؟ والصحيح أنها لا تتعلق بشيء ؛ لأنها مع " أي " صارتا بمنزلة كلمة واحدة – وهي "كم " – فلم تتعلق بشيء ، ولذلك هجر معناه الأصلي – وهو التشبيه – .

وزعم الحوفي أنها تتعلق بعامل ، فقال : " أما العامل في الكاف ، فإن جعلناها على حكم الأصل ، فمحمول على المعنى ، والمعنى : إصابتكم كإصابة من تقدم من الأنبياء وأصحابهم ، وإن حملنا الحكم على الانتقال إلى معنى "كم " ، كان العامل بتقدير الابتداء ،

٥٨٢

." (١)

"وهو متعد بنفسه ، فأما قوله : ﴿دمر الله عليهم﴾ [محمد : ١٠] بمفعوله محذوف ، أي : خرب عليهم منازلهم وبيوتهم.

وقوله : ﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ أي : في أرض مصر من العمارات.

قوله : " يعرشون " قرأ ابن عامر ، وأبو بكر عن عاصم هنا وفي النحل ﴿يعرشون﴾ بضم الراء.

والباقون بالكسر فيهما ، وهما لغتان : " عرش الكرم يعرشه ويعرشه.

والكسر لغة الحجاز.

قال اليزيدي : وهي أفصح.

وقال مجاهد : ما كانوا يبنون من القصور والبيوت.

وقرئ شاذا بالغين المعجمة والسين المهملة ، من غرس الأشجار.

وقال الزمخشري وبلغني أنه قرأ بعض الناس يعرشون من عرش وما أظنه إلا تصحيفا.

وقرأ ابن أبي عبلة يعرشون بضم الياء وفتح العين ، وكسر الراء مشددة على المبالغة والتكثير.

وهذا آخر قصة فرعون.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٧٤

قوله : ﴿وجاوزنا ببنى إسرآئيل﴾ كقوله : ﴿فرقنا بكم البحر﴾ [البقرة : ٥٠] من كون الباء يجوز أن تكون للتعدية ، وأن تكون للحالية ، كقوله : [الوافر] ٢٥٦٥ - ....

تدوس بنا الجماجم والتريبا

وقد تقدم.

و " جاوز " بمعنى : جاز ، فـ " فاعل " بمعنى " فعل ".

وقرأ الحسن ، وإبراهيم ، وأبو رجاء ويعقوب جوزنا بالتشديد وهو أيضا بمعنى " فعل " المجرد كـ قدر وقدر.

قوله : يعكفون صفة لـ " قوم ".

وقرأ الأخوان " يعكفون " بكسر الكاف ، وتروى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٢٦٢

٢٩٢
عن ابي عمرو أيضا ، والباقون بالضم ، وهما لغتان في المضارع ك " يعرشون ".
وقد تقدم معنى " العكوف " واشتقاقه في البقرة.
قال قتادة : كان أولئك القوم من لخم ، وكانوا نزولا بالرقة.
وقال ابن جريج : كانت تلك الأصنام تماثيل بقر ، وذلك أول شأن قصة العجل.
قال الكلبي : عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه ، فصاموه شكرا لله عز وجل.
قوله : ﴿قالوا يا موسى اجعل لنآ إلاها﴾ أي : مثالا نعبده.
ولم يكن ذلك شكا من بني إسرائيل في وحدانية الله ، وإنما معناه : أجعل لنا شيئا نعظمه ، ونتقرب بتعظيمه إلى الله ، وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة ، وكان ذلك لشدة جهلهم ، لأن العبادة غاية التعظيم ، فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام ، وهو خالق الجسم ، والحياة والقدرة ، والعقل ، والأشياء المنتفع بها.
وليس ذلك إلا الله تعالى.
فصل واعلم أن هذا القول لم يصدر عن كلهم ، وإنما صدر من بعضهم ؛ لأنه كان مع موسى السبعون المختارون ، وفيهم من يرتفع عن مثل هذا السؤال.
قوله كما لهم آلهة الكاف في محل نصب صفة ب " إلها " ، أي : إلها مماثلا لإلههم.
وفي " ما " ثلاثة أوجه : أحدها : موصولة حرفية ، أي : تتأول بمصدر ، وعلى هذا فصلتها محذوفة ، وإذا حذفت صلة " ما " المصدرية ، فلا بد من إبقاء معمول صلتها ، كقولهم : لا أكلمك ما أن حراء مكانه ، أي : ما ثبت أن حراء مكانه ، وكذا هنا تقديره : كما ثبت لهم آلهة ، ف " آلهة " فاعل " ثبت " المقدر ، أي : كما أن " أن " المفتوحة في المثال المتقدم فاعل " ثبت " المقدر.
وقال أبو البقاء - هذا الوجه - ليس بجيد " والجملة بعدها صلة لها ، وحسن لك أن الظرف مقدر بالفعل ".
فصل قال شهاب الدين : كلامه على ظاهره ليس بجيد ؛ لأن " ما " المصدرية لا توصل بالجملة الاسمية على المشهور ، وعلى رأي من يجوز ذلك ، فيشترط فيها غالبا أن تفهم الوقت كقوله : [الكامل]
٢٩٣
٢٥٦٦ - واصل خليلك ما التواصل ممكن

فلأنت أو هو عن قريب ذاهب

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٩٢

ولكن المراد أن الجار مقدر بالفعل ، وحينئذ تؤول إلى جملة فعلية ، أي : كما استقر لهم آلهة.

الثاني : أن تكون " ما " كافة **لكاف التشبيه** عن العمل ، فإنها حرف جر ، وهذا كما تكف رب فيليها الجمل الاسمية ، والفعلية ، ولكن ليس ذلك على سبيل الوجوب ، بل يجوز في الكاف وفي " رب " مع " ما " الزائدة بعدهما وجهان : العمل والإهمال ، وعلى ذلك قول الشاعر : [الطويل] ٢٥٦٧ - وننصر مولانا ونعلم أنه

كما الناس مجروم عليه وجارم

وقول الآخر : [الخفيف] ٢٥٦٨ - ربما الجامل المؤبل فيهم

وعناجيج بينهن المهار

". (١)

"والثاني : أن تقديره : تعجيلا مثل استعجالهم ، ثم فعل به ما تقدم قبله ، وهذا تقدير أبي البقاء ، فقدر المحذوف مطابقا للفعل الذي قبله ؛ فإن " تعجيلا " مصدر لـ " عجل " ، وما ذكره مكي موافق للمصدر الذي بعده.

والذي يظهر ؛ ما قدره أبو البقاء ؛ لأن موافقة الفعل أولى ، ويكون قد شبه تعجيله تعالى باستعجالهم ، بخلاف ما قدره مك] ، فإنه لا يظهر ؛ إذ ليس " استعجال " مصدرا لـ " عجل " ، وقال الزمخشري : " أصله : ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير ، فوضع " استعجالهم بالخير " موضع تعجيله لهم الخير ؛ إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم ، كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم " ، قال أبو حيان : " ومدلول " عجل " غير مدلول " استعجل " ؛ لأن " عجل " يدل على الوقوع ، و " استعجل " يدل على طلب التعجيل ، وذلك واقع من الله - تعالى - ، وهذا مضاف إليهم ، فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري ، فيحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون التقدير : تعجيلا مثل استعجالهم بالخير ، فشبه التعجيل بالاستعجال ؛ لأن طلبهم للخير ، ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شيء.

والثاني : أن يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره : ولو يعجل الله للناس الشر ، إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير ؛ لأنهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم ، كما كانوا يستعجلون بالخير

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٤٢٧

."

الثالث : أنه منصوب على إسقاط الخافض ، وهو **كاف التشبيه** ، والتقدير : كاستعجالهم.

قال أبو البقاء : " وهو بعيد ؛ إذ لو جاز ذلك ، لجاز " زيد غلام عمرو " أي : كغلام عمرو " .

وبهذا ضعفه جماعة ، وليس بتضعيف صحيح ؛ إذ ليس في المثال الذي ذكر فعل يتعدى بنفسه عند حذف الجار ، وفي الآية فعل يصح فيه ذلك ، وهو قوله : " يعجل " ، وقال مكي : " ويلزم من يجوز حذف حرف الجر منه ، أن يجيز " زيد الأسد " ، أي : كالأسد ".

قال شهاب الدين : " قوله : ويلزم..

إلى آخره " ، لا رد فيه على هذا القائل ، إذ يلتزمه ، وهو التزام صحيح سائغ ؛ إذ لا ينكر أحد " زيد الأسد " ، على معنى : كالأسد ، وعلى تقدير التسليم ، فالفرق ما ذكره أبو البقاء ، أي : إن الفعل يطلب مصدرا مشبها ، فصار مدلولا عليه.

وقال بعضهم : تقديره : في استعجالهم ؛ نقله مكي ، فلما حذفت " في " انتصب ، وهذا لا معنى له ، وقال البغوي : المعنى " ولو يعجل الله إجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير ، أي : كما يحبون استعجالهم بالخير ".

٢٧٤

(١) ".

"وقول سليم : [الطويل] ٣٢٥٩. ومعتصم بالحي من خشية الردى

سيردى وغاز مشفق سيئوب

فإن حرف التنفيس ، و " غدا " خلصاه للاستقبال.

و " رب " تدخل على الاسم ، و " ربما " على الفعل ، ويقال : رب رجل جاءني ، وربما جاءني.

و " ما " في " ربما " ، تحتمل وجهين : أظهرهما : أنها المهيئة ، بمعنى أن " رب " مختصة بالأسماء ، فلما جاءت هنا " ما " هيأت دخولها على الأفعال وقد تقدم نظير ذلك [يونس : ٢٧] في " إن " وأخواتها ويكفها أيضا عن العمل ؛ كقوله : [الخفيف] ٣٢٦٠. ربما الجامل المؤبلش فيهم

....

في رواية من رفعه كما جرى ذلك في **كاف التشبيه**.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٧٢٤

والثاني : أن " ما " نكرة موصوفة بالجملة الواقعة بعدها ، والعائد على " ما " محذوف تقديره : رب شيء يوده الذين كفروا ، ومن لم يلتزم مضي متعلقها ، لم يحتج إلى تأويل ، ومن التزم ذلك قال : لأن المترقب في إخبار الله تعالى واقع لا محالة ، فعبر عنه بالماضي ، تحقيقا لوقوعه ؛ كقوله تعالى : ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل : ١] ونحوه.

قوله : " لو كانوا " يجوز في " لو " وجهان : أحدهما : أن تكون الامتناعية ، وحينئذ ، يكون

٤٢٤

جوابها محذوفا ، تقديره لو كانوا مسلمين لسروا أو تخلصوا مما هم فيه ، ومفعول " يود " محذوف على هذا التقدير ، أي : ربما يود الذين كفروا النجاة ، دل عليه الجملة الامتناعية.

والثاني : أنها مصدرية عند من يرى ذلك ، كما تقدم تقريره في البقرة [البقرة : ٩٦] ؛ وحنيئذ يكون هذا المصدر المؤول هو المفعول للودادة ، أي : يودون كونه مسلمين ، إن جعلنا " ما " كافة ، وإن جعلناها نكرة ، كانت " لو " وما في حيزها بدلا من " ما ".

فصل المعنى : يتمنى الذين كفورا لو كانوا مسلمين ، واختلفوا في الحال التي يتمنى الكافر فيها.

قال الضحاك : حال المعاينة.

وقيل : يوم القيامة.

والمشهور : أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار.

روى أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا اجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة : ألستم مسلمين ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فما أغنى عنكم إسلامكم ، وأنتم معنا في النار ، قالوا : كانت لنا ذنوب فأخذنا بها ، [فيغفر] الله لهم ، بفضل رحمته ، فيأمر بإخراج كل من كان من أهل القبلة في النار ، فيخرجون منها ، فحنيئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ".

٤٢٥

فإن قيل : " ربما " للتقليل ، وهذا التمني يكثر من الكفار.

فالجواب : أن " ربما " يراد بها التكثير ، والمقصود إظهار الترفع ، والاستغناء عن التصريح بالغرض ؛ فيقولون : ربما ندمت على ما فعلت ، ولعلك تندم على فعلك ؛ إذا كان العلم حاصلا بكثر الندم ، قال :

[البسيط] ٣٢٦١. أترك القرن مصفرا أنامله

....

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٤٢٢

وقيل : التقليل أبلغ في التهديد ، والمعنى : أن قليل الندم كاف في الزجر عن هذا العمل ، فكيف كثره ؟ .

وقيل : إن شغلهم بالعاذب لا يفزعهم للندامة فيخطر ذلك ببالهم أحيانا.

فإن قيل : إذا كان أهل القيامة ، يتمنون أمثال هذه الأحوال ، وجب أن يتمنى المؤمن الذي يقل ثوابه عن درجة المؤمن الذي يكثر ثوابه ، والمتمني لما لم يجده يكون في الغصة وتألم القلب.

فالجواب : أحوال أهل الآخرة ، لا تقاس بأحوال الدنيا ؛ فإن الله ـ تعالى ـ يرضي كل واحد بما هو فيه ، وينزع عن قلوبهم الحسد ، وطلب الزيادت ؛ كما قال تعالى : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ [الحجر : ٤٧].

قوله تعالى : ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ [الحجر : ٣] الآية ، أي دع يا محمد ، الكفار يأخذوا حفوظهم من دنياهم ، فتلك خلاقهم ، ولا خلاق لهم في الآخرة ، ﴿ويلههم﴾ يشغلهم " الأمل " عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة ، ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا [وردوا] القيامة ، وذاقوا وبال [صنعهم] وهذا تهديد ووعيد.

وقال بعض العلماء : " ذرهم " ، تهديد ، و ﴿سوف يعلمون﴾ ، تهديد آخر ، فمتى يهدأ العيش بين تهديدين ؟ ! والآية نسختها آية القتال.

قوله : " وذرهم " ، هذا الأمر لا يستعمل له ماض إلا قليلا ؛ استغناء عنه بـ " ترك " ، بل يستعمل منه المضارع نحو : ﴿ويذرهم﴾ [الأعراف : ١٨٦] ، ومن مجيء الماضي قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ " ذروا لحبشة ما وذرتكم " ، ومثله : دع ويدع ، ولا يقال : ودع إلا نادرا ، وقد قرىء : ﴿ما ودعك﴾ [الضحى : ٣] مخففا ؛ وأنشدوا : [الرمل] ٣٢٦٢أ ـ سل أميري ما الذي غيره

عن وصالي اليوم حتى ودعه ؟

٤٢٦." (١)

"(وقال الجبائي : تقلب القلوب والأبصار) : تغير هيئاتها بسبب ما ينالها من العذاب.

قال : ويجوز أن يريد به تقليبها على جمر جهنم كقوله : ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ [الأنعام : ١١٠].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣١٣٦

قوله : " ليجزيهم ".

يجوز تعلقه بـ " يسبح " أي : يسبحون لأجل الجزاء.

ويجوز تعلقه بمحذوف ، أي : فعلوا ذلك ليجزيهم.

وظاهر كلام الزمخشري أنه من باب الإعمال ، فإنه قال : والمعنى : يسبحون ويخافون (ليجزيهم ").

ويكون على إعمال الثاني للحذف من الأول.

وقوله : ﴿أحسن ما عملوا﴾ أي : ثواب أحسن ، أو أحسن جزاء ما عملوا ، و " ما " مصدرية ، أو بمعنى الذي ، أو نكرة.

فصل المراد بالأحسن : الحسنات أجمع ، وهي الطاعات فرضها ونفلها.

قال مقاتل : إنما ذكر الأحسن لأنه لا يجازيهم على مساوئ أعمالهم ، بل يغفرها لهم.

وقيل : يجزيهم جزاء أحسن ما عملوا على الواحد عشر إلى سبعمائة.

ثم ق ال : ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أي : ما لم يستحقوه بأعمالهم.

فإن قيل : هذا يدل على أن لفعل الطاعة أثر في استحقاق الثواب ، لأنه تعالى ميز الجزاء عن الفضل ، وأنتم لا تقولون بذلك ، فإن عندكم العبد لا يستحق على ربه شيئا ؟ قلنا : نحن نثبت الاستحقاق بالوعد ، فذلك القدر هو الذي يستحق ، والزائد عليه هو الفضل.

ثم قال : ﴿والله يرزق من يشآء بغير حساب﴾ وذلك تنبيه على كمال قدرته ، وكمال جوده ، وسعة إحسانه ، فكأنه تعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة ، وهم مع ذلك في نهاية الخوف ، فالحق سبحانه يعطيهم الثواب العظيم على طاعاتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حد له في مقابلة خوفهم.

٣٩٨

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٣٩١

قوله تعالى : ﴿والذين كفروا اا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ الآية.

لما بين حال المؤمن أنه في الدنيا يكون في النور ، وبسببه يكون متمسكا بالعمل الصالح ثم بين أنه يكون في الآخرة فائزا بالنعيم المقيم والثواب العظيم ، أتبع ذلك ببيان أن الكافر يكون في الآخرة في أشد الخسران ، وفي الدنيا في أعظم أنواع الظلمات ، وضرب لكل واحد منهما مثلا ، أما المثل الدال على حسرته في الآخرة فقوله : ﴿والذين كفروا اا أعمالهم كسراب بقيعة﴾.

قال الأزهري : " السراب : ما يتراءى للعين وقت الضحى في الفلوات شبيها بالماء الجاري وليس بماء ،

ولكن الذي ينظر إليه من بعيد يظنه ماء جاريا ، يقال : سرب الماء يسرب سروبا : إذا جرى ، فهو سارب ".

وقيل : السراب : ما يتراءى للإنسان في القفر في شدة الحر مما يشبه الماء.

وقيل : ما يتكاثف من قعور القيعان.

قال الشاعر : ٣٨٣٦ - فلما كففت الحرب كانت عهودهم

كلمع سراب في الفلا متألق

يضرب به المثل لمن يظن بشيء خيرا فيخلف ظنه.

وقيل : هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر في البراري ، يخيل للناظر أنه الماء السارب ، أي : الجاري ، فإذا قرب منه لم ير شيئا.

والآل : ما ارتفع من الأرض وهو شعاع يرى بين السماء والأرض بالغدوات شبه الملاة يرفع الشخوص ، يرى فيها الصغير كبيرا ، والقصير طويلا.

٣٩٩

والرقراق : يكون بالعشايا.

وهو ما ترقرق من السراب ، أي : جاء وذهب.

قوله : " بقيعة " فيه وجهان : أحدهما : أنه متعلق بمحذوف على أنه صفة لـ " سراب ".

والثاني : أنه ظرف ، والعامل فيه الاستقرار العامل في **كاف التشبيه**.

والقيعة : بمعنى القاع ، قاله الزمخشري ، وهو المنبسط من الأرض ، وتقدم في " طه ".

وقيل : بل هي جمعه كـ " جار وجيرة " قاله الفراء.

وقرأ مسلمة بن محارب بتاء (ممطوطة) ، وروي عنه بتاء شكل الهاء ، ويقف عليها بالهاء ، وفيها أوجه : أحدها : أن يكون بمعنى " قيعة " كالعامة ، وإنما أشبع الفتحة فتولد منها ألف كقوله : مخرنبق لينباع.

قاله صاحب اللوامح.

والثاني : أنه جمع : " قيعة " وإنما وقف عليها بالهاء ذهابا به مذهب لغة طيئ في قولهم : " الإخوه والأخواه " و " دفن البناه من المكرماه " أي : والأخوات ، والبنات ، والمكرمات.

وهذه القراءة تؤيد أن " قيعة " جمع قاع.

٤٠٠

." (١)

"والباقون بالخطاب فيها.

وقرىء يرجعثون مبينا للفاعل.

فصل لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الأخوان فخوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة أي كل أحد ميت أينما كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فإن كل نفس ذائقة الموت فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه ، فإن إلى الله مرجعكم فيجزيكم بأعمالكم ، وفيه وجه دقيق آخر وهو أن قوله : ﴿كل نفس ذآئقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ أي إذا كانت (معلقة) بغيرها فهو للموت ثم إلى الله ترجع فلا تموت كما قال تعالى : ﴿لا يذوقون فيها الموت﴾ [الدخان : ٥٦] وإذا كان كذلك فمن يريد أن لا يذوق الموت لا يبقى مع نفسه فإن النفس ذائقته بل يتعلق بغيره ، وذلك الغير إن كان غير الله فهو ذائق الموت لقوله : ﴿كل نفس ذآئقة الموت﴾ و ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص : ٨٨] (يريح من الموت) فقال تعالى : " فإياي فاعبدون " أي تعلقوا بي ، ولا تتبعوا النفس ، فإنها ذائقة الموت ﴿ثم إلينا ترجعون﴾ أي إذا تعلقتم بي فموتكم رجوع إلي وليس بموت لقوله : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران : ١٦٩] ، وقال عليه (الصلاة و) السلام : " المؤمنون لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار ".

قوله (تعالى) : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الوجهان المشهوران الابتداء ، والاشتغال ، وقوله : " لنبوئنهم " ، قرأ الأخوان بثاء مثلثة ساكنة بعد النون ، وياء مفتوحة بعد الواو من الثواء وهو الإقامة ، يقال : ثوى الرجل إذا أقام ، مفتوحة بعد الواو من المباءة وهي الإنزال أي لنبوئنهم من الجنة غرفا.

٣٧٠

قوله : " غرافا " على القراءة الأولى إما مفعول به على تضمين " أثوى " أنزل فيتعدى لاثنين ؛ لأن " " ثوى " قاصر ، وأكسبته الهمزة التعدي لواحد ، وإما (على) تشبيه الظرف المختص بالمبهم كقوله : ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [الأعراف : ١٦] وإما على إسقاط الخافض اتساعا أي في غرف.

وأما في القراءة الثانية فمفعول ثان ؛ لأن " بوأ " يتعدى لاثنين قال تعالى : ﴿تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ [آل عمران : ١٢١] ، ويتعدى باللام ، قال تعالى : ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم﴾ [الحج : ٢٦].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٨٣٨

وقرىء " لنثوينهم " بالتشديد مع الثاء المثلثة ، عدي بالتضعيف كما عدي بالهمزة ، و " تجري " صفة لغرفا " ﴿خالدين فيها نعم أجر العاملين﴾ وهذا في مقابلة قوله للكفار : ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ [العنكبوت : ٥٥] قوله : " الذين صبروا " يجوز فيه الجر والنصب والرفع كنظائر له تقدمت ، والمعنى : الذين صبروا على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ يعتمدون.

قوله : ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ جوز أبو البقاء في "كأين " وجهين : أحدهما : أنها مبتدأ و " لا تحمل " صفتها و " الله يرزقها " خبره و " من دابة " تبيين.

والثاني : أن تكون في موع نصب بإضمار فعل يفسره " يرزقها " ويقدر بعد "كأين " يعني لأن لها صدر الكلام ، وفي الثاني نظر ؛ لأن من شرط المفسر العمل ، وهذا المفسر لا يعمل لأنه لو عمل لحل محل المفعول لكن لا يحل محله ، لأن الخبر (متى

٣٧١

كان) فعلا رافعا لضمير مفرد امتنع تقديمه على المبتدأ.

وإذا أردت معرفة هذه القاعدة فعليك بسورة " هود " عند قوله : ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾ [هود : ٨].

فصل لما ذكر الله ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئا لغد ، ويأتيها رزقها كل يوم.

واعلم أن (في) كأين (أربع لغات غير هذه كائن على وزن راع ، وكأى على وزن رعى " وكيء " على وزن ريع " و "كا " على وزن " رع " ولم يقرأ إلا كائن و "كا " قراءة ابن كثير.

فصل "كأين "كلمة) مركبة من " **كاف التشبيه** " و " أن " التي تستعمل استعمال " من " و " ما " ركبتا ، وجعل المركب بمعنى "كم " ثم لم يكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لأن "كأي " مستعمل غير مركب كما يقول القائل : " رأيت رجلا لا كأي رجل يكون " (فقد حذف المضاف إليه ، ويقال : رأيت رجلا لا كأي رجل) وحينئذ لا يكون "كي " مركبا.

فإذا كان "كأي " ههنا مركبا كتبت بالنون للتمييز ، (كما تكتب معد يكرب وبعلبك) موصولا للفرق وكما تكتب ثمة بالهاء تمييزا بينها وبين (ثمت).

فصل روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وآذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة.

فقالوا : كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال ؟ فمن يطعمنا بها

٣٧٢

." (١)

"سورة يس

مكية وهي ثلاث وثمانون آية ، وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة ، وثلاثة آلاف حرف.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٦١

قوله : ﴿يسا﴾ بسكون النون.

وأدغم النون في الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بخلاف عنه.

وكذلك النون من " نون والقلم " وأظهرهما الباقون فمن أدغم فاللخفة ، ولأنه لما وصل والنفي متقاربان من كلمتين أولهما ساكن وجب الإدغام كالمثلين.

ومن أظهر فاللمبالغة في تفكيك هذه الحروف بعضها من بعض ، لأنه بنية الوقف وهذا أجري على القياس في لحروف المقطعة وكذلك التقى فيها الساكنان وصلا ونقل إليهما حركة همزة الوصل على رأي نحو " الم.

الله "كما تقدم تقريره.

(وأمال الياء من " يس " الأخوان ، وأبو بكر ؛ لأنها اسم من الأسماء كما تقدم تقريره) أول البقرة.

١٦٢

قال الفارسي : وإذا أمالوا " ياء " وهي حرف نداء فلأن يميلوا " يا " من " يس " أجدر وقرأ عيسى وابن أبي إسحاق بفتح النون إما على البناء على الفتح تخفيفا ك " أين وكيف " وإما على أنه مفعول بـ " اتل " وإما على أنه مجرور بحرف القسم ، وهو على الوجهين غير منصرف للعملية والتأنيث ويجوز أن يكون منصوبا على إسقاط حرف القسم كقوله : ٤١٦٧ - ....

أمانة الله الثريد

وقرأ الكلبي بضم النون ، فقيل : على أنها خبر مبتدأ مضمر ، أي هذه يس ومنعت من الصرف ؛ لما تقدم. وقيل : بل هي حركة بناء ك " حيث " فيجوز أن (يكون) خبرا كما تقدم وأن يكون مقسما بها نحو : " عهد الله لأفعلن ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠٥٦

وقيل : لأنها منادى فبنيت على الضم ، ولهذا فسرها الكلي القارئ لها بـ " يا إنسان " قال : وهي لغة طيئ قال الزمخشري : إن صح مناه فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قولا في القسم : " م الله " في أيمن الله.

قال أبو حيان : الذي نقل عن العرب في تصغير إنسان أنيسان بياء بعدها ألف فدل أن أصله أنسيان ؛ لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها ، ولا نعلم أنهم قالوا في تصيغره : أنيسين.

وعلى تقديره أنه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك إلا أن يبنى على الضم لأنه

١٦٣

منادى مقبل عليه ، ومع ذلك فلا يجوز لأنه تحقير ويمتنع من ذلك في حق النبوة.

قال شهاب الدين : أما الاعتراض الأخير فصحيح نصوا على أن التصغير لا يدخل في الأسماء المعظمة شرعا ، ولذلك يحكى أن ابن قبيبة (لما قال) في المهيمن إنه مصغر من " مؤمن " والأصل : مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيل له : هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله.

وتقدمت هذه الحكايات في المائدة وما قيل فيها.

وقد تقدم للزمخشري في " طه " ما يقرب من هذا البحث وتقدم كلام الشيخ معه.

وقرأ ابن أبي إسحاق أيضا وأبو السما يس بكسر النون ، وذلك على أصل التقاء الساكنين ولا يجوز أن يكون حركة إعراب " والقرآن " إما قسم متسأنف إن لم تجعل ما تقدم قسما وإما عطف على ما قبله إن كان مقسما به وقد تقدم كلام عن الخليل في ذلك أوائل البقرة فاعتبره هنا فإنه حسن جدا.

١٦٤

فصل قد تقدمت في سورة العنكبوت ذكر حروف التهجي وأن كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في أوائله الذكر أو الكتاب أو القرآن.

ولنذكر ههنا أن في ذكر الحروف أوائل السور أمورا تدل على أنها غير خالية عن الحكمة لكن علم الإنسان لا يصل إليها.

والذي يدل على أن فيها حكمة من حيث الجملة هو أن الله تعالى ذلك من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا : الهمزة ألف متحركة.

ثم إنه تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف إلى الذال والتسعة الأخيرة من الفاء إلى الياء

وعشرة في الوسط من الراء إلى الغين ، وذكر من القسم الأول حرفين الألف والحاء وترك سبعة ولم يترك فن القسم الأول من حروف الحلق والصدر إلا واحدا لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الأخير من حروف الشفة إلا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر الأواسط ذكرمنه حرفا وترك حرفا ، فترك الزاي وذكر الراء وذكر السين وترك الشين ، وذكر الصاد وترك الضاد ، وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين.

ولي هذا أمرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود وهو لحكمة لكنها غير معلومة وهب أن واحدا يدعي فيه شيئا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة " ن " و " ق " و " ص " وبعضها بحرفين كسورة " حم " و " يس " و " طه " وبعضها بثلاثة أحرف كسورة " الم " و " طسم " و " الر " وبعضها بأربعة أحرف كسروة " المر " و " المص " وبعضها بخمسة كسورة " حمعسق " و " كهيعص " وهب أن قائلا يقول : إن هذا إشارة بأن الكلام إما حرف ، وإما فعل ، وإما اسم ، والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء العقيب ، وهمزة الاستفهام ، **وكاف التشبيه** ، وياء الإلصاق وغيرها ، وجاء على حرفين كمن للتبعيض و " أو " للتخيير ، و " أم " للاستفهام المتوسط ، وإن للشرط وغيرها.

والفعل والاسم والحرف جاء على ثلاثة أحرف كإلى وعلى في الحرف وإلى وعلى في الاسم وألا يألو وعلا يعلو في الفعل ، والاسم والفعل جاءا على أربعة أحرف ، والاسم خاصة جاء على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة كـ " عجل " وسنجل

١٦٥." (١)

"وأما ما أنشده من قوله : " وأكرم بنا ابنما " فليس من هذا الباب ، لأن هذا " ابن " زيدت عليه الميم وإذا زدت عليه الميم جعلت النون تابعة للميم في الحركات على الفصيح ، فتقول : هذا ابنم ، ورأيت ابنما ومررت بابنم ، فتجري حركات الإعراب على الميم ويتبعها النون.

وابنما في البيت منصوب على التمييز فالفتح لأجل النصب لا البناء ، وليس هذه " ما " الزائدة ، بل الميم وحدها زائدة ، والألف بدل من التنوين.

الثالث : أنه منصوب على الظرف ، وهو قول الكوفيين.

ويجيزون : زيد مثلك بالفتح ، ونقله أبو البقاء عن أبي الحسن ولكن بعبارة مشكلة فقال : ويقرأ بالفتح ، وفيه وجهان : أحدهما : هو معرب ، ثم في نصبه أوجه ، ثم قال : أو على أنه مرفوع الموضع ،

٧٨

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٢١٧

ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله : ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام : ٩٤] على قول الأخفش ، ثم قال :
والوجه الثاني : هو مبني.

وقال أبو عبيد : بعض العرب يجعل " مثل " نصبا أبدا ، فيقولون : هذا رجل مثلك.

الرابع : أنه منصوب على إسقاط الجار وهو **كاف التشبيه**.

وقال الفراء : العرب تنصبها إذا رفع بها الاسم يعني المبتدأ فيقولون : مثل من عبد الله ؟ وعبد الله مثلك وأنت مثله لأن الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب إذا ألقيت الكاف.

قال شهاب الدين : وفي هذا نظر ، أي حاجة إلى تقدير دخول الكاف و " مثل " تفيد فائدتها ؟ وكأنه لما رأى أن الكاف قد دخلت عليها في قوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى : ١١] قال ذلك.

الخامس : أنه نعت لمصدر محذوف ، أي لحق حقا مثل نطقكم.

السادس : أنه حال من الضمير في " لحق " ؛ لأنه قد كثر الوصف بهذا المصدر حتى جرى مجرى الأوصاف المشتقة ، والعامل فيها " حق ".

السابع : أنه حال من نفس " حق " وإن كان نكرة.

وقد نص سيبويه في مواضع من كتابه على جوازه ، وتابعه أبو عمرو على ذلك.

و " ما " هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم : " هذا حق " ، كما أنك ههنا لا تجوز حذفها ، فلا يقال : هذا حق كأنك ههنا.

نص على ذلك الخليل – رحمه الله – .

٧٩

فإذا جعلت " مثل " معربة كانت " ما " مزيدة و " أنكم " في محل خفض بالإضافة كما تقدم.

وإذا جعلتها مبنية إما للتركيب ، وإما لإضافتها إلى غير متمكن جاز في " ما " هذه وجهان : الزيادة وأن تكون نكرة موصوفة ، (كذا) قال أبو البقاء.

وفيه نظر ، لعدم الوصف هنا ، فإن قال : هو محذوف فالأصل عدمه ، وأيضا فنصوا على أن هذه الصفة لا تحذف ، لإبهام موصوفها.

وأما " أنكم تنطقون " فيجوز أن يكون مجرورا بالإضافة إن كانت (" ما ") مزيدة ، وإن كانت نكرة كان في موضع نصب بإضمار أعني ، أو رفع بإضمار مبتدأ.

فصل المعنى : ﴿فورب السمآء والأرض إنه لحق﴾ أي ما ذكرت من أمر الرزق لحق كمثل ما أنكم تنطقون

فتقولون : لا إله إلا الله.

وقيل : شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي كقولك : إنه لحق كما أنت ههنا وإنه لحق كما أنك تتكلم والمعنى أنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة.

قال بعض الحكماء : كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

وقيل : معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٧٤

٨٠

". (١)

"" صفحة رقم ٤٨ "

قول الداعي للمعرس بالرفاه والبنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاه والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن فإن قلت فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ قلت هذا مقول على ألنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك

) الحمد لله رب العالمين (إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه

فإن قلت من حق حروف المعاني التى جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو **كاف التشبيه** ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذا كان دأبهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء

ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم

قال

(باسم الذي في كل سورة سمه)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٦٥٨

وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت

والنبز قشر النخلة الأعلى

فإن قلت فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الألف

وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طول الباء وأظهر السنات ودور الميم

و الله أصله الإله قال." (١)

"" صفحة رقم ٣٧٣ "

وما أشبه ذلك : تريد السرعة .) يشكر لنفسه (لأنه يحط به عنها عبء الواجب ، ويصونها عن سمة الكفران ، وترتبط به النعمة ويستمد المزيد . وقيل : الشكر ، قيد للنعمة الموجودة ، وصيد للنعمة المفقودة . وفي كلام بعض المتقدمين : إن كفران النعمة بوار ، وقلما أقشعت ناقرة فرجعت في نصابها ، فاستدع شاردها بالشكر ، واستدم راهنها بكرم الجوار . واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا) غنى (عن الشكر) كريم (بالإنعام على من يكفر نعمته ، والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه ، جرى على شاكلة أبناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر ، كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر .

) قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جآءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (

النمل : (٤١ - ٤٣) قال نكروا لها . . . . .

) نكروا (اجعلون متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله ، كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه ، قالوا : وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره ، وأعلاه أسفله . وقرىء : (ننظر) بالجزم على الجواب ، وبالرفع على الاستئناف) أتهتدى (لمعرفته ، أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه ، أو للدين والإيمان بنبوة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة ، من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحراس . هكذا

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٤٨/١

ثلاث كلمات : حرف التنبيه ، **وكاف التشبيه** ، واسم الإشارة . لم يقل : أهذا عرشك ، ولكن : أمثل هذا عرشك ؛ لئلا يكون تلقينا) قالت كأنه هو (ولم تقل : هو هو ، ولا ليس به ،." (١)

" صفحة رقم ٤٢٨

إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) ٧٣ ( ) ٧١

ولما قدم – كما هو دأب الصالحين – الشكر ، علم أنه يفعل في العرش ما لأجله أحضره ، تشوفت النفس إليه فأجيبت بقوله : (قال) أي سليمان عليه السلام : (نكروا لها عرشها) أي بتغيير بعض معالمه وهيئته اختبارا بعقلها كما اختبرنا هي بالوصفاء والوصائف والدرة وغير ذلك ، وإليه الإشارة بقوله : (ننظر أتهتدي) أي إلى معرفته فيكون ذلك سببا لهديتها في الدين) أم تكون من الذين (شأنهم أنهم) لا يهتدون) أي بل هم في غاية الغباوة ، لا يتجدد لهم اهتداء ، بل لو هدوا لوقفوا عند الشيه ، وجادلوا بالباطل وما حلوا ، وأشار إلى سرعة مجيئها إشارة إلى خضوعها بالتعبير بالفاء في قوله : (فلما جاءت (وكان مجيئها – على ما قيل – في اثنى عشر ألف قيل من وجوه اليمن ، تحت يد كل قيل ألوف كثيرة ، وكانت قد وضعت عرشها داخل بيت منيع ، ووكلت به حرسا أشداء) قيل) أي لها وقد رأت عرشها بعد تنكيره بتقليب نصبه وتغييره ، من قائل لا يقدر على السكوت عن جوابه لما نالها من الهيبة وخالطها من الرعب منعظيم ما رت ، فقرعها بكلمة تشمل على أربع كلمات : هاء التنبيه ، **وكاف التشبيه** ، واسم الإشارة ، مصدرة بهمزة الاستفهام ، أي تنبهي) أهكذا (أمثل ذا العرش) عرشك قالت (عادلة عن حق الجواب من (نعم) أو (لا) إشارة إلى أنها غلب على ظنها أنه هو بعينه كما قالوا في (كأن زيدا قائم) : (كأنه هو (وذلك يدل على ثبات كبير ، وفكر ثاقب ، ونظر ثابت ، وطبع منقاد ، لتجويز المعجزات والإذعان لها مع دهشة القدوم ، واشتغال الفكر بما دهمها من هيبته وعظيم أمره ، فعلم سليمان عليه السلام رجاحة عقلها وبطلان ما قال الشياطين من نقصه خوفا من أن يتزوجها فتفشي عليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية – على ما قيل ، وقالوا : إن رجلها كحافر الحمار ، وإنها كثيرة الشعر جدا .

ولما كانت مع ذلك قد شبه عليها ولم تصل إلى حاق الانكشاف مع أنها غلبت على عرشها مع الاحتفاظ عليه ، استحضر (صلى الله عليه وسلم) ما خصه الله به من العلم زيادة في حثه على الشكر ، فقال عاطفا على ما تقديره : فأوتيت من أمر عرشها علما ، ولكنه يخالجه شك ، فدل على أنها في الجملة من أهل

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٣/٣٧٣

العلم المهيئي للهداية ، أو يكون التقدير بما دل عليه ما يلزم من قولها) كأنه (: فجهات أمر عرشها على كثرة ملابستها له : (وأوتينا (معبرا بنون الواحد المطاع ، لا سيما والمؤتى سبب لعظمة شرعية ، وهو العلم الذي لا يقدر على إيتائه غير الله ، ولذلك بني الفعل للمفعول لأن فاعله معلوم) العلم (أي." [1]

"ص : ٢٨١

أنى ومن أين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب

فجاء بالمعنيين جميعا.

ويكأن

ويكأن. قد اختلف فيها : فقال الكسائي : معناها : ألم تر ، قال الله تعالى :

ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء [القص

ص : ٨٢] وقال : ويكأنه لا يفلح الكافرون [القص

ص : ٨٢] ، يريد : ألم تر.

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة أنه قال : ويكأن : أولا يعلم أن الله يبسط الرزق لمن يشاء. وهذا شاهد لقول الكسائي.

وذكر الخليل أنها مفصولة : وي ، ثم تبتدئ فتقول : كأن الله.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح : هي : كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ، كأنه لا يفلح الكافرون. وقال : وي صلة في الكلام.

وهذا شاهد لقول الخليل.

ومما يدل على أنها كأن : أنها قد تخفف أيضا كما تخفف كأن قال الشاعر «١».

ويكأن من يكن له نشب يح بب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وقال (بعضهم) : ويكأن : أي رحمة لك ، بلغة حمير.

كأن

كأن : تشبيه ، وهي : (أن) أدخلت عليها **كاف التشبيه** الخافضة ، ألا ترى أنك

وتفسير البحر المحيط ٢/ ٤٤٣ ، ومجمع البيان ١/ ٣٢٠ ، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٣/

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٤٢٨

٢٧ ، والشطر الأول بلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ١٥٣ ، ولسان العرب (أنى) ، وشرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٥٣.

(١) البيت من الخفيف ، وهو لزيد بن عمرو بن نفيل في خزانة الأدب ٦/ ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، والدرر ٥/ ٣٠٥ ، وذيل سمط اللآلي ص ١٠٣ ، والكتاب ٢/ ١٥٥ ، وعيون الأخبار ١/ ٢٤٢ ، وتفسير البحر المحيط ٧/ ١٣٥ ، والخزانة ٣/ ٩٧ ، ولنبيه بن الحجاج في الأغاني ١٧/ ٢٠٥ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١١ ، ولسان العرب (وا) ، (ويا) ، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٣٥٣ ، والخصائص ٣/ ٤١ ، ١٦٩ ، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨٦ ، وشرح المفصل ٤/ ٧٦ ، ومجالس ثعلب ١/ ٣٨٩ ، والمحتسب ٢/ ١٥٥ ، وهمع الهوامع ٢/ ١٠٦ ، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٧ ، ومجمع البيان ١/ ١٩٦ ، والخصائص ٣/ ٤١ ، ١٦٩ ، والصحاح ٦/ ٢٥٥٧ ، وتفسير الكشاف ٣/ ١٥١.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ [محمد:١٣].

قوله: (وكأين) بمعنى: كم، قال الخليل وسيبويه: أصلها -أي: كلمة (كأين) - أي، فدخلت عليها **كاف التشبيه**، فصارت كأين، وهي بدون التنوين في الأول، يعني: أن (أي) همزة وياء مشددة، أضف عليها **كاف التشبيه** فصارت (كأي)، فلزمتها **كاف التشبيه** فصار في الكلام بمعنى: كم، وجعل التنوين في المصحف نونا فصارت (كأين)؛ لأنها كلمة نقلت عن أصلها فغير لفظها بتغير معناها، ثم كثر استعمالها عند العرب وتصرفت الكلمة فحصل فيها أربع لغات: وكائن، وكئن، وكأين، وكأي وكأيئن أربع لغات، وكلها بمعنى: كم، كما قال الشاعر: وكائن بالأباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا وكئن: كاف همزة على نبرة ثم نون، ولفظ: (كأين) كهذا الذي في سورة القتال، ومنه قول الشاعر: كأين أبدنا من عدو بعزنا وكائن أجرنا من ضعيف وخائف وتقول: كأين رجلا لقيته، بنصب ما بعد (كأين) على التمييز، وتقول أيضا: كأين من رجل لقيته، وإدخال (من) بعد كأين أكثر من النصب بها وأجود، يعني: أن تقول: وكأين من رجل لقيت، أفضل وأبلغ من أن تقول: وكأين رجلا لقيته، كما تقول أيضا: بكأين تبيع هذا الثوب، أي: بكم تبيعه؟ فقوله تعالى هنا: ((وكأين من قرية)) أي: وكم من أهل قرية وهي مكة، ((هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك)) أي: أخرجك أهلها، فهو على حذف المضاف.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٢٨١

قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى قال: حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حذيفة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلى الغار أراه قال: التفت إلى مكة فقال: أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأنت أحب بلاد الله إلي، فلو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك)، فأعدى الأعداء من أعتدى على الله في حرمه، أو قتل غير قاتل، أو قتل بلحون الجاهلية، واللحون: هي الأحقاد والعداوات، وهي جمع لحن، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾.

قوله: ((أخرجتك)) فأخرج الخبر عن القرية فلذلك أنث، يعني: هذا هو السر في تأنيث كلمة ((أخرجتك))؛ فقال أولا: ((وكأين من قرية)) وهذا مؤنث، ((هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك))، ثم قال بعد ذلك: ((أهلكناهم فلا ناصر لهم))، ولم يقل أهلكتها فلا ناصر لها، ففهم أن المقصود من القرية أهل القرية، لكنه في الجزء الأول راعى اللفظ، وفي الجزء الثاني راعى المعنى، فقوله: ((وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك)) راعى فيه لفظ ((قرية))، وأما في قوله: ((أهلكناهم فلا ناصر لهم)) نظر فيه إلى المعنى.

قال جل ثناؤه: (أخرجتك) فأخرج الخبر عن القرية فلذلك أنث، ثم قال: (أهلكناهم)؛ لأن المعنى في قوله: ((أخرجتك)) ما وصفت من أنه أريد به أهل القرية فأخرج الخبر مرة عن اللفظ ومرة عن المعنى.

قوله: ((فلا ناصر لهم)) تهديد شديد، ووعيد لأهل مكة في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سيد المرسلين، وخاتم الأنبياء، فإذا كان الله عز وجل قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببه، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء، فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرى؟! فإنه رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فمن المعلوم أن هذه الأمة لم يهلكها الله سبحانه وتعالى إهلاكا عاما، فهذه من خصائص أمة محمد عليه الصلاة السلام أنه لا يأتي عذاب يستأصلها جميعها.

وكذلك بين الله سبحانه وتعالى أن هناك أمانين في عهد النبي عليه السلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ [الأنفال:٣٣]، فقد كانوا يستعجلون نزول العذاب، ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال:٣٢]، فالله أرحم بهم من أنفسهم فلولا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، لكن انظر إلى الجهل والعتو! فإنهم قالوا: ((اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب

أليم))، فجاء الجواب من الله سبحانه وتعالى قائلا: ((وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم))، إكراما لرسول الله عليه الصلاة والسلام ما دام في وسط هؤلاء المشركين، فوجوده أمان من نزول العذاب، فبركة وجود النبي عليه السلام تعم حتى هؤلاء الكفار؛ لأن وجوده معهم وبينهم يمنع نزول العذاب عليهم فقوله: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال:٣٣] أي: وما كان الله ليعذبهم وفي وسطهم مؤمنون يستغفرون الله عز وجل.

إذا: فهناك مانع يمنع وقوع العذاب على كثير من المشركين ولا أقول كل المشركين؛ لأن منهم من وقع عليه العذاب كـ أبي جهل، وغيره من أعداء الله، وخاصة من قتلوا في بدر، وقد رفعت العقوبة في الدنيا عن كثير منهم بسبب وجود الرسول نبي الرحمة عليه الصلاة السلام، وليس معنى هذا أنه إن خفف عنهم في الدنيا أو لم يوقع بهم العذاب في الدنيا فإن العذاب سيخفف عليهم في الآخرة، كلا، فإنه سوف يضاعف لهم العذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ [هود:٢٠].." (١)

"أسرار لفظ: (كلا) في القرآن الكريم

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا تطيب الدنيا إلا بذكره، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه، ولا تطيب الجنة إلا برؤيته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها المباركون! فهذه حلقة جديدة مباركة بإذن الله من برنامجكم: معالم بيانية في آيات قرآنية، وقبل أن نشرع كالعادة في بيان ما نحن فيه نقول: إن اللفظ الذي سنشرع في إماطة اللثام البياني عنه في هذا اللقاء هو لفظ (كلا).

ونستفتح بخبر أدبي قبل أن نشرع في بيان مراد الله جل وعلا من هذه الكلمة أو من هذا اللفظ: يقولون: إن الحجاج بن يوسف الثقفي القائد الأموي المعروف أسر شابا، فجاءته امرأة هي أم ذلك الشاب تحاول أن تقدم نوعا من الشفاعة لابنها، وهي تخاطب الحجاج أقسمت له أن ابنها بريء، لكن الذي يستوقفنا هنا: هو ذلك القسم الذي استخدمته تلك المرأة، فقد قالت وهي تخاطب الحجاج: والذي حذف كلا من

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٨/١١٤

النصف الأعلى.

نحن نعلم أن القرآن ثلاثين جزءا، وأن أوسطه سورة الكهف في خبر موسى والخضر، وإذا اعتبرنا النسبية يمكن أن نقول: إن هناك نصفا أعلى ونصفا آخر من الصعب أن نطلق على الخمسة عشر جزءا الأخيرة من القرآن: بأنها نصف أدنى، لكن نقول: هناك نصف أعلى، والنصف الآخر هذه المرأة تقول في خطابها للحجاج: والذي حذف كلا من النصف الأعلى أي: أن حرف كلا ليس موجودا في أول القرآن من الفاتحة إلى الكهف، ثم ورد بعد ذلك في سورة مريم: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا * أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا * كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ [مريم:٧٧ - ٧٩].

فيقولون: إن الحجاج استعرض القرآن وهو يريد أن يركب فرسه، لما قالت له المرأة هذا الخطاب ثم تبين له صحة قولها، فعفا عنها وعفا عن ابنها، وقبل شفاعتها.

والشاهد: أن (كلا) وردت في القرآن في ٣٣ موضعا كلها كما قدمنا في النصف الآخر من القرآن أي: ليس في النصف الأعلى منه، وجعل بعض العلماء لفظ كلا من الأدلة والقرائن على أن السورة التي يرد فيها لفظ كلا هي سورة مكية، فلم ترد غالبا ويمكن أن نقطع في القرآن المدني، لكن القطع قد يكون نوعا من الجزم؛ لأن تحرير المدني والمكي فيه نوع خلاف، نعود فنقول: ما هو الحرف كلا؟ كلا كما قال ابن هشام في مغنيه: مركبة عند ثعلب من **كاف التشبيه** ولا النافية قال: وإنما شددت لامها لتقوية المعنى، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين، وهي عند سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين حرف معناه: الردع والزجر، لا معنى لها عندهم إلا ذلك، حتى إنهم يجيزون أبدا الوقف عليها والابتداء بما بعدها، وحتى قال جماعة منهم: متى سمعت كلا في سورة فاحكم بأنها مكية وهذا حررناه آنفا؛ لأن فيها معنى التهديد والوعيد وهذه صبغة من صبغ القرآن المكي، ورأى الكسائي وأبو حاتم ومن وافقهما أن معنى الردع والزجر ليس مستمرا فيها فزادوا فيها معنى ثانيا يصح عليه أن يوقف دونها ويبتدأ بها، ثم إن هؤلاء اختلفوا في تعيين ذلك المعنى على ثلاثة أقوال: أحدها للكسائي ومتابعيه قالوا: تكون بمعنى حقا.

والثاني لـ أبي حاتم ومتابعيه قالوا: تكون بمعنى (ألا) الاستفتاحية.

والثالث لـ ابن شميل والفراء ومن وافقهما قالوا: تكون حرف جواب بمنزلته، وحملوا عليه قول الله جل وعلا: ﴿كلا والقمر﴾ [المدثر:٣٢] قالوا: معناه: إي والقمر.

قال ابن هشام في مغنيه: وقول أبي حاتم عندي أولى من قولهما؛ لأنه أكثر اطرادا، فإن قول النضر لا يتأتى

في آيتي المؤمنين والشعراء، وقول الكسائي لا يتأتي في نحو: ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾ [المطففين:١٨]، ﴿كلا إن كتاب الفجار﴾ [المطففين:٧]، ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين:١٥]، ووجه العلة في عدم ذلك التأتي عنده: أن حرف (إن) يكسر بعد ألا الاستفتاحية، ولا تكسر بعد حقا، ولا بعد ما كان بمعناها، ولأن تفسير حرف بحرف أولى من تفسير حرف باسم، وهذا كلام من حيث الصناعة النحوية بليغ جدا، وفيه رد ظاهر عليه.

وعلى هذا نختار قول سيبويه والخليل والمبرد والزجاج وأكثر البصريين على أن معناها: الردع والزجر، وعلى أنه ليس لها معنى غيره.

ونعود لما رد به ابن هشام على أولئك الذين ذهبوا بها إلى معنى آخر فقال: وقد يمتنع كونها للزجر نحو ﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ [المدثر:٣١]، ﴿كلا والقمر﴾ [المدثر:٣٢]، إذ ليس قبلها ما يصح رده، وهذا القول الذي قاله ابن هشام فيه تضعيف للقول الذي اخترناه، لكن يمكن أن يجاب عنه بأن الأمر في سياق الحال لا في سياق المقال.

وقال بعض العلماء: إن لها معان غير ذلك، فقد قال الطبري وجماعة: إنه لما نزل عدد خزنة جهنم ﴿عليها تسعة عشر﴾ [المدثر:٣٠]، قال بعضهم: اكفوني اثنين، وأنا أكفيكم سبعة عشر، فنزلت: (كلا) زجرا لهم، هذا القول من الطبري يوافق ما اخترناه، لكن قال ابن هشام عنه: إنه قول متعسف؛ لأن الآية لم تتضمن ذلك، ونحن نقول: إن رد ابن هشام هنا فيه هو شيء من التعسف، وإنما كما قلنا: العبارة أحيانا ترد على لسان الحال لا على لسان المقال، والذي نريد أن نصل إليه بعد هذا التطواف -أيها المباركون- فيما ذكرناه حول لفظ كلا: أن القرآن عظيم في أسلوبه، جليل في عباراته، وأن هذا الحرف استخدمه القرآن استخداما بليغا في الردع والزجر، ولما كان المجتمع المكي يحتاج إلى نوع من الردع والزجر؛ لأنهم كانت لهم ألفاظهم القاسية في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم، ومخاطبة القرآن، والرد على الرب تبارك وتعالى قوله، كانت لفظة: (كلا) مناسبة في رد ما زعموه من إفك، وما افتروه من قول.

أما الحياة المدنية في المجتمع المدني فكان أكثرهم مسلمين، وكان القرآن يخاطب قلوبهم، ويخاطب أحوالهم في التشريع، ولم تكن فيه ردود بالقدر الذي كان موجودا في القرآن المكي.

وعلى هذا نفهم: أن القرآن المكي له أسلوبه، كما أن القرآن المدني له أسلوبه، وقد يشتركان في نوع من الأسلوب خاصة في باب العقائد.

نسأل الله جل وعلا لنا ولكم التوفيق.

هذا ما تيسر إعداده، وتهيأ إيراده، وأعان الله العلي الكبير على قوله، سائلين الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

وصلى الله على محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.." (١)

"بيان معنى قوله تعالى (إنا أوحينا إليك)

يقول تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك﴾ [النساء:١٦٣].

قوله: (إنا) هذا كلام رب العزة، والنون لتعظيم الرب جل جلاله، كما تسمع في الأوامر الملكية قول الملك: نحن فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، ثم يأتي الأمر، فـ (نحن) للجماعة، ولكنها تقال في السياق اللغوي للتعظيم، ويجوز إطلاقها على البشر، ويجوز إطلاقها على الله، ولكنها في حق الله -بلا شك- أعظم منها في حق البشر، كما يقال: فلان حكيم، والله جل وعلا حكيم، ولكن هناك فرق بين حكمة العباد وحكمة رب العباد جل جلاله، فإن اتفقا في المسمى فإنهما لا يتفقان في دقائق الوصف.

وقوله تعالى: (وأوحينا) أسند فيه الفعل (أوحى) إلى نا الدالة على الفاعلين لبيان العظمة لأهلها.

وقوله تعالى: ﴿أوحينا إليك﴾ [النساء:١٦٣] المخاطب هنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، مع اليقين بأنه صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء، ولكنه قدم هنا لعلو شرفه، وجليل منزلته، ولأنه أفضل الأنبياء بلا شك، ولأنه سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والفائدة من هذا تتعلق بمن خطب أو ألقى محاضرة أو أراد أن يقول درسا، فإنه يقول: وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله آخر الأنبياء في الدنيا عصرا وأولهم يوم القيامة شأنا وذكرا.

فهو آخر الأنبياء في الدنيا عصرا من حيث الزمن، وفي الحديث: (أنا آخر النبيين وأنتم آخر الأمم) وهو أولهم يوم القيامة وأرفعهم شأنا وذكرا صلوات الله وسلامه عليه.

يقول تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك﴾ [النساء:١٦٣]، ثم جاء **بكاف التشبيه** فقال تعالى: (كما) أي: كالذي (أوحينا).." (٢)

"إليهم أجلهم﴾ [يونس: ١١] قال: لأهلكناهم، وقرأ: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ [فاطر: ٤٥] قال: يهلكهم كلهم " ونصب قوله ﴿استعجالهم﴾ [يونس: ١١] بوقوع يعجل عليه، كقول القائل: قمت اليوم قيامك، بمعنى قمت كقيامك، وليس بمصدر من يعجل، لأنه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف،

---

(١) معالم بيانية في آيات قرآنية، صالح المغامسي ٢/٢٤

(٢) تأملات قرآنية - المغامسي، صالح المغامسي ٥/٧

أعني **كاف التشبيه** فيه، واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ [يونس: ١١] فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق: " ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ [يونس: ١١] «على وجه ما لم يسم فاعله بضم القاف من» قضي «ورفع» الأجل ". وقرأ عامة أهل الشأم: «لقضي إليهم أجلهم» بمعنى: لقضى الله إليهم أجلهم. وهما قراءتان متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أني أقرؤه على وجه ما لم يسم فاعله، لأن عليه أكثر القراء." (١)

"وكأين من نبي قاتل معه. قرأ الحسن وأبو جعفر: (كاين) مقصورا بغير همزة ولا تشديد حيث وقع. وقرأ مجاهد وابن كثير وشيبة: (وكأين) مهموزا ممدودا مخففا على وزن فاعل، وهو اختيار أبي عبيد، اعتبارا بقول أبي بن كعب لزر بن حبيش: (كاين) بعد سورة الأحزاب. فقال:

كذا آية.

وقرأ ابن محيصن: (كأي) ممدودا بغير نون.

وقرأ الباقون: (وكأين) مشدودا بوزن كعين، وهي لغة قريش واختيار أبي حاتم، وكلها لغات معروفة بمعنى واحد.

وأنشد المفضل:

وكائن ترى في الحي من ذي صداقة ... وغيران يدعو ويله من حذاريا «١»

وقال في التشديد:

كأين من أناس لم يزالوا ... أخوهم فوقهم وهم كرام «٢»

وجمع الآخر بين اللغتين، فقال:

كأين أبدنا من عدو يغزنا ... وكأين أجرنا من ضعيف وخائف «٣»

ومعناه كم، وهي **كاف التشبيه** ضمت إلى أي الاستفهام، ولم يقع التنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة.

---

(١) معجم البلدان: ٤/ ٣٧٣ ونسبه لجرير.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٣٢/١٢

(٢) تفسير القرطبي: ٤/ ٢٢٨.

(٣) تفسير القرطبي: ٤/ ٢٢٩.." [(١)]

"قال الخليل: من قرأ كأين بهمزة بعد ألف وهي قراءة أهل مكة فإنما قدم الياء قبل الهمزة ثم جعلها ألفا وسكنت الياء الثانية لأنها بعد همزة مكسورة.

وأما من قرأ وكأي فإنها عند الخليل (أي): دخلت عليه **كاف التشبيه** فصار في الكلام معنى كم، فيجب على قوله أن تقف بغير نون في قراءة الجماعة كما تقف على (أي): وهو مذهب سيبويه وكذلك حكى عن أبي عمرو، والكسائي، وروي عنهما الوقف على النون.

فمن وقف بالنون في هذه القراءة، فإنما ذلك لأنه اتبع السواد وهو في المصحف بالنون على قراءة من قدم الألف قبل الهمزة وهي قراءة ابن كثير ومن قرأ: " قتل ": فالمعنى عند عكرمة أن القتل إخبار عما فعل بالأنبياء عليهم السلام، وأنهم قتلوا فيما مضى، وأن من كان معهم لم يضعف بعده ولا تضعضع.

ثم أخبر عن قولهم بعد نبيهم A، وثباتهم على دينهم، فيكون التمام على هذا قتل وفيه بعد لأن ما بعده من صفة نبي ويكون معنى الآية: أن الله وبخ بذلك." [(٢)]

"قال أبو إسحاق: ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار.

ثم قال تعالى: ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة﴾ أي: وكثير من القرى أهلكنا أهلها وهم ظالمون.

فعبر عن إهلاك القرية وهو يريد أهلها، مثل ﴿وسئل القرية﴾ [يوسف: ٨٢].

فالمعنى: فما أهلكنا كثيرا من أهل القرى بظلمهم، كذلك نهلك أهل قريتك يا محمد بظلمهم إذا جاء الأجل. كل هذا تخويف وزجر لقريش/ و "كأين " هي **كاف التشبيه** دخلت على " أي " فصارتا بمنزلة " كم " في الخبر، هذا مذهب الخليل وسيبويه، والوقف على قولهما على الياء، لأنه تنوين دخل على " أي " فأما قراءة ابن كثير وكائن " يروى عن الخليل أنه قال: من قال كإن فإنه قدم الياء الساكنة قبل الهمزة ثم خلفها بألف، كما قالوا:، إن أصل آية: إية، ثم أبدلوا من الياء الساكنة ألفا، ثم اعتلت الياء الثانية، لأنها بعد متحرك وهو الهمز فصارت كياء قاض وارم.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣/١٨٠

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/١١٤٥

وقال ابن كيسان: هي أي: دخلت عليها الكاف وكثر استعمالها في الكلام حتى صار التنوين فيه بمنزلة النون الأصلية، فقالوا: كأين بنون في الوقف.." [1]

"وإنما جرت (١) الأسماء من قبل أن الأفعال التي قبلها ضعفت عن وصولها وإفضائها إلى الأسماء التي بعدها نحو قولك: (عجبت، ومررت، وذهبت) لو قلت: عجبت زيدا، ومررت جعفرا، وذهبت محمدا، لم يجز كما بجوز ضربت زيدا؛ لضعف هذه الأفعال في العرف (٢) والعادة (٣) والاستعمال، فلما قصرت هذه الأفعال عن الوصول إلى الأسماء رفدت بحرف الإضافة، فجعلت موصلة (٤) لها إليها، فقالوا: عجبت من زيد، ونظرت إلى محمد (٥)، فلما احتاجت هذه الأفعال إلى هذه الحروف لتوصلها إلى بعض الأسماء جعلت تلك الحروف جارة، وأعملت هي في الأسماء (٦). ولم يفض إلى الأسماء النصب الذي يأتي من الأفعال؛ لأنهم أرادوا أن يجعلوا بين الفعل الواصل بنفسه وبين الفعل الواصل بغيره فرقا، ولما هجروا لفظ النصب لما ذكرنا، لم يبق إلى الرفع والجر. فأما الرفع فقد استولى عليه

= ما يستعمل حرفا وغير حرف فنحو (على) و (عن) و (**كاف التشبيه**) و (منذ) و (مذ) فهذه تكون حروفا في حال، وأسماء في أخرى .. وأما ما لا يستعمل إلا حرفا في هذا الباب: فالباء الزائدة .. واللام الزائدة .. و (من) و (إلى) و (في) و (رب) و (حتى) إذا كانت غاية. "التبصرة والتذكرة" ١/ ٢٨٢ - ٢٨٥.

(١) في (ج): (وإنما تدخل جرت).

(٢) في (ج): (القرن).

(٣) في (أ)، (ج): (في الاستعمال) وفي "سر صناعة الإعراب" (لضعف هذه الأفعال في العرف والعاة والاستعمال عن إفضائها إلى هذه الأسماء ..) ١/ ١٢٤.

(٤) في (ج): (موصولة).

(٥) في "سر صناعة الإعراب": (نظرت إلى عمرو) ١/ ١٢٤.

(٦) هذا مذهب البصريين في سبب تسميتها حروف جر، أما الكوفيون فيسمونها حروف خفض، قالوا: لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به، انظر: "الإيضاح في علل النحو" ص ٩٣.." [2]

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٩٠٥/٧

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٣٥/١

"عطف الحديد على موضع بالجبال (١)، ولهذا قال سيبويه: (إنك إذا قلت: مررت بزيد [فكأنك قلت: مررت زيدا) (٢)، تريد (٣) بذلك أنه لولا الباء الجارة لانتصب زيد، وعلى ذلك أجازوا مررت بزيد] (٤) الظريف، تنصبه على موضع (بزيد) (٥).

(وجميع (٦) الحروف المفردة التي تقع في أوائل الكلم حكمها الفتح أبدا. نحو (واو) العطف و (فائه) و (همزة) الاستفهام و (لام) الابتداء.

فأما (الباء) في (بزيد) فإنما كسرت لمضارعتها (اللام) الجارة (٧) في قولك: (المال لزيد) وسنذكر العلة في كسر اللام في قوله ﴿الحمد لله﴾ [الفاتحة: ٢] إن شاء الله (٨) ووجه المضارعة بينهما اجتماعهما في الجر ولزوم كل واحد منهما الحرفية (٩)، وليست كذلك (**كاف التشبيه)**؛ لأنها قد تكون

---

(١) في (ب): (الجبال).

(٢) انظر: "الكتاب" ١/ ٩٢، والنص من "سر صناعة الإعراب" ١/ ١٣١.

(٣) في "سر صناعة الإعراب" (يريد) وهذا أقرب، فأبو الفتح يقول: يريد سيبويه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٥) بنصه من "سر صناعة الإعراب" ١/ ١٤٤.

(٦) بنصه عن أبي الفتح من "سر صناعة الإعراب" ١/ ١٤٤.

(٧) قال الثعلبي العلة في كسرها أن (الباء) حرف ناقص ممال، والإمالة من دلائل الكسرة. "تفسير الثعلبي" ١/ ١٥.

(٨) في "سر صناعة الإعراب" وسنذكر العلة في كسر (اللام) في موضعها ... ، ١/ ١٤٤، وقد تكلم الواحدي عن العلة في كسر (اللام) عند الكلام عن اللام الجارة في لفظ الجلالة في قوله ﴿الحمد لله﴾ ونقل في ذلك عن أبي الفتح ابن جني.

(٩) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ١/ ٣، "إعراب القرآن" للنحاس ١/ ١١٦، "تفسير الثعلبي" ١/ ١٥/ ب، "المشكل" لمكي ١/ ٥، "الكشاف" ١/ ٢٣.." [١]

"كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك. وهذا كقوله (١) ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ [البقرة: ٢٣٦].

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٣٧/١

قوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾ أي: ما أعطاها من الرزق، قال السدي: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني (٢). وذلك أنه لو كلف الفقير أن يوسع فقد كلفه ما لم يؤته، وإذا كلف الغني ذلك لم يكلفه إلا ما آتاه.

قوله: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ أي من بعد ضيق وشدة غنى وسعة ورخاء.

قال أبو إسحاق: كان الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت الفقر والفاقة فأعلمهم الله عز وجل أنه سيوسر المسلمون، ففتح عليهم بعد ذلك وجعل يسرا بعد عسر (٣)، والمؤمنون وإن كانوا في حال ضيقة فهم على رجاء اليسر من الله تعالى.

٨ - قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ الكلام في كأين والاختلاف فيها قد تقدم ذكره في سورة آل عمران (4).

---

(١) في (ك): (كله).

(٢) انظر: "جامع البيان" ٢٨/ ٩٧، و"إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٤٥٦.

(٣) انظر: "معاني القرآن" ٥/ ١٨٧.

(٤) عند تفسيره الآية (١٤٦) من سورة آل عمران.

قال أبو الهيثم: كأي بمعنى كم، وكم بمعنى الكثرة. والكاف في (كأين) **كاف التشبيه** دخلت على (أي)، التي هي الاستفهام كما دخلت على (ذا) في (كذا) و (أن في (كأن) ولا معني للتشبيه فيه ... وكثر استعمال هذه الكلمة فصارت ككلمة واحدة موضوعة للتكثير، وفي كأين ثلاث لغات: كأين بوزن كعين، وكائن بوزن كاعن، وكاين بوزن ماين. وانظر: "اللسان" ٣/ ٣٢٣ (كين). =." [١]

"وتظاهرهم على النبي - صلى الله عليه وسلم -، كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام.

قال ابن الأنباري (١): لم يخاطب الله تعالى العرب إلا بما تعقل (٢)، وقد يكون من عادتها أن تحذف المشبه، وتذكر المشبه به (٣)، وتكون **كاف التشبيه** دليلا على المحذوف، كقول امرئ القيس:

كدأبك من أم الحويرث .... البيت (٤).

أي لقيت من هذه المنازل، كما لقيت من هاتين المرأتين (٥)، فحذف، وهذا مشهور في الكلام.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥١٧/٢١

(١) لم أقف على مصدر قوله.

(٢) في (د): (تفعل).

(٣) (به): ساقطة من: (ج).

(٤) البيت من معلقته، وهو في: "ديوانه": ص ١١١. وروايته في "الديوان":

كدينك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

وورد كذلك في "تفسير الطبري" ٣/ ١٩١، "شرح القصائد السبع" لابن الأنباري ٢٧، "إيضاح الوقف والابتداء" لابن الأنباري ٢/ ٥٦٩، "إعراب القرآن" للنحاس ١/ ٣١٤، "الأمالي" للقالي ٢/ ٢٩٥، "المنصف" لابن جني ١/ ١٥٠، "شرح المعلقات السبع" للزوزني ص ١٠، "شرح القصائد العشر" للتبريزي ص ١٠، "خزانة الأدب" ٣/ ٢٢٣.

والدأب في البيت: العادة. وكذا قوله: (كدينك) أي: كعادتك. و (أم الحويرث) هي: أخت الحارث الكلبي، وهي امرأة أبي الشاعر، كما صوب ذلك البغدادي في "خزانة الأدب" وقيل: هي أم الحارث الكلبي. و (أم الرباب): امرأة من بني كلب أيضا، و (مأسل): إسم جبل.

(٥) أي: لقيت من وقوفك على هذه الديار وتذكرك أهلها، كما لقيت من أم الحويرث وجارتها. وقيل: أصابك من التعب من هذه المرأة، كما أصابك من هاتين المرأتين أي: أصبحت عادتك في حب هذه، كعادتك من تينك في قلة حظك من وصالهما ومعاناتك الوجد بهما.." [١]

"تبشرون﴾ [الحجر: ٥٤].

والوقف على هذه الحروف يكون بالهاء (١)، نحو: (فبمه)، و (لمه). ولا يجوز حذف الألف [من (ما)، إذا كانت موصولة] (٢)؛ لأن [الألف في] (٣) الموصولة [بمنزلة حرف في وسط الاسم؛ لأن الموصولة] (٤) لا تتم (٥) إلا بصلتها، والطرف (٦) أقوى على التغيير من وسط الاسم، كما قوي على التغيير بالإعراب (٧) والتنوين (٨).

وزعم الكسائي (٩)، أن أصل (كم) (١٠) كما، وهذا غلط منه عند

= ويجب حذف ألف (ما) بعد دخول حرف الجر عليها، مع إبقاء الفتحة دليلا عليها، إلا في الشعر،

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧١/٥

حال الضرورة الشعرية. انظر: "المغني" لابن هشام: ٣٩٣.
وذكر أبو حيان أن قوما يحذفون الألف من (ما) الاستفهامية في الوصل، فيقولون: (م صنعت؟). وذكر كذلك أن من العرب من يثبت الألف إذا دخل عليها حرف الجر، وقال: (وذلك قليل وقبيح). "ارتشاف الضرب" ١/ 5٤٤، وانظر: "شرح المفصل" ٤/ ٨.
(١) في (ج): (كأنها). انظر في هذا المعنى: "شرح المفصل" ٤/ ٦، "ارتشاف الضرب" ١/ ٥٤٤.
(٢) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).
(٣) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).
(٤) ما بين المعقوفين زيادة لازمة من (ج).
(٥) (لا تم) ساقطة من: (ج).
(٦) في (ب): (والظرف).
(٧) بالإعراب: في (أ) غير واضحة، وفي (ب): (للإقراب). والمثبت من: (ج).
(٨) في (ب): (وللتنوين). انظر في هذا المعنى "شرح المفصل" ٤/ ٩.
(٩) انظر: "معاني القرآن" للزجاج: ١/ ٤٢٨، "الجنى الداني" ٢٦١ ونسب هذا الرأي للكسائي والفراء.
(١٠) أي: إن (كم) مركبة من: **كاف التشبيه**، و (ما) الاستفهامية محذوفة الألف، وسكنت ميمها لكثرة الاستعمال.." [١]

"البصريين؛ لمخالفة (١) (كم) (ما) في اللفظ، والمعنى؛ أما في اللفظ: فكان يجب أن تبقى الفتحة (٢) لتدل على الألف، كما باقيت في (لم) ونحوه. وأما في المعنى: فإن (كم) سؤال عن العدد، و (ما) سؤال عن الجنس، فليس بينهما مشابهة، ولا **لكاف التشبيه** في (كم) معنى.
وقوله تعالى: ﴿بآيات الله﴾. يعني: القرآن (٣).
﴿وأنتم تشهدون﴾، قال قتادة (٤)، والربيع (٥)، والسدي (٦): أي: تشهدون بما يدل على صحة القرآن من كتابكم؛ لأن فيه نعت محمد وذكره.
وقيل (٧): ﴿وأنتم تشهدون﴾ بمثلها من آيات الأنبياء التي تقرون بها. فحذف من الكلام ما يشهدون به ويقرون؛ لأن الكلام كان توبيخا، فدل على: (وأنتم تشهدون بما عليكم فيه الحجة)، فحذف؛ للإيجاز، مع الإستغناء عنه بالتوبيخ.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٣٤٤

والحجة عليهم: إقرارهم بالبشارة لمحمد ثم الكفر به، والإقرار بمثل

---

(١) (لمخالفة): غير واضحة كاملا في (أ)، وفي (ب): (لمحل أداة). والمثبت من: (ج).

(٢) في (ج): (العدد الفتحة).

(٣) ممن قال بهذا: مقاتل بن سليمان في "تفسيره" ١/ ٢٨٣. وفسر السدي (آيات الله) بـ (محمد - صلى الله عليه وسلم -). وفسرها مقاتل بن حيان بالحجج. أما الطبري، فقد فسرها بما أنزل عليهم من كتب الله على ألسن أنبيائه. انظر: "تفسير الطبري" ٦/ ٥٠٣، "تفسير ابن أبي حاتم" ٢/ ٦٧٦.

(٤) قوله في "الطبري" ٣/ ٣٠٩، "ابن أبي حاتم" ٢/ ٦٧٦.

(٥) السابق.

(٦) السابق.

(٧) لم أقف على هذا القائل. وقد أورده الماوردي في "النكت والعيون" ٢/ ٨٥٤، ولم يعزه إلى قائل.." (١)

"أعطي ثوابها، ولم يحرم من الدنيا ما يعطاه من عمل الدنيا (١)، مما قسم له.

١٤٦ - قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي﴾.

اجتمعوا (٢) على أن معنى (كأين): كم (٣)؛ وتأويلها: التكثير لعدد الأنبياء الذين هذه صفتهم. والكاف (٤) في (كأين) **كاف التشبيه**، دخلت على (أي)، التي هي الاستفهام-، كما دخلت على (ذا) من (كذا (٥)، و (أن) من (كأن)، ولا معنى للتشبيه فيه، كما أنه لا معنى للتشبيه في (كذا)؛ لأنك تقول: (لي عليه كذا وكذا)؛ معناه: لي عليه عدد ما. فلا معنى للتشبيه. إلا أنها زيادة لازمة، لا يجوز حذفها.

ولم يقع للتنوين صورة في الخط، إلا في هذا الحرف خاصة.

وكثر استعمال هذه الكلمة، فصارت ككلمة واحدة، موضوعة

---

(١) في "تفسير الطبري" مع ما يجري عليه من الرزق في الدنيا.

(٢) في (ج): (أجمعوا). وكذا ورد في "تفسير الفخر الرازي" ٩/ ٢٧ حيث نقل هذا النص عن المؤلف.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٤٥/٥

(٣) هي (كم) الخبرية التي يكنى بها عن معدود كثير، ولكنه مجهول الجنس والكمية. و (كأين تشترك مع (كم) -هنا- في إفادة التكثير للمعدود، وهو الغالب من استعمالها، وتستعمل في الأكثر مع (من)، ولا تأتي استفهاما إلا في النادر، وهو رأي الجمهور، وأثبت وقوعها استفهاما: ابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك؛ كما أفاد ذلك ابن هشام. ويرى سيبويه أن معنى (كأين) معنى: (رب).

انظر: "كتاب سيبويه" ٢/ ١٧٠، و"تأويل مشكل القرآن" ٥١٩، و"الإيضاح العضدي" ١/ ١٤٣، و"المغني" لابن هشام ٢٤٦، و"النحو الوافي" ٤/ ٥٧٧ - ٥٨٠.

(٤) من هنا إلى نهاية: (.. لدن غدوة): نقل معناه عن "الحجة"، للفارسي ٣/ ٨٠ - ٨٢، مع إضافات أخرى لم أقف على مصادرها.

(٥) (كذا) من كنايات العدد المبهمة التي يكنى بها عن معدود؛ سواء كان كثيرا أو قليلا.." [١]

"﴿كما لم يؤمنوا﴾ معنى الجزاء (١)، ومعنى الآية: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على تركهم الإيمان في المرة الأولى، يعني: كما لم يؤمنوا أول مرة، فكذلك نقلب أفئدتهم وأبصارهم في المرة الثانية، وعلى هذا لا محذوف في الآية، وهو معنى قول ابن عباس (٢) والعوفي (٣) وهذه الآية حجة على القدرية الذين يكذبون بقضاء الكفر (٤).

---

(١) انظر: "تفسير ابن عطية" ٥/ ٣١٩، ونقل الرازي ٣/ ١٤٨، السمين في "الدر" ٥/ ١١١، هذا القول عن الواحدي، وقال ابن القيم في "بدائع التفسير" ٢/ ١٧٢: (اختلف في قوله: ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾، فقال كثير من المفسرين المعنى: نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة. وقال آخرون: المعنى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركهم الإيمان به أول مرة، فعاقبناهم بتقليب أفئدتهم وأبصارهم، وهذا معنى حسن، فإن **كاف التشبيه** تتضمن نوعا من التعليل، كقوله ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ [القصص: ٧٧]، والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر. والتقليب: تحويل الشيء عن وجه إلى وجه، وكان الواجب من مقتضى إنزال الآية وصولهم إليها كما سألوا أن يؤمنوا إذ جاءتهم لأنهم رأوها عيانا وعرفوا أدلتها وتحققوا صدقها، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليبا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي ينبغي أن تكون عليه ..) ا. هـ ملخصا، وقال أبو حيان في "البحر" ٤/ ٢٠٤: (الكاف في (كما) الظاهر أنها لتعليل، وهو واضح فيها وإن كان استعمالها

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ٤٦/٦

فيه قليلا. وقالت فرقة: هي بمعنى المجازاة، وهو معنى التعليل إلا أن تسمية ذلك غريبة لا يعهد في كلام النحويين أن الكاف للمجازاة) ا. هـ ملخصا.

(٢) أخرجه الطبري ٧/ ٣١٥، وابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٠ بسند جيد، قال: (لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا) ا. هـ ، وأخرجا بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء وردت عن كل أمر) ا. هـ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: "تفسير الرازي" ١٣/ ١٤٦، ١٤٧.." [١]

"اللغة قريب من الاستقبال، نهى صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان، أي: عن استقبالهم» (١).

وفي حديثه عن قوله تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾ [البقرة:٥١] قال:

«وحقيقة الوعد أن يكون للشيء، فإذا كان على الشيء فهو مجاز»، ثم استشهد بدعاء نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله: «(يا من إذا وعد وفى وإذا توعد عفا)» (٢).

ولما تكلم على معاني (الأكل) الحقيقية والمجازية في أثناء حديثه عن قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها﴾ [البقرة:٥٨] قال: «و (الأكل) حقيقة: التلقف والاستراط، ويستعمل في الإنفاق مثل: أكل الدراهم والدنانير، ويستعمل في الاستيلاء»، واستشهد للمعنى الأخير بقوله صلى الله عليه وسلم: «(أمرت بقرية تأكل القرى)» (٣).

٤ - الشعر العربي:

يعد الشعر العربي الموثوق بروايته من المنابع ال أصيلة التي أمدت النحو العربي بمادة غنية أفادته في بناء أصوله وتقعيد قواعده. وقد عني علماؤنا القدامى بالبحث عن مادته وجمعها لتكون من مصادرهم الأصيلة في الاحتجاج لمسائل النحو واللغة.

وفي (درج الدرر) أشعار كثيرة لشعراء جاهليين ومخضرمين وإسلاميين وأمويين استشهد بها المؤلف، وعزا قسما منها إلى قائليها، وترك قسما آخر منها بلا عزو. وفي ما يأتي أمثلة من الشواهد الشعرية التي وردت في الكتاب:

عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ [البقرة:١٥] بين أن المراد به أنه «يجازيهم على استهزائهم»

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٦٢/٨

(٤)، ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا.

وحين تكلم على قوله تعالى: ﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ [البقرة:٧٤] قال:

«وإنما ارتفع (أشد) عطفا على الخبر وهو الكاف، ويجوز أن تكون **كاف التشبيه** في م حل الإعراب»

(٥)، واستشهد بقول الأعشى:

أتنتهون ولا ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

ثم قال مستدلا به: «فأخبر عن الكاف، والإخبار عن الاسم لا غير دل على أنه يقبل

---

(١) درج الدرر ٤٢.

(٢) درج الدرر ٥٨.

(٣) درج الدرر ٦٦.

(٤) درج الدرر ١٥.

(٥) درج الدرر ٨٧.." [1]

"﴿أشد:﴾ أي: أغلظ (١). وإنما ارتفع (أشد) عطفا على الخبر وهو الكاف (٢)، ويجوز أن تكون

(٣) **كاف التشبيه** في محل الإعراب، قال الشاعر (٤): [من البسيط]

أتنتهون ولا ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

فأخبر عن الكاف، والإخبار عن الاسم لا غير دل على أنه يقبل الإعراب في التقدير.

ولفظة (أشد) ههنا للمبالغة في التفضيل (٥)، يقال: اليوم أشد بردا من أمس.

ونصب ﴿قسوة﴾ على التفسير (٦).

والألف واللام في ﴿الحجارة﴾ لاستغراق الجنس (٧).

و (ما) (٨): بمعنى الذي (٩)، وهو في محل النصب لمكان (إن) (١٠).

والهاء في ﴿منه﴾ كناية عن (ما) (١١).

﴿يتفجر منه الأنهار:﴾ أي: ماء الأنهار (١٢)، كقولهم: سال الميزاب أو الوادي.

﴿يشقق:﴾ يتشقق (١٣) وينفلق فيخرج منه بلل وماء لا يبلغ الأنهار (١٤). وهذا يدل على جواز التضمين

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٢/١

والتوليد.

﴿من خشية الله:﴾ أي: من سبب رهبة الله (١٥).

وهذا يدل على أن الجوهر محل للمعاني من الإرادة والتمييز والخشية والنطق والألم واللذة إن أوجد الله فيه، سواء كانت فيه الحياة والقدرة أو لم تكن، ولأنه لا تعلق لهذه المعاني بالحياة والقدرة (١٦) كالظهور والخفاء والقيام والبقاء، بخلاف الكسب والاختيار لأنهما مختصان بالحياة،

---

(١) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٨٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٥١٤، وإعراب القرآن ١/ ٢٣٨، والكشاف ١/ ١٥٥.

(٣) في ك وع: يكون.

(٤) الأعشى، ديوانه ١١٣، والأشباه والنظائر ٧/ ٢٧٩.

(٥) ينظر: الكشاف ١/ ١٥٥، والتفسير الكبير ٣/ ١٢٩، والبحر المحيط ١/ ٤٢٩.

(٦) ينظر: إعراب القرآن ١/ ٢٣٨، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٩٦، وتفسير القرطبي ١/ ٤٦٤.

(٧) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٨٥.

(٨) الآية نفسها: لما يتفجر منه الأنهار.

(٩) ينظر: البحر المحيط ١/ ٤٣٠.

(١٠) ينظر: إعراب القرآن ١/ ٢٣٨، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٩٩، والمحرر الوجيز ١/ ١٦٧.

(١١) ينظر: إعراب القرآن ١/ ٢٣٨، والمحرر الوجيز ١/ ١٦٧، وتفسير القرطبي ١/ ٤٦٥.

(١٢) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٥١٥، ومجمع البيان ١/ ٢٦٨.

(١٣) ساقطة من ك وب. وينظر: تفسير الطبري ١/ ٥١٥، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٠٩، والكشاف ١/ ١٥٥.

(١٤) ينظر: تفسير البغوي ١/ ٨٥، والمحرر الوجيز ١/ ١٦٧، وتفسير القرطبي ١/ ٤٦٤.

(١٥) ينظر: التفسير الكبير ٣/ ١٣١.

(١٦) (أو لم تكن. . . والقدرة) مكررة في ب.." [١]

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١٨٢/١

"أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن علي بن توبة الزراد، أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس بن محمد الجرجاني، وأبو أحمد محمد بن أحمد المعلم الهروي، قالا أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الماليني، أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي، أخبرنا حيان بن موسى وعبد الله بن أسماء ابن أخي جويرية بن أسماء، قال أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه" (١) .

﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦) ﴾

قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾ قرأ ابن كثير " وكائن " بالمد والهمزة على وزن فاعل وتليين الهمزة أبو جعفر، وقرأ الآخرون " وكأين " بالهمز والتشديد على وزن كعين، ومعناه: وكم، وهي **كاف التشبيه** ضمت إلى أي الاستفهامية، ولم يقع للتنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة ويقف بعض القراء على " وكأي " بلا نون والأكثرون على الوقوف بالنون قوله ﴿قاتل﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة بضم القاف وقرأ الآخرون ﴿قاتل﴾ فمن قرأ ﴿قاتل﴾ فلقوله: ﴿فما وهنوا﴾ ويستحيل وصفهم بأنهم لم يهنوا بعدما قتلوا لقول سعيد بن جبير: ما سمعنا أن نبيا قتل في القتال ولأن ﴿قاتل﴾ أعم.

قال أبو عبيد: إن الله تعالى إذا حمد من قاتل كان من قتل داخلا فيه، وإذا حمد من قتل لم يدخل فيه غيرهم، فكان ﴿قاتل﴾ أعم.

ومن قرأ "قتل") فله ثلاثة أوجه: أحدها:

أن يكون القتل راجعا إلى النبي وحده، فيكون تمام الكلام عند قوله " قتل " ويكون في الآية إضمار معناه: ومعه ربيون كثير، كما يقال: قتل فلان معه جيش كثير أي: ومعه.

والوجه الثاني: أن يكون القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد: بعض من معه، تقول العرب قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم ويكون قوله ﴿فما وهنوا﴾ راجعا إلى الباقين.

---

(١) أخرجه البخاري في سبعة مواضع من الصحيح في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١ / ٩ وفي الإيمان وفي العتق وفي مناقب الأنصار وفي النكاح وفي الإيمان

والنذور وفي الحيل. وأخرجه مسلم في الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنية برقم (١٩٠٧) : ٣ / ١٥١٥ - ١٥١٦.." [(١)]

"باسم الله فهو أبتر» «١» إلا كان فعلا كلا فعل، جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم.

والثاني أن يتعلق بها تعلق الدهن بالإنبات «٢» في قوله: (تنبت بالدهن) على معنى: متبركا بسم الله أقرأ، وكذلك قول الداعي للمعرس: بالرفاء والبنين، معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين، وهذا الوجه أعرب وأحسن فإن قلت: فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ؟ قلت:

هذا مقول على ألسنة العباد، كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره، وكذلك:

الحمد لله رب العالمين- إلى آخره، وكثير من القرآن على هذا المنهاج، ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه. فإن قلت: من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون، نحو **كاف التشبيه** ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك، فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر؟

قلت: أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء، وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر، والاسم أحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون، فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة، لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذا كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن، لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة، ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة، وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء. ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن، فقال: سم وسم. قال:

باسم الذي في كل سورة سمه»

---

(١) . لم أره هكذا. والمشهور فيه حديث أبى هريرة من رواية قرة عن الزهري عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ «لا يبدأ فيه بحمد الله أقطع» أخرجه أبو عوانة في صحيحه، وأصحاب السنن. ولأحمد من هذا الوجه «لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع» وللخطيب في الجامع من طريق مبشر بن إسماعيل عن الزهري بلفظ «لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع» والراوي له عن مبشر- مجهول

(٢) . قوله «تعلق الدهن بالانبات» هذا يناسب قراءة «تنبت» من أنبت الرباعي: كما يأتى. (ع)

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢/١١٦

(٣) .

باسم الذي في كل سورة سمة ... قد وردت على طريق تعلمه

أرسل فيها بازلا يقرمه ... فهو بها ينحو طريقا يعلمه

لرؤبة بن العجاج يصف إبلا. ولفظ «اسم» من الألفاظ العشرة التي سمع بناء أوائلها على السكون كابن وامرئ، فإذا ابتدءوا بها زادوا همزة الوصل ولا حاجة لها في الدرج، وسمع تحريك أول بعضها كما في سمه بتثليث أوله وباسم متعلق بأرسل وباؤه للملابسة. وضمير وردت للسورة. وضمير تعلمه بالفوقية لله على طريق الالتفات إلى الخطاب، ويمكن أنه لمخاطب مبهم، وعلى روايته بالتحتية فالضمير لله فقط. ويحتمل من بعد أن ضمير وردت للإبل فكذلك تعلمه بالفوقية، وأما بالتحتية فضميره للہ أو للراعي. والبازل: الذي انشق نابه من الإبل وذلك في السنة التاسعة وربما يزل في الثامنة، وقرم الى اللحم ونحوه: اشتاق إليه. والتقريم والاقرام: التشويق إليه والجملة حال من الراعي المرسل أو صفة لبازل، وعليه فلم يبرز ضمير الفاعل لأمن اللبس. فهو أى البازل وينحو: أى يقصد بها، والباء للظرفية أو للتعدية إلى المفعول به كذهبت بزيد، ويجوز أن الضمير للراعي فالباء للتعدية فقط. وروى «نزلت» بدل «وردت» وهو يؤيد جعل الضمير للسورة، وروى البيت الثاني قبل الأول.

والمعنى أرسل فيها الراعي ملتبسا بذكر اسم الله بازلا حال كونه يشوقه إليها باعفائه من العمل وحبسه عن الإبل ثم إرساله فيها، فذلك البازل يقصد بها طريق يعرفه وهو طريق الضراب، وعلم ما لا يعقل مجاز عن اهتدائه إلى منافعه، على طريق الاستعارة التصريحية والمجاز المرسل، أو شبهه بالعاقل على طريق المكنية، فالعلم تخييل لذلك التشبيہ. وكون اسمه تعالى في كل سورة ظاهر على القول بأن البسملة آية من كل سورة، وإلا ورد مثل سورة العصر. وربما يدفع إيطاء القافية باختلافها في الفاعل وفي معنى المفعول وفي الحقيقة والمجاز.." (١)

"نكروا اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله، كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه.

قالوا: وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره، وأعلاه أسفله. وقرئ: ننظر، بالجزم على الجواب، وبالرفع على الاستئناف أتهتدي لمعرفته، أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه، أو للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام إذا رأت تلك المعجزة البينة، من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحرس. هكذا ثلاث كلمات: حرف التنبيه، **وكاف التشبيه**، واسم الإشارة. لم يقل: أهذا عرشك، ولكن: أمثل هذا عرشك، لئلا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/١

يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل: هو هو، ولا ليس به، وذلك من رجاحة عقلها، حيث لم تقع في المحتمل «١» وأوتينا العلم من كلام سليمان وملئه: فإن قلت: علام عطف هذا الكلام، وبم اتصل؟ قلت: لما كان المقام- الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به- مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو: قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل «٢» ، وهي عاقلة لبيبة، وقد رزقت الإسلام، وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر، وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها- عطفوا على ذلك قولهم: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته، وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها، ولم نزل على دين الإسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله والإسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهر انى الكفرة، ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان

---

(١) . قال محمود: «لم يقل أهذا عرشك، لئلا يكون تلقينا، قالت. كأنه هو ولم تقل هو هو، ولا ليس بهو وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقع في المحتمل، قال أحمد: وفي قولها كأنه هو وعدولها عن مطابقة الجواب للسؤال، بأن تقول: هكذا هو، نكتة حسنة. ولعل قائلا يقول: كلا العبارتين تشبيه، إذ كاف التشبيه فيهما جميعا، وإن كانت في إحداهما داخلة على اسم الاشارة، وفي الأخرى داخلة على المضمر، وكلاهما- أعنى اسم الاشارة والمضمر- واقع على الذات المشبهة، وحينئذ تستوي العبارتان في المعنى، ويفضل قولها هكذا هو بمطابقته للسؤال، فلا بد في اختيار كأنه هو من حكمة فنقول: حكمته والله أعلم: أن كأنه هو عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغاير بين الأمرين، فكاد يقول: هو هو، وتلك حال بلقيس. وأما هكذا هو، فعبارة جازم بتغاير الأمرين، حاكم بوقوع الشبه بينهما لا غير، فلهذا عدلت إلى العبارة المذكورة في التلاوة لمطابقتها لحالها والله أعلم. وقول الزمخشري: ولا ليس بهو، إن كان من قوله فوهم، والصواب: ولا ليس به، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢) . قوله «وطبقت المفصل» لعله: وطابقت. (ع)." (١)

"أنت لا تخفر. ومنه قولهم: قد أيفعت لداته وبلغت أترابه، يريدون: إيفاعه وبلوغه. وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: «ألا وفيهم الطيب الطاهر «١» لداته» والقصد إلى طهارته وطيبه، فإذا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٣٦٩

علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: ليس كالله شيء، وبين قوله ليس كمثله شيء إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها، وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد: وهو نفى المماثلة عن ذاته، ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فإن معناه:

بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها: لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر، حتى أنهم استعملوا فيمن لا يد له، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل «٢» له، ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد، كما كررها من قال:

وصاليات ككما يؤثفين «٣»

---

(١) . قال محمود: «تقول العرب: مثلك لا يبخل، فينفون البخل عن مثله، والمراد نفسه. ونظيره قولك للعربي: العرب لا تخفر الذمم. ومنه قولهم: قد أيفعت لداته وبلغت أترابه. وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته، تريد طهارته وطيبه، فإذا علم أنه من باب الكناية: لم يكن فرق بين قولك ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء، إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها. ونحوه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط، لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون بها شيئا آخر، حتى أنهم يستعملونها فيمن لا يد له، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل، وفيمن لا مثل له، ثم قال:

ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررت في قوله من قال:

وصاليات ككما يؤثفين

ومن قال:

فأصبحت مثل كعصف مأكول

انتهى كلامه. قال أحمد: هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى، وذلك أن الذي يليق هنا تأكيد نفى المماثلة، والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية، وبين تأكيد نفى المماثلة، فان نفى المماثلة المهملة عن التأكيد أبلغ وآكد في المعنى من نفى المماثلة المقترنة بالتأكيد، إذ يلزم من نفى المماثلة الغير المؤكدة نفى كل مماثلة. ولا يلزم من نفى مماثلة محققة متأكدة بالغة نفى مماثلة دونها في التحقيق والتأكيد. وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت في الإثبات فأكدته، فليس النظر في الآية بهذين النظرين مستقيما والله أعلم. ومما يرشد إلى صحة ما ذكرته أن للقائل

أن يقول: ليس زيد شبيها بعمرو، لكن مشبها له، ولو عكس هذا لم يكن صحيحا، وما ذاك إلا أنه يلزم من نفى أدنى المشابهة نفى أعلاها، ولا يلزم من نفى أعلاها نفى أدناها، فمتى أكد التشبيه قصر عن المبالغة. والوجه الأول الذي ذكره هو الوجه في الآية عنده، وأتى بمطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله: ولك أن تزعم، فافهم.

(٢) . رواه ابن عبد الرحمن بن موهب حليف بنى زهرة عن أبيه: حدثني مخرمة بن نوفل بحديث سقيا عبد المطلب لكن ليس فيه الطيب الطاهر لداته ورواه الطبراني وأبو نعيم في الدلائل من حديث عروة بن مصرف عن مخرمة ابن نوفل عن أمه رقيقة بنت أبى صيفي بن هاشم، وكانت لدة عبد المطلب. قالت «تتابعت على قريش سنون- الحديث بطوله» ورويناه في جزء أبى السكين. «تنبيه» وقع رقيقة بنت صيفي والصواب بنت أبى صيفي.

(٣) .

لم يبق من آي بها يحلين ... غير رماد وعظام كثفين

وغير ود جازل أو ودين ... وصاليات ككما يؤثفين

لخطام المجاشعي. والآي: واحده آية، أى: علامة. ويحلين: مضارع مبنى للمجهول، من حليته تحلية: إذا وصفت حليته وصفته. يقول: لم يبق من آثار هذه الديار علامات فيها تذكر صفتها غير رماد وعظام متكاثفين متراكمين. والكشف- بالتحريك-: كسبب: المجتمع، فلعله سكنه للوزن. وروى: غير رماد وخطام كثفين.

و الخطام: الزمام. ويروى بالمهملة، وهو ما تحطم وتكسر من الحطب اليابس. والكثف- كحمل-: وعاء الرعي فكثفين على حذف العاطف. وقيل بدل مما قبله. والأوجه روايته وخطام كثفين بالاضافة، لأجل موافقة القوافي أى: ورباط وعاءين، وكرر أداة الاستثناء للتوكيد. والود: أصله وتد، فقلبت التاء دالا وأدغمت في الأخرى عند تميم شذوذا. والجادل: المنتصب والغليظ، أى: لم يق غير وتد منتصب بها أو وتدين لا غير، حيث لم يشك إلا في ذلك. والصاليات صفة للاثافى. وقيل: صفة للنساء الموقدات للنار: وقيل: صفة للخيل الصاليات للحرب كالأثافى الصاليات للنار، لكنهما لا يناسبان وصف الدار بالخلو. والأثفية: حجر الكانون، وزنها: أفعولة في الأصل، وجمعها أثافى. وأثفيت للقدر: وضعت الأثافى لها. وثفيتها تثفية: وضعتها على الأثافى. وقوله:

يؤثفين مضارع مبنى للمجهول، جاء على الأصل مهموزا، كيؤكر من بالهمزة، وهذا يدل على أن الصاليات

صفة للأحجار الملازمات للنار المحترقات بها، فلعله شبه النساء بالأثافى لدمامتهن وسوادهن، بكثرة الدخان وملازمتهن النار.

وعليه فالمعنى: ونساء صاليات كالأحجار تثفى وتوضع للقدر، فما موصولة واقعة على الأحجار لا مصدرية ولا كافة، وكرر **كاف التشبيه** للتوكيد، لكن الثانية اسم بمعنى مثل، لأن حرف الجر لا يدخل على مثله. ويمكن أنه كرر الحرف من غير إعادة المجرور شذوذا. ويروى بعد قوله وصاليات ... الخ

لا يشتكين عملا ما أنقين ... ما دام مخ في سلامى أو عين

وهو يناسب القول بأنها صفة للنساء أو الخيل على التشبيه السابق. والانقاء: كثرة النقي بالكسر وهو المخ. يقال:

أنقت الإبل إذا سمنت وكثر مخها، أى: لا يشتكين عملا مدة إنقائهن وسمنهن، وفسر ذلك بقوله: ما دام مخ ... الخ والسلاميات: عظام الأصابع وهي والعين آخر ما يبقى فيه المخ. ويروى أيضا هكذا:

أهل عرفت الدار بالغريين ... وصاليات ككما يؤثفين

والغريان: بناء ان طويلان، يقال: هما قبرا مالك وعقيل: نديمى جذيمة الأبرش، سميا بذلك لأن النعمان كان يغريهما يمن يريد قتله إذا خرج يوم بؤسه. والأشبه أن ذلك من تخليط الراوي، وأن الصاليات: الأحجار. وقوله «لا يشتكين ... الخ» ليس من هذا الرجز، فلا ينبغي روايته معه، وهو الذي من صفة الخيل، أو أصل النساء لا الصاليات. ويجوز أن الرجز هكذا:

أهل عرفت الدار بالغريين ... لم يبق من آي بها يحلين

وأن قوله «لا يشتكين ... الخ» من موضع آخر من ذلك الرجز في صفة الخيل، كما رواه صاحب الكافي شاهدا على الأكفاء في القافية هكذا:

بنات وطاء على خد الليل ... لا يشتكين عملا ما أنقين

لاختلاف حرفى الروى. والوطاء- بالضم والتشديد-: من الوطء على الأرض. وخد الليل: طريقه الذي لا يسلك إلا فيه. وقال بعضهم: إن هذا في صفة الخيل، وأنه من مشطور المنسرح الموقوف. وعلى أنه في صفة أجل، أى: فلك ارمطايا بنات نوق أو فحول، وطاء: جمع واطئ أو واطئة، على خد الليل: كناية عن قوتهن في السير، حتى كأنهن يغلبن الليل، فيصر عنه ويطأن على خده، فهن لا يبالين به. [.....]."(١)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢١٣/٤

"«اصرخ بالناس «١» » وكان العباس أجهر الناس صوتا «٢» . يروى: أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه، فأسقطت الحوامل لشدة صوته «٣» . وفيه يقول نابغة بنى جعدة:

زجر أبى عروة السباع إذا ... أشفق أن يختلطن بالغنم «٤»

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه «٥» . وفي قراءة ابن مسعود: لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد في قول الأعلم الهذلي:

رفعت عيني بالحجا ... ز إلى أناس بالمناقب «٦»

وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد، تخيلا أن يكون ما دون الشديد مسوغا لهم، ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة، واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون. وعن ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت، فكان إذا تكلم رفع صوته، وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته «٧» . وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت: فقد ثابت، فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر بشأنه، فدعاه، فسأله فقال: يا رسول الله، لقد أنزلت إليك هذه الآية، وإنى رجل جهير الصوت. فأخاف أن يكون عملى قد حبط، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لست هناك، إنك تعيش بخير وتموت بخير، وإنك من أهل الجنة «٨» .. وأما ما يروى عن الحسن: أنها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمحمله والخطاب للمؤمنين: على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهى، ليكون الأمر أغلظ عليهم وأشق. وقيل: كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم، فيقتدى بهم ضعفة المسلمين. **وكاف التشبيه** في محل النصب،

---

(١) . لم أجده، وقد تقدم أن ذلك كان يوم حنين، والعباس لم يشهد أحدا.

(٢) . لم أجده

(٣) . لم أجده

(٤) . تقدم شرح هذا الشاهد بهذا الجزء صفحة ٣٨ فراجعه إن شئت اه مصححه.

(٥) . لم أجده

(٦) . للأعلم الهذلي، يقول: نظرت وأنا في الحجاز إلى من في المناقب. وهذان الموضعان بينهما مسافة

بعيدة، وهذا من شدة الشوق إلى من في المناقب.

(٧) . لم أجده

(٨) . متفق عليه من حديث أنس دون قوله «لست هناك، وزاد أحمد والطبراني فيه: فقال أنس: فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة» .." (١)

"يريد: الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الأمور وكفايات الخطوب، ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب، ونحوه:

فأنت به حوش الفؤاد سبطنا ... سهدا إذا ما نام ليل الهوجل «١»

وفي أمثالهم:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا تورد يا سعد الإبل «٢»

---

(١) .

ولقد سربت على الظلام بمغشم ... جلد من الفتيان غير مثقل

ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق فشب غير مهبل

ومبرأ من كل غير حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل

حملت به في ليلة مزؤدة ... كرها وعقد نطاقها لم يحلل

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا ... سهدا إذا ما نام ليل الهوجل

لأبى كبير الهذلي يصف مأبط شرا، واسمه: جابر بن ثابت، تزوج الهذلي بأمه بعد جابر فخاف منه، فأغرته على قتله فخرج به متحيلا لذلك فلم يقدر، فمدحه بالشجاعة والفطنة: يقول: سرت ليلا في الظلمة بمغشم، أى مع فتى يقدم على الأمر بلا مبالاة ولا تدبير ولا خوف عاقبة، مع جراءة، جلد، أى: صلب صبور غير مثقل، أى: خفيف في السير منزه عن كل ما يوجب الضعف والتباطؤ، وبينه بقوله: ممن حملن. أى: هو ممن حملن، أى جنس النسوة به، أو هو بعض الفتيان الذين حملت بهم النسوة، وأفرد ضمير «به» مراعاة للفظ «من» وضمن العمل معنى العلوق، فعداه بالباء، وإلا فهو يتعدى بنفسه. والحبك: جمع حباك كخزام. أو جمع حبيك أو حبيكة، وهو الخيوط التي يحبك بها النطاق. والمهبل: المدعو عليه بالهبل، أى، الثكل والفقد. والغبر- بالضم فالتشديد-: بقية الحيض وغيره، وكذلك الغبر- بالضم وبالفتح مع السكون. والغابر:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٥٣/٤

الباقي والذاهب. ويجوز أن غبر: جمع غابر، وغبر يغبر غبورا- كدخل-: بقي وذهب، أى: لم تحمل به أمه في زمن بقية الحيض. ومرضع: من الصفات المختصة بالمؤنث، والغالب تجريدها من التاء، فما هنا على خلاف الغالب. والغيلة: إحبال الرجل امرأته وهي ترضع ولدها: فيمرض، فالمغيل: الممرض بالغيلة. وفي حديث مسلم: لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم، وكان القياس في مغيل إعلاله كمقيم ومبين ومعين، لكن جاء على الأصل شذوذا للضرورة، وروى معضل، أى معى ومعجز للأطباء. وزأده- كذعره: إذا خوفه، فهو مزؤود ومذعور فالمزءودة: المخوفة، وتخويف الليلة مجاز عقلى: كشربت الكوز. والخوف في الحقيقة المرأة. ويروى بالنصب على الحال، لكن يضيع ذكر ليلة، إلا أن يقدر وصفها بمظلمة، والنطاق: ما يشد به الوسط. وحوش الفؤاد بالضم وحشى القلب لحدته وتوقده ونفوره عن الناس. والرجل الحوش والحوشى: الذي يجانب الناس مبطنا خميص البطن منضمره: سهدا- بضمتين-: كثير السهاد أى السهر: وإسناد النوم إلى الليل مجاز عقلى، وإنما النائم الهوجل:

وهو الرجل الطويل الأحمق، ومن تجربة العرب: أن المرأة إذا حملت بولدها كارهة غير مستعدة للوطء: جاء ولدها نجيبا، حكى عن أم تأبط شرا أنها قالت فيه: والله إنه الشيطان، ما رأيته ضاحكا قط، ولا هم بشيء في صباء إلا فعله، ولقد حملت به في ليلة ظلماء، وإن نطاقى لمشدود، وذلك يدل على نجابته وشجاعته.

(٢) . لمالك بن زيد مناة يخاطب أخاه، وكان قد بنى على امرأته فلم يحسن سعد القيام بأمر الإبل، فقال: أوردها سعد إلى الماء والحال أنه مشتمل متلفف بثيابه لا متشمر. وذكر الظاهر مكان المضمر: فيه نوع من التوبيخ.

ما هكذا تورد، أى: تساق إلى الماء، وكان معرضا عنه فالتفت إليه ونداؤه نداء البعيد: دلالة على أنه بليد. وحق هاء التنبيه: الدخول على اسم الاشارة، لكن قدمت على **كاف التشبيه** مبادرة واهتماما بالتنبيه. ويروى بدل الشطر الثاني: يا سعد ما تروى بهذا كالإبل. وهذاك اسم إشارة، وصار هذا البيت يضرب مثلا لكل من لم يحسن القيام بشأن ما تولاه.." (١)

"وهذه اللغة هي أصل هذه اللفظة، لأنها **كاف التشبيه** دخلت على «أي» كما دخلت على «ذا» في قولك لفلان كذا وكذا، وكما دخلت على «أن» في قولك كأن زيدا أسد، لكن بقي لها معنى التشبيه في كأن وزال عنها ذلك في كذا وكذا، وفي كأين، وصرفت العرب كأين في معنى «كم» التي هي للتكثير،

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٣٥/٤

وكثر استعمالهم للفظة حتى لعب فيها لسان العرب على اللغات الأربع التي ذكرت، وهذا كما لعب في قولهم:

لعمري حتى قالوا: وعملي، وكما قالوا: أطيب وأيطب، وكما قالوا: طبيخ في بطيخ، فعوملت الكاف «وأي» معاملة ما هو شيء واحد، فأما اعتلال لغة من قال: «كأين» على وزن فاعل، فإنهم أخذوا الأصل الذي هو «كاين» فقلبوا الياء قبل الهمزة ونقلت حركة كل واحد منهما إلى أختها، فجاء «كيا» على وزن كيع، فحذفوا الياء الثانية المفتوحة تخفيفا، كما حذفوا الياء من ميت وهين ولين فقالوا: ميت وهين ولين، وكما حذفوا الياء الثانية من «أي» تخفيفا ومنه قول الفرزدق بن غالب التميمي:

تنظرت نصرا والسماكين أيهما ... علي من الغيث استهلت مواطره؟

فجاء «كيا» على وزن كيع، فأبدلت هذه الياء الساكنة ألفا مراعاة للفتحة التي قبلها، كما قالوا: في يوجل يأجل، وكما أبدلوا الياء ألفا في «طاى» وكما أبدلت في آية عند سيبويه، إذ أصلها عنده أية على وزن فعلة بسكون العين، فجاء «كاء» ثم كتب هذا التنوين نونا في المصحف، فأما قياس اللغة فحذفه في الوقف، فكما يقولون: مررت بزيد فكذلك يقولون كأي، ووقف عليه أبو عمرو بياء دون نون، وكذلك روى سورة بن المبارك عن الكسائي، ووقف سائر القراء بإثبات النون مراعاة لخط المصحف، قال أبو علي: ولو قيل إنه لما تصرف في الكلمة بالقلب صارت بمنزلة النون التي من نفس الكلمة وصارت بمنزلة لام فاعل فأقرت في الوقف، لكان قولا، ويقوي ذلك أنهم لما حذفوا الكلام من قولهم أما لا، جعلوها بالحذف ككلمة واحدة، فأجازوا الإمالة في ألف «لا» كما تجوز في التي من نفس الكلمة في الأسماء والأفعال، فيوقف على «كأين» بالنون ولا يتوقف على النون إذا لم تقلب، كما لا تميل الألف من «لا» إذا لم يحذف فعلها. قال الفقيه أبو محمد: وبهذه اللغة التي فيها هذا القلب قرأ ابن كثير وحده، وقرأ سائر السبعة باللغة التي هي الأصل «كأين» ، وذهب يونس بن حبيب في «كأين» إلى أنه فاعل من الكون، وقوله مردود، إذ يلزم عنه إعراب الكلمة ولم يعربها أحد من العرب، وأما اللغة التي هي «كأين» على وزن كعين فهي قراءة ابن محيصن والأشهب العقيلي، وتعليل هذه اللغة أنه علل الأصل الذي هو «كأين» بالتعليل المتقدم، فلما جاء «كيا» على وزن كيعن، ترك هؤلاء إبدال الياء الساكنة ألفا كما تقدم في التعليل الأول، وقلبوا الكلمة فجعلوها «كأين» على وزن كعين، وحسن هذا من وجهين: أحدهما أن التلعب والتصرف في هذه الكلمة مهيع، والثاني أنهم راجعوا الأصل الذي هو تقديم الهمزة على الياء، وأما اللغة التي هي كان على وزن كع فهي قراءة ابن محيصن أيضا، حكاها عنه أبو عمرو الداني، وقرأها الحسن بن أبي الحسن، إلا أنه سهل

الهمزة ياء، فقرأ كي في جميع القرآن، وتعليل هذه اللغة أنهم حذفوا الألف من «كاء» الممدودة على وزن كاعن بعد ذلك التصرف كله تخفيفا، وهذا كما قالوا: أم والله، يريدون: أما، وكما قالوا على لسان الضب [المجتث] :

لا أشتهي أن أردا ... إلا عرادا عردا

وصليانا بردا ... وعنكثا ملتبدا." (١)

"وقرأ مبشر بن عبيد: «وما نسألهم» بالنون.

ثم ابتدأ الله تعالى الإخبار عن كتابه العزيز أنه ذكر وموعظة لجميع العالم- نفعنا الله به ووفر حظنا منه بعزته-.

وقرأت الجماعة «وكأين» بهمز الألف وشد الياء، قال سيبويه: هي **كاف التشبيه** اتصلت بأي، ومعناها معنى كم في التكثير. وقرأ ابن كثير «وكائن» بمد الألف وهمز الياء، وهو من اسم الفاعل من كان، فهو كائن ولكن معناه معنى كم أيضا. وقد تقدم استيعاب القراءات في هذه الكلمة في قوله: وكأين من نبي قتل [آل عمران: ١٤٦] .

وال آية هنا المخلوقات المنصوبة للاعتبار والحوادث الدالة على الله سبحانه في مصنوعاته، ومعنى يمرون عليها الآية- أي إذا جاء منها ما يحس أو يعلم في الجملة لم يتعظ الكافر به، ولا تأمله ولا اعتبر به بحسب شهواته وعمهه، فهو لذلك كالمعرض، ونحو هذا المعنى قول الشاعر: [الطويل]

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ... ويصدع قلبي أن يهب هبوبها

وقرأ السدي «والأرض» بالنصب بإضمار فعل، والوقف- على هذا- في السماوات وقرأ عكرمة وعمرو بن فائد «والأرض» بالرفع على الابتداء، والخبر قوله: يمرون وعلى القراءة بخفض «الأرض» ف يمرون نعت لآية. وفي مصحف عبد الله: «والأرض يمشون عليها» . وقوله: وما يؤمن أكثرهم الآية، قال ابن عباس: هي في أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله ثم يشركون من حيث كفروا بنبيه، أو من حيث قالوا عزير ابن الله، والمسيح ابن الله. وقال عكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد هي في كفار العرب، وإيمانهم هو إقرارهم بالخالق والرازق والمميت، فسماه إيمانا وإن أعقبه إشراكهم بالأوثان والأصنام- فهذا الإيمان لغوي فقط من حيث هو تصديقها. وقيل: هذه الآية نزلت بسبب قول قريش في الطواف والتلبية:

لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥١٩/١

أحدهم يقول: لبيك لا شريك لك، يقول له: قط قط، أي قف هنا ولا تزد: إلا شريك هو لك.
وال غاشية ما يغشي ويغطي ويغم، وقرأ أبو حفص مبشر بن عبد الله: «يأتيهم الساعة بغتة» بالياء، وبغتة معناه: فجأة، وذلك أصعب، وهذه الآية من قوله: وكأين وإن كانت في الكفار- بحكم ما قبلها- فإن العصاة يأخذون من ألفاظها بحظ، ويكون الإيمان حقيقة والشرك لغويا كالرياء، فقد قال عليه السلام: «الرياء: الشرك الأصغر» .

وقوله تعالى: قل هذه سبيلي الآية، إشارة إلى دعوة الإسلام والشريعة بأسرها. قال ابن زيد: المعنى: هذا أمري وسنتي ومنهاجي.

وقرأ ابن مسعود: «قل هذا سبيلي» «والسبيل» : المسلك، وتؤنث وتذكر، وكذلك الطريق، وبصيرة: اسم لمعتقد الإنسان في الأمر من الحق واليقين، و «البصيرة» أيضا في كلام العرب: الطريقة في الدم، وفي الحديث المشهور: «تنظر في النصل فلا ترى بصيرة» ، وبها فسر بعض الناس قول الأشعر الجعفي:." (١)

"قالت فرقة: هذه الآية في الخلفاء الأربعة ومعنى هذا التخصيص أن هؤلاء خاصة مكنوا في الأرض من جملة الذين يقاتلون المذكورين في صدر الآية، والعموم في هذا كله أبين وبه يتجه الأمر في جميع الناس، وإنما الآية آخذة عهدا على كل من مكنه الله، كل على قدر ما مكن، فأما الصلاة والزكاة فكل مأخوذ بإقامتها وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكل بحسب قوته والآية أمكن ما هي في الملوك، و «المعروف» والمنكر يعمان الإيمان والكفر فما دونهما، وقالت فرقة: نزلت هذه الآية في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة من الناس وهذا على أن الذين بدل من قوله يقاتلون [الحج: ٣٩] أو على أن الذين تابع ل من في قوله من ينصره [الحج: ٤٠] ، وقوله ولله عاقبة الأمور توعد للمخالف عن هذه الأوامر التي تقتضيها الآية لمن مكن، وقوله وإن يكذبوك يعني قريشا وهذه آية تسلية للنبي عليه السلام ووعيد لقريش، وذلك أنه مثلهم بالأمم المكذبة المعذبة وأسند فعلا فيه علامة التأنيث إلى قوم من حيث أراد الأمة والقبيلة ليطرد القول في عاد وثمود وقوم نوح هم أول أمة كذبت نبيها ثم أسند التكذيب في موسى عليه السلام إلى من لم يسم من حيث لم يكذبه قومه بل كذبه القبط وقومه به مؤمنون، و «أمليت» ، معناه فأمهلت وكأن الإمهال أن تمهل من تنوي فيه المعاقبة، وأنت في حين إمهالك عالم بفعله. و «النكير» ، مصدر كالعذير بمعنى الإنكار والإعذار وهو في هذه المصادر بناء مبالغة فمعنى هذه الآية فكما فعلت بهذه الأمم كذلك أفعل بقومك.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٨٥/٣

قوله عز وجل:

[سورة الحج (٢٢) : الآيات ٤٥ الى ٤٨]

فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥) أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦) ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (٤٧) وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير (٤٨)

«كأين» هي **كاف التشبيه** دخلت على «أي» قاله سيبويه وقد أوعبت القول في هذه اللفظة وقراءتها في سورة آل عمران في قوله وكأين من نبي قاتل [آل عمران: ١٤٦] ، وهي لفظة إخبار وقد تجيء استفهاما، وحكى الفراء «كأين مالك» ، وقرأت فرقة «أهلكناها» ، وقرأت فرقة «أهلكتها» ، بالإفراد والمراد أهل القرية وظالمة معناه بالكفر، وخاوية، معناه خالية ومنه خوى النجم إذا خلا من النور، ونحوه ساقطة على عروشها، والعروش السقوف والمعنى أن السقوف سقطت ثم وقعت الحيطان عليها فهي." (١)

"ذلك عن ابن عباس، ومعنى القول بأنها في المؤذنين أنهم داخلون فيها، وأما نزولها فبمكة بلا خلاف ولم يكن بمكة آذان وإنما ترتب بالمدينة، وأن الآذان لمن الدعاء إلى الله تعالى ولكنه جزء منه. والدعاء إلى الله بقوة كجهاد الكفار وردع الطغاة وكف الظلمة وغيره أعظم غناء من تولي الاذان إذ لا مشقة فيه والأصوب أن يعتقد أن الآية نزلت عامة. قال زيد بن علي المعنى: دعا إلى الله بالسيف.

وقرأ الجمهور: «إنني» بنونين. وقرأ ابن أبي عبلة: «إني» بنون واحدة.

وقال فضيل بن رفيدة: كنت مؤذنا في أصحاب ابن مسعود، فقال لي عاصم بن هبيرة: إذا أكملت الآذان فقل: إنني من المسلمين ثم تلا هذه الآية.

ثم وعظ تعالى نبيه عليه السلام ونبهه على أحسن مخاطبة، فقرر أن الحسنة والسيئة لا تستوي، أي فالحسنة أفضل، وكرر في قوله: ولا السيئة تأكيدا ليدل على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة ولا السيئة والحسنة، فحذف اختصارا ودلت لا على هذا الحذف.

وقوله تعالى: ادفع بالتي هي أحسن آية جمعت مكارم الأخلاق وأنواع الحلم، والمعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات، فمن ذلك بذل

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٢٦/٤

السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقتضاء وغير ذلك. قال ابن عباس: إذا فعل المؤمن هذه الفضائل عصمه الله من الشيطان وخضع له عدوه، وفسر مجاهد وعطاء هذه الآية بالسلام عند اللقاء، ولا شك أن السلام هو مبدأ الدفع بالتي هي أحسن وهو جزء منه، ثم قال تعالى: كأنه ولي حميم فدخل **كاف التشبيه** لأن الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم. والحميم: هو القريب الذي يحتم للإنسان. والضمير في قوله: يلقاها عائد على هذه الخلق التي يتضمنها قوله: ادفع بالتي هي أحسن. وقالت فرقة: المراد: وما يلقى لا إله إلا الله، وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ.

وقوله: إلا الذين صبروا مدح بليغ للصبر، وذلك بين للمتأمل، لأن الصبر للطاعات وعن الشهوات جامع لخصال الخير كلها. والحظ العظيم: يحتمل أن يريد من العقل والفضل، فتكون الآية مدحا. وروي أن رجلا شتم أبا بكر الصديق بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فسكت أبو بكر ساعة، ثم جاش به الغضب فرد على الرجل، فقام النبي عليه السلام فاتبعه أبو بكر وقال: يا رسول الله قمت حين انتصرت، فقال إنه كان يرد عنك ملك، فلما قربت تنتصر، ذهب الملك وجاء الشيطان، فما كنت لأجالسه، ويحتمل أن يريد: ذو حظ عظيم من الجنة وثواب الآخرة، فتكون الآية وعدا، وبالجنة فسر قتادة الحظ هنا.

قوله عز وجل:

[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٣٦ الى ٣٩]

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم (٣٦) ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (٣٧) فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون (٣٨) ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير (٣٩)." (١)

"جعفر «يبطشون» بضم الطاء ها هنا وفي (القصص) «١» و (الدخان) »

. أم لهم أعين يبصرون بها المنافع من المضار أم لهم آذان يسمعون بها تضرعكم ودعاءكم؟ وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا من هم أفضل منه. قل ادعوا شركاءكم قال الحسن: كانوا يخوفونه بآلهتهم، فقال الله تعالى: قل ادعوا شركاءكم، ثم كيدون أنتم وهم فلا تنظرون أي:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/١٦

لا تؤخروا ذلك. وكان ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي يقرءون «ثم كيدون» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو، ونافع في رواية ابن حماد بالياء في الوصل. وروى ورش، وقالون، والمسيبي بغير ياء في الوصل، ولا وقف. فأما «تنظرون» فأثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف. إن وليي الله أي: ناصري الذي نزل الكتاب وهو القرآن، أي: كما أيدني بإنزال الكتاب ينصرني.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٩٧]
والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون (١٩٧)
قوله تعالى: والذين تدعون من دونه يعني الأصنام لا يستطيعون نصركم أي: لا يقدرون على منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يمنعون أنفسهم من سوء أريد بهم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٩٨]
وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون (١٩٨)
قوله تعالى: وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا في المراد بهؤلاء قولان: أحدهما: أنهم الأصنام.
ثم في قوله تعالى: وتراهم ينظرون إليك قولان: أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، وهم لا يبصرون لأنه ليس فيهم أرواح. والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعينا مصنوعة، فأسقط **كاف التشبيه**، كقوله تعالى: وترى الناس سكارى
«٣» أي: كأنهم سكارى، وهم لا يبصرون في الحقيقة. وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم. والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٩٩]
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (١٩٩)
قوله تعالى: خذ العفو العفو: الميسور، وقد سبق شرحه في سورة البقرة «٤» . وفي الذي أمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال: أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد فيكون المعنى:
إقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء. والثاني: أنه المال، وفيه قولان: أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية، والضحاك. والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نسخت بالزكاة، روي عن ابن عباس. والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو

عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد.

---

(١) سورة القصص: ١٩ قوله تعالى: فلما أن أراد أن يبطش.

(٢) سورة الدخان: ١٦ قوله تعالى: يوم نبطش.

(٣) سورة الحج: ٢.

(٤) سورة البقرة: ٢١٩.." [١]

"(ح) قوله: (أعوذ) حكاية عن النفس، ولا بد من الأربعة المذكورة في قوله: (أتين) .

/ أما المباحث العقلية المتعلقة بالباء في قوله أعوذ بالله فهي كثيرة (أ) الباء في قوله: «بالله» باء الإلصاق وفيه مسائل: - المسألة الأولى: البصريون يسمونه باء الإلصاق، والكوفيون يسمونه باء الآلة، ويسميه قوم باء التضمين، واعلم أن حاصل الكلام أن هذه الباء متعلقة بفعل لا محالة، والفائدة فيه أنه لا يمكن إلصاق ذلك الفعل بنفسه إلا بواسطة الشيء الذي دخل عليه، هذا الباء فهو باء الإلصاق لكونه سببا للإلصاق، وباء الآلة لكونه داخلا على الشيء الذي هو آلة.

المسألة الثانية: اتفقوا على أنه لا بد فيه من إضمار فعل، فإنك إذا قلت: «بالقلم» لم يكن ذلك كلاما مفيدا، بل لا بد وأن تقول: «كتبت بالقلم» وذلك يدل على أن هذا الحرف متعلق بمضمر، ونظيره قوله: «بالله لأفعلن» ومعناه أحلف بالله لأفعلن، فحذف أحلف لدلالة الكلام عليه، فكذا هاهنا، ويقول الرجل لمن يستأذنه في سفره: على اسم الله أي سر على اسم الله.

المسألة الثالثة: لما ثبت أنه لا بد من الإضمار فنقول: الحذف في هذا المقام أفصح، والسبب فيه أنه لو وقع التصريح بذلك المضمر لاختص قوله: «أعوذ بالله» بذلك الحكم المعين أما عند الحذف فإنه يذهب الوهم كل مذهب، ويقع في الخاطر أن جميع المهمات، لا تتم إلا بواسطة الاستعاذة بالله، وإلا عند الابتداء باسم الله، ونظيره أنه قال: «الله أكبر» ولم يقل أنه أكبر من الشيء الفلاني لأجل ما ذكرناه من إفادة العموم فكذا هنا.

المسألة الرابعة: قال سيبويه لم يكن لهذه الباء عمل إلا الكسر فكسرت لهذا السبب، فإن قيل: كاف التشبيه ليس لها عمل إلا الكسر ثم إنها ليست مكسورة بل مفتوحة، قلنا: كاف التشبيه قائم مقام الاسم، وهو في العمل ضعيف، أما الحرف فلا وجود له إلا بحسب هذا الأثر، فكان فيه كلاما قويا.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٨٠/٢

المسألة الخامسة: الباء قد تكون أصلية كقوله تعالى: قل ما كنت بدعا من الرسل [الأحقاف: ٩] وقد تكون زائدة وهي على أربعة أوجه: أحدها: للإلصاق وهي كقوله: (أعوذ بالله) وقوله: بسم الله وثانيها: للتبعيض عند الشافعي رضي الله عنه، وثالثها: لتأكيد النفي كقوله تعالى: وما ربك بظلام للعبيد [فصلت: ٤٦] ورابعها: للتعدية كقوله تعالى: ذهب الله بنورهم [البقرة: ١٧] أي أذهب نورهم، وخامسها: الباء بمعنى في قال:

حل بأعدائك ما حل بي أي: حل في أعدائك، وأما باء القسم، وهو قوله: «بالله» فهو من جنس باء الإلصاق.

المسألة السادسة: قال بعضهم: الباء في قوله: وامسحوا برؤسكم [آل عمران: ٦] زائدة والتقدير: وامسحوا رؤسكم، وقال الشافعي رضي الله عنه إنها تفيد التبعيض، حجة الشافعي رضي الله عنه وجوه الأول أن هذه الباء إما أن تكون لغوا أو مفيدا، والأول باطل، لأن الحكم بأن كلام رب العالمين وأحكم الحاكمين لغو في غاية البعد، وذلك لأن المقصود من الكلام إظهار الفائدة فحمله على اللغو على خلاف الأصل، فثبت أنه يفيد فائدة زائدة، وكل من قال بذلك قال: إن تلك الفائدة هي التبعيض، الثاني: أن الفرق بين قوله: «مسحت بيدي." (١)

"الفائدة الثانية: أنه تعالى لما بين في أهل الجنة أن لهم دار السلام بين أنه تعالى وليهم بمعنى الحفظ والحراسة والمعونة والنصرة فكذلك لما بين حال أهل النار ذكر أن مقرهم ومثواهم النار ثم بين أن أولياءهم من يشبههم في الظلم والخزي والنكال وهذه مناسبة حسنة لطيفة.

الفائدة الثالثة: **كاف التشبيه** في قوله: وكذلك نولي تقتضي شيئا تقدم ذكره والتقدير: كأنه قال كما أنزلت بالجن والإنس الذين تقدم ذكرهم العذاب الأليم الدائم الذي لا مخلص منه: وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا.

الفائدة الرابعة: وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا لأن الجنسية علة الضم فالأرواح/ الخبيثة تنضم إلى ما يشاكلها في الخبث وكذا القول في الأرواح الطاهرة فكل أحد يهتم بشأن من يشاكله في النصرة والمعونة والتقوية. والله أعلم.

المسألة الثانية: الآية تدل على أن الرعية متى كانوا ظالمين فالله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فإن أرادوا أن يتخلصوا من ذلك الأمير الظالم فليتركوا الظلم وأيضا الآية تدل على أنه لا بد في الخلق من أمير وحاكم

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩٦/١

لأنه تعالى إذا كان لا يخلي أهل الظلم من أ◌مير ظالم فبأن لا يخلي أهل الصلاح من أمير يحملهم على زيادة الصلاح كان أولى.

قال علي رضي الله عنه: لا يصلح للناس إلا أمير عادل أو جائر فأنكروا قوله: أو جائر فقال: نعم يؤمن السبيل ويمكن من إقامة الصلوات وحج البيت.

وروي أن أبا ذر سال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمارة فقال له: «إنك ضعيف وإنها أمانة وهي في القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحثها وأدى الذي عليه فيها»

وعن مالك بن دينار: جاء في بعض كتب الله تعالى- أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك ونواصيها بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه◌ رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك لكن توبوا إلي أعطفهم عليكم-.

أما قوله: بما كانوا يكسبون فالمعنى نولي بعض الظالمين بعضا بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم والمراد منه ما بينا أن الجنسية علة للضم.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٣٠]

يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١٣٠)

اعلم أن هذه الآية من بقية ما يذكره الله تعالى في توبيخ الكفار يوم ا‌لقيامة وبين تعالى أنه لا يكون لهم إلى الجحود سبيل فيشهدون على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين وإنهم لم يعذبوا إلا بالحجة. وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال أهل اللغة: المعشر كل جماعة أمرهم واحد ويحصل بينهم معاشرة/ ومخالطة والجمع: المعاشر. وقوله: سل منكم

اختلفوا هل كان من الجن رسول أم لا؟ فقال الضحاك: أرسل من الجن رسل كالإنس وتلا هذه الآية وتلا قوله: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير [فاطر: ٢٤] ويمكن أن يحتج الضحاك بوجه آخر وهو قوله تعالى: ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا [الأنعام: ٩] قال المفس◌◌رون: السبب فيه أن استئناس الإنسان بالإنسان أكمل من استئناسه بالملك، فوجب في حكمة الله تعالى أن يجعل رسول الإنس من الإنس ليكمل هذا

الاستئناس.

إذا ثبت هذا المعنى، فهذا السبب حاصل في الجن، فوجب أن يكون رسول الجن من الجن.." (١)

"اعلم أن قوله: نكروا معناه اجعلوا العرش منكرا مغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه، وذلك لأنه لو ترك على ما كان لعرفته لا محالة، وكان لا تدل معرفتها به على ثبات عقلها وإذا غير دلت معرفتها أو توقفها فيه على فضل عقل، ولا يمتنع صحة ما قيل إن سليمان عليه السلام ألقي إليه أن فيها نقصان عقل لكي لا يتزوجها أو لا تحظى عنده على وجه الحسد، فأراد بما ذكرنا اختبار عقلها.

أما قوله: ننظر فقرىء بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف، واختلفوا في أتهتدي على وجهيِن: أحدهما: أتعرف أنه عرشها أم لا؟ كما قدمنا الثاني: أتعرف به نبوة سليمان أم لا ولذلك قال: أم تكون من الذين لا يهتدون وذلك كالذم ولا يليق إلا بطريقة الدلالة، فكأنه عليه السلام أحب أن تنظر فتعرف به نبوته من حيث صار متنقلا من المكان البعيد إلى هناك، وذلك يدل على قدرة الله تعالى وعلى صدق سليمان عليه السلام، ويعرف بذلك أيضا فضل عقلها لأغراض كانت له، فعند ذلك سألها.

أما قوله: أهكذا عرشك فاعلم أن هكذا ثلاث كلمات، حرف التنبيه **وكاف التشبيه** واسم الإشارة، ولم يقل أهٰذا عرشك، ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت: كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من كمال عقلها حيث توقفت في محل التوقف.

أما قوله: وأوتينا العلم من قبلها ففيه سؤالان، وهو أن هذا الكلام كلام من؟ وأيضا فعلى أي شيء عطف هذا الكلام؟ وعنه جوابان: الأول: أنه كلام سليمان وقومه، وذلك لأن بلقيس/ لما سئلت عن عرشها، ثم إنها أجابت بقولها: كأنه هو فالظاهر أن سليمان وقومه قالوا إنها قد أصابت في جوابها وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الإسلام، ثم عطفوا على ذلك قولهم وأُوتينا نحن العلم بالله وبقدرته قبل علمها ويكون غرضهم من ذلك شكر الله تعالى في أن خصهم بمزية التقدم في الإسلام الثاني: أنه من كلام بلقيس موصولا بقولها: كأنه هو والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة، ثم (إن قوله:

وصدها ما كانت تعبد من دون الله إلى آخر الآية يكون من كلام رب العزة.

أما قوله تعالى: وصدها ما كانت تعبد من دون الله ففيه وجهان: الأول: المراد: وصدها عبادتها لغير الله عن الإيمان الثاني: وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وإيصال الفعل، وقرئ أنها

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣/١٥٠

بالفتح على أنه بدل من فاعل صدا وبمعنى لأنها، واحتجت المعتزلة بهذه الآية فقالوا لو كان تعالى خلق الكفر فيها لم يكن الصاد لها كفرها المتقدم ولا كونها من جملة الكفار، بل كان يكون الصاد لها عن الإيمان تجدد خلق الله الكفر فيها والجواب: أما على التأويل الثاني فلا شك في سقوط الاستدلال، وأما على الأول فجوابنا أن كونها من جملة الكفار صار سببا لحصول الداعية المستلزمة للكفر، وحينئذ يبقى ظاهر الآية موافقا لقولنا والله أعلم.

[سورة النمل (٢٧) : آية ٤٤]

قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (٤٤)." [١]

"لما ذكر الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئا لغد، ويأتيها كل يوم برزق رغد. وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: في كأين لغات أربع [لا] غير هذه [و] كائن على وزن راع وكأين على وزن ريع وكي على دع ولم يقرأ إلا كأين وكائن قراءة ابن كثير.

المسألة الثانية: كأين كلمة مركبة من **كاف التشبيه** وأي التي تستعمل استعمال من وما ركبتا وجعل المركب بمعنى كم، ولم تكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب، لأن كأي/ يستعمل غير مركب كما يقول القائل رأيت رجلا لا كأي رجل يكون، فقد حذف المضاف إليه ويقال رأيت رجلا لا كأي رجل، وحينئذ لا يكون كأي مركبا، فإذا كان كأي هاهنا مركبا كتبت بالنون للتمييز كما تكتب معديكرب وبعلبك موصولا للفرق.

وكما تكتب ثمة بالهاء تمييزا بينها وبين ثمت.

المسألة الثالثة: كأين بمعنى كم لم تستعمل مع من إلا نادرا وكم يستعمل كثيرا من غير من، يقال كم رجلا وكم من رجل، وذلك لما بينا من الفرق بين كأين بمعنى كم وكأي التي ليست مركبة، وذلك لأن كأي إذا لم تكن مركبة لا يجوز إدخال من بعدها إذ لا يقال رأيت رجلا لا كأي من رجل، والمركبة بمعنى كم يجوز ذلك فيها فالتزم للفرق. قوله تعالى: لا تحمل رزقها قيل: لا تحمل لضعفها وقيل هي كالقمل والبرغوث والدود وغيرها وقيل لا تدخر الله يرزقها وإياكم بطريق القياس أي لا شك في أن رزقها ليس إلا بالله فكذلك

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤/٥٥٨

يرزقكم فتوكلوا، فإن قال قائل من قال بأن الله يرزق الدواب بل النبات في الصحراء مسبب والحيوان يسعى إليه ويرعى، فنقول الدليل عليه من ثلاثة أوجه نظرا إلى الرزق وإلى المرتزق وإلى مجموع الرزق والمرتزق، أما بالنظر إلى الرزق فلأن الله تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للحيوان رزق، وأما بالنظر إلى المرتزق فلأن الاغتذاء ليس بمجرد الابتلاع بل لا بد من تشبثه بالأعضاء حتى يصير الحشيش عظما ولحما وشحما، وما ذاك إلا بحكمة الله تعالى حيث خلق فيه جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى وبمحض قدرة الله وإرادته فهو الذي يرزقها، وأما بالنظر إلى المرتزق والرزق، فلأن الله لو لم يهد الحيوان إلى الغذاء ليعرفه من الشم ما كان يحصل له اغتذاء، ألا ترى أن من الحيوان ما لا يعرف نوعا من أنواع الغذاء حتى يوضع في فمه بالشدة ليذوق فيأكله بعد ذلك، فإن كثيرا ما يكون البعير لا يعرف الخمير ولا الشعير حتى يلقم مرتين أو ثلاثة فيعرفه فيأكله بعد ذلك، فإن قال قائل كيف يصح قياس الإنسان على الحيوان فيما يوجب التوكل والحيوان رزقه لا يتعرض إليه إذا أكل منه اليوم شيئا وترك بقية يجدها غدا، ما مد إليه أحد يدا، والإنسان إن لم يأخذ اليوم لا يبقى له غدا شيء؟

وأيضا حاجات الإنسان كثيرة فإنه يحتاج إلى أجناس اللباس وأنواع الأطعمة ولا كذلك الحيوان وأيضا قوت الحيوان مهيأ وقوت الإنسان يحتاج إلى كلف كالزرع والحصاد والطحن والخبز فلو لم يجمعه قبل الحاجة ما كان يجده وقت الحاجة، فنقول نحن لا نقول إن الجمع يقدح في التوكل، بل قد يكون الزارع الحاصد متوكلا والراكع الساجد غير متوكل، لأن من يزرع يكون اعتماده على الله واعتقاده في الله أنه إن كان يريد يرزق من غير زرع، وإن كان يريد لا يرزق من ذلك الزرع فيعمل وقلبه مع الله هو متوكل حق التوكل، ومن يصلي وقلبه مع ما في يد زيد وعمرو هو غير متوكل. وأما قوله: حاجات الإنسان كثيرة، فنقول مكاسبه كثيرة أيضا، فإنه يكتسب بيده كالخياط والنساج وبرجله كالساعي وغيره، وبعينه كالناطور وبلسانه كالحادي والمنادي، وبفهمه كالمهندس." (١)

"سورة يس

ثمانون وثلاث آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة يس (٣٦) : الآيات ١ الى ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٢/٢٥

يس (١) والقرآن الحكيم (٢)

قد ذكرنا كلاما كليا في حروف التهجي في سورة العنكبوت وذكرنا أن في كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في أوائلها الذكر أو الكتاب أو القرآن ولنذكر هاهنا أبحاثا:

البحث الأول: هو أن في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمورا تدل على أنها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الإنسان لا يصل إليها بعينها فنقول ما هو الكلي من الحكمة فيها، أما بيان أن فيها ما يدل عل◌ى الحكمة فهو أن الله تعالى ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا، وهي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمزة ألف متحركة، ثم إنه تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف إلى الذال وتسعة أحرف أخر في آخر الحروف من الفاء إلى الياء وعشرة من الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حرفين هما الألف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الآخر حرفين هما الفاء والواو وذكر سبعة، ولم يترك من القسم الأول من حروف الحلق والصدر إل◌◌ا واحدا لم يذكره وهو الخاء، ولم يذكر من القسم الآخر من حروف الشفة إلا واحدا لم يتركه وهو الميم، والعشر الأواسط ذكر منها حرفا وترك حرفا فذكر الراء وترك الزاي وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين، وليس هذا أمرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو لحكمة، وأما أن عينها غير معلومة فظاهر وهب أن واحدا يدعي فيها شيئا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة أحرف◌ كسورة الم وطسم والر وبعضها بأربعة كسورتي المر والمص وبعضها بخمسة أحرف كسورتي حم عسق وكهيعص وهب أن قائلا يقول إن هذا إشارة إلى أن الكلام، إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء التعقيب وهمزة الاستفهام **وكاف التشبيه** وباء الإلصاق/ وغيرها وجاء على حرفين كمن للتبعيض وأو للتخيير وأم للاستفهام المتوسط وأن للشرط وغيرها والاسم والفعل والحرف جاء على ثلاثة أحرف كإلى وعلى في الحرف وإلى وعلى في الاسم وألا يألو وعلا يعلو في الفعل، والاسم والفعل جاء على أ◌ربعة، والاسم خاصة جاء على ثلاثة وأربعة وخمسة كفجل وسجل وجردحل فما جاء في القرآن إشارة إلى أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه، فماذا يقول هذا القائل في تخصيص بعض السور." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٢٥٠

"يقول: إن كانت عليك ذنوب بمثقال هذه الجبال فأتيت الكعبة حاجا أو توجهت نحوها مصليا كفرتها عنك وغفرتها لك فهذا جملة الوجوه المذكورة في هذا الباب، والتحقيق هو الأول.

المسألة الخامسة: في حكمة تحويل القبلة من جهة إلى جهة، قد ذكرنا شبهة القوم في إنكار هذا التحويل، وهي أن الجهات لما كانت متساوية في جميع الصفات كان تحويل القبلة من جهة إلى جهة مجرد العبث، فلا يكون ذلك من فعل الحكيم.

والجواب عنه: أما على قول أهل السنة: إنه لا يجب تعليل أحكام الله تعالى بالحكم فالأمر ظاهر، وأما على قول المعتزلة فلهم طريقان. الأول: أنه لا يمتنع اختلاف المصالح بحسب اختلاف الجهات، وبيانه من وجوه. أحدها: أنه إذا ترسخ في أوهام بعض الناس أن هذه الجهات أشرف من غيرها بسبب أن هذا البيت بناه الخليل وعظمه، كان هذا الإنسان عند استقباله أشد تعظيما وخشوعا، وذلك مصلحة مطلوبة. وثانيها: أنه لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم في تعظيمه أشد. وثالثها: أن اليهود لما كانوا يعيرون المسلمين عند استقبال بيت المقدس بأنه لولا أنا أرشدناكم إلى القبلة لما كنتم تعرفون القبلة، فصار ذلك سببا لتشويش الخواطر، وذلك مخل بالخضوع والخشوع، فهذا يناسب الصرف عن تلك القبلة. ورابعها: أن الكعبة منشأ محمد صلى الله عليه وسلم، فتعظيم الكعبة يقتضي تعظيم محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك أمر مطلوب لأنه متى رسخ في قلبهم تعظيمه، كان قبولهم لأوامره ونواهيه في الدين والشريعة أسرع وأسهل، والمفضي إلى المطلوب مطلوب، فكان تحويل القبلة مناسبا. وخامسها: أن الله تعالى بين ذلك في قوله: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه [البقرة: ١٤٣] فأمرهم الله تعالى حين كانوا بمكة أن يتوجهوا إلى بيت المقدس ليتميزوا عن المشركين، فلما هاجروا إلى المدينة وبها اليهود، أمروا بالتوجه إلى الكعبة ليتميزوا عن اليهود.

أما قوله: يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فالهداية قد تقدم القول فيها، قالت المعتزلة: إنما هي الدلالة الموصلة، والمعنى أنه تعالى يدل على ما هو للعبادة أصلح، والصراط المستقيم هو الذي يؤديهم إذا تمسكوا به إلى الجنة، قال أصحابنا: هذه الهداية إما أن يكون المراد منها الدعوة أو الدلالة أو تحصيل العلم فيه، والأولان باطلان، لأنهما عامان لجميع المكلفين فوجب حمله على الوجه الثالث وذلك يقتضي بأن الهداية والإضلال من الله تعالى.

[سورة البقرة (٢) : آية ١٤٣]

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي

كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم (١٤٣)

قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.

اعلم أن في هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى: الكاف في كذلك **كاف التشبيه**، والمشبه به أي شيء هو؟ وفيه وجوه. أحدها: أنه راجع إلى معنى يهدي، أي كما أنعمنا عليكم بالهداية، كذلك أنعمنا عليكم بأن جعلناكم أمة وسطا. وثانيها:." (١)

"الجزء السادس

[تتمة سورة البقرة]

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة البقرة (٢) : آية ٢١١]

سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب (٢١١)

في الآية مسائل:

المسألة الأولى: سل كان في الأصل اسأل فتركت الهمزة التي هي عين الفعل لكثرة الدور في الكلام تخفيفا، ونقلت حركتها إلى الساكن الذي قبلها، وعند هذا التصريف استغني عن ألف الوصل، وقال قطرب: يقال سأل يسأل مثل زأر الأسد يزأر، وسال يسال، مثل خاف يخاف، والأمر فيه: سل مثل خف، وبهذا التقدير قرأ نافع وابن عامر سأل سائل على وزن قال، وكال، وقوله: كم هو اسم مبني على السكون موضوع للعدد، يقال إنه من تأليف **كاف التشبيه** مع (ما) ثم قصرت (ما) وسكنت الميم، وبنيت على السكون لتضمنها حرف الاستفهام، وهي تارة تستعمل في الخبر وتارة في الاستفهام وأكثر لغة العرب الجر به عند الخبر، والنصب عند الاستفهام، ومن العرب من ينصب به في الخبر، ويجر به في الاستفهام، وهي هاهنا يحتمل أن تكون استفهامية، وأن تكون خبرية.

المسألة الثانية: اعلم أنه ليس المقصود: سل بني إسرائيل ليخبروك عن تلك الآيات فتعلمها وذلك لأن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨٣/٤

الرسول عليه الصلاة والسلام كان عالما بتلك الأحوال بإعلام الله تعالى إياه، بل المقصود منه المبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله تعالى، وبيان هذا الكلام أنه تعالى قال: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان [البقرة: ٢٠٨] فأمر بالإسلام ونهى عن الكفر، ثم قال: فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات أي فإن أعرضتم عن هذا التكليف/ صرتم مستحقين للتهديد بقوله: فاعلموا أن الله عزيز حكيم [البقرة: ٢٠٩] ثم بين ذلك التهديد بقوله: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة [البقرة: ٢١٠] ثم ثلث ذلك التهديد بقوله: سل بني إسرائيل يعني سل هؤلاء الحاضرين أنا لما آتينا أسلافهم آيات بينات فأنكروها، لا جرم استوجبوا العقاب من الله تعالى، وذلك تنبيه لهؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب كما وقع أولئك المتقدمون فيه، والمقصود من ذكر هذه الحكاية أن يعتبروا بغيرهم، كما قال تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار [الحشر: ٢] وقال: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب [يوسف: ١١١] فهذا بيان وجه النظم.

المسألة الثالثة: فرق أبو عمرو في «سل» بين الاتصال بواو وفاء وبين الاستئناف، فقرأ سلهم وسل بني إسرائيل بغير همزة وسئل القرية [يوسف: ٨٢] فسئل الذين يقرؤن الكتاب، وسئلوا الله من فضله [النساء: ٣٢] بالهمز، وسوى الكسائي بين الكل، وقرأ الكل بغير همز وجه الفرق الفرق أن التخفيف في." [1]

"واعلم أنه تعالى من تمام تأديبه قال للمنهزمين يوم أحد: إن لكم بالأنبياء المتقدمين وأتباعهم أسوة حسنة، فلما كانت طريقة أتباع الأنبياء المتقدمين الصبر على الجهاد وترك الفرار، فكيف يليق بكم هذا الفرار والانهزام، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير «وكائن» على وزن كاعن ممدودا مهموزا مخففا، وقرأ الباقون «كأين» مشدودا بوزن كعين وهي لغة قريش، ومن اللغة الأولى قول جرير:

وكائن بالأباطح من صديق ... يراني لو أصيب هو المصاب

وأنشد المفضل:

وكائن ترى في الحي من ذي قرابة.

المسألة الثانية: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو قتل معه والباقون قاتل معه فعلى القراءة الأولى يكون المعنى أن كثيرا من الأنبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم، بل استمروا/ على جهاد عدوهم ونصرة دينهم، فكان ينبغي أن يكون حالكم يا أمة محمد هكذا. قال القفال رحمه الله: والوقف على هذا التأويل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦/٣٦٥

على قوله: (قتل) وقوله: (معه ربيون) حال بمعنى قتل حال ما كان معه ربيون، أو يكون على معنى التقديم والتأخير، أي وكأين من نبي معه ربيون كثير قتل فما وهن الربيون على كثرتهم، وفيه وجه آخر، وهو أن يكون المعنى وكأين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون ولا استكانوا لقتل من قتل من إخوانهم، بل مضوا على جهاد عدوهم، فقد كان ينبغي أن يكون حالكم كذلك، وحجة هذه القراءة أن المقصود من هذه الآية حكاية ما جرى لسائر الأنبياء لتقتدي هذه الأمة بهم، وقد قال تعالى: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم [آل عمران: ١٤٤] فيجب أن يكون المذكور قتل سائر الأنبياء لا قتالهم، ومن قرأ قاتل معه فالمعنى: وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قرح فما وهنوا، لأن الذي أصابهم إنما هو في سبيل الله وطاعته وإقامة دينه ونصرة رسوله، فكذلك كان ينبغي أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد. وحجة هذه القراءة أن المراد من هذه الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال، فوجب أن يكون المذكور هو القتال. وأيضا روي عن سعيد بن جبير أنه قال: ما سمعنا بنبي قتل في القتال.

المسألة الثالثة: قال الواحدي رحمه الله: أجمعوا على أن معنى «كأين» كم، وتأويلها التكثير لعدد الأنبياء الذين هذه صفتهم، ونظيره قوله: فكأين من قرية أهلكناها [الحج: ٤٥] وكأين من قرية أمليت لها [الحج: ٤٨] والكافي في «كأين» **كاف التشبيه** دخلت على «أي» التي هي للاستفهام كما دخلت على «ذا» من «كذا» و «أن» من كأن، ولا معنى للتشبيه فيه كما لا معنى للتشبيه في كذا، تقول: لي عليه كذا وكذا: معناه لي عليه عدد ما، فلا معنى للتشبيه، إلا أنها زيادة لازمة لا يجوز حذفها، واعلم أنه لم يقع للتنوين صورة في الخط إلا في هذا الحرف خاصة، وكذا استعمال هذه الكلمة فصارت كلمة واحدة موضوعة للتكثير.

المسألة الرابعة: قال صاحب «الكشاف» : الربيون الربانيون، وقرئ بالحركات الثلاث والفتح على القياس، والضم والكسر من تغييرات النسب. وحكى الواحدي عن الفراء أنه قال: الربيون: الأولون، وقال الزجاج: هم الجماعات الكثيرة، الواحد ربي، قال ابن قتيبة: أصله من الربة وهي الجماعة، يقال: ربي كأنه نسب إلى الربة. وقال الأخفش: الربيون الذين يعبدون الرب، وطعن فيه ثعلب، وقال: كان يجب أن يقال: ربي ليكون منسوبا إلى الرب، وأجاب من نصر الأخفش وقال: العرب إذا نسبت شيئا إلى شيء غيرت

حركته، كما يقال: بصري في النسب إلى البصرة، / ودهري في النسبة◦ إلى الدهر، وقال ابن زيد: الربانيون الأئمة." (١)

"وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (١٤٦)

﴿وكأين﴾ أصله أي دخل عليه **كاف التشبيه** وصار فى معنى كم التى للتكثير وكائن يوزن كاع حيث كان مكي ﴿من نبى قاتل﴾ قتل مكي وبصري ونافع ﴿معه﴾ حال من الضمير في قتل أي قتل كائنا معه ﴿ربيون كثير﴾ والربيون والربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لأنه منسوب إلى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب ﴿فما وهنوا﴾ فما فتروا عند قتل نبيهم ﴿لما أصابهم فى سبيل الله وما." (٢)

"شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان إذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته **وكاف التشبيه** في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه بالمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ منصوب الموضع على أنه المفعول له متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أى لخشية حبوطها

﴿وأنتم لا تشعرون﴾ ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾

على تقدير حذف المضاف ﴿وأنتم لا تشعرون﴾." (٣)

"ألف كهف غار كيد هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر ينزل بالعبد من حيث لا يشعر كسفا بفتح السين جمع كسفة، وهي القطعة من الشيء، وبالسكون كذلك أو مفرد كبتوا أي أهلكوا: أي يكبتهم، ثم يهلكهم، أو يخذلهم أكمه هو الذي ولد أعمى كان على نوعين: تامة بمعنى حضر أو حدث أو وقع، وهي ترفع الفاعل. وناقصة ترفع الاسم وتنصب الخبر، وتقتضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في زمانها، وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله: وكان الله غفورا رحيما، وكان ربك قديرا، وشبه ذلك، وهو كثير في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨٠/٩

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢٩٨/١

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٤٨/٣

القرآن، ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفا بذلك الوصف كأن معناها التشبيه كي معناها التعليل كم معناها التكثير، وهي خبرية واستفهامية كأين بمعنى كم، وهي عند سيبويه **كاف التشبيه** دخلت على أي كلا حرف ردع وزجر، وقيل: إنها تكون للنفي: أي ليس الأمر كما ظننت، وقيل:
إنها استفتاح كلام بمعنى: إلا الكاف بمعنى التشبيه وبمعنى التعليل، وقيل إنها تكون زائدة.

حرف اللام
لبس الأمر أي خلطه بفتح الباء في الماضي، وكسرها في المستقبل ألباب عقول، وهو جمع لب، لبث في المكان أقام فيه لمز يلمز أي عاب الشيء لؤلؤ جوهر «١» لغو الكلام الباطل منه، والفحش، ولغو اليمين: ما لا يلزم لها بفتح الهاء من اللهو،

---

(١) . هو نوع من المجوهرات وتستخرج من المحار في قعر البحر.

ومضارعه يلهو، ولهى عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح. إذا أعرض عنه وألهاه الشيء. إذا أشغله، ومنه لا تلهكم أموالكم لطيف اسم الله تعالى، قيل: معناه رفيق، وقيل خبير بخفيات الأمور لدى ولدن معناها عند ليت معناها التمني لعل معناها الترجي في المحبوبات، والتوقع للمكروهات، وأشكل ذلك في حق الله تعالى، فقيل جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب: أي ذلك مما يرتجى عندكم أي يتوقع، وقد يكون معناها التعليل، أو مقاربة الأمر فلا إشكال لولا لها معنيان:
التمني، وامتناع شيء لامتناع غيره لما لها معنيان: النفي وهي الجازمة، ووجود شيء لوجود غيره، وأما «لما» بالتخفيف، فهي لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون: هي بمعنى إلا الموجبة بعد النفي لا ثلاثة أنواع:
نافية وناهية، وزائدة اللام خمسة أنواع لام الجر، ولام كي، ولام الأمر، ولام التأكيد في القسم وغيره وهي المفتوحة، ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان. الملك، والاستحقاق، والتعليل. وقد تأتي للتعدي إذا ضعف العامل، وقد تأتي بمعنى عند، نحو: أقم الصلاة لدلوك الشمس، ولام كي معناها:
التشبيه والتعليل، وقد تأتي بمعنى الصيرورة والعاقبة، نحو: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا. وقد تأتي بمعنى أن المصدرية، ومنه: يريد الله ليبين لكم.

حرف الميم

مرض الجسد معروف، ومرض القلب الشك في الإيمان، والبغض في الدين المن شبه العسل، والسلوى طائر، والمن أيضا:." (١)

"في مشركي مكة وذلك أنهم قالوا قد تردد على محمد أمره واشتاق مولده، وقد توجه إلى نحو بلدكم فلعله يرجع إلى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وإنما قالوا ذلك استهزاء بالإسلام وقيل: يحتمل أن لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم إذ لا فائدة في التخصيص، ولأن الأعداء يبالغون في الطعن والقدح فإذا وجدوا مقالا قالوا أو مجالا جالوا ما ولاهم يعني أي شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس، والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الإنسان وإنما سميت قبلة لأن المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله: قل يا محمد لله المشرق والمغرب يعني أن له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء أن يكون لذاته قبلة لأن الجهات كلها شيء واحد، وإنما تصير قبلة لأن الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله: يهدي من يشاء يعني من عباده إلى صراط مستقيم يعني إلى جهة الكعبة وهي قبلة إبراهيم عليه السلام. قوله عز وجل: وكذلك جعلناكم أمة وسطا الكاف في قوله وكذلك **كاف التشبيه** جاء لمشبه به وفيه وجوه أحدها أنه معطوف على ما تقدم من قوله في حق إبراهيم: ولقد اصطفيناه في الدنيا، وكذلك جعلناكم أمة وسطا الثاني أنه معطوف على قوله: يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم أمة وسطا يعني عدولا خيارا، وخير الأمور أوسطها، قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وقيل: متوسطة والمعنى أهل دين وسط بين الغلو والتقصير، لأنهما مذمومان في أمر الدين لا كغلو النصارى في عيسى، ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم. وسبب نزول هذه الآية أن رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسدا وإن قبلتنا قبلة الأنبياء ولقد علم محمد أنا أعدل الناس فقال معاذ: إنا على حق وعدل فأنزل الله تعالى هذه الآية. وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وإن هذه الأمة توفي سبعين أمة هي آخرها، وخيرها وأكرمها على الله تعالى». وقوله تعالى: لتكونوا شهداء على الناس يعني يوم القيامة أن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وقيل: إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس أجمعين ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٢/١

عليه وسلم عليكم شهيدا يعني عدلا مزكيا لكم وذلك أن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله الأنبياء عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة الحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد عليه الصلاة والسلام، فيشهدون لهم بأنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإنما أتوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة. فيقولون: أرسلت إلينا رسولا وأنزلت عليه كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (خ) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجاء بنوح وأمته يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب فيسأل أمته هل بلغكم؟ فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيجاء بكم فتشهدون» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا عدولا.

قوله عز وجل: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت عليها، وهي بيت المقدس، وإنما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه، وقيل: معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل: معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي الكعبة وإلا لنعلم من يتبع الرسول فإن قلت ما معنى قوله: إلا لنعلم وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها قلت: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب إنما يتعلق بما يوجد. والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه." (١)

"[سورة البقرة (٢): الآيات ١٥١ الى ١٥٢]

كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (١٥١) فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٢)

كما أرسلنا فيكم **كاف التشبيه** تحتاج إلى شيء ترجع إليه فقيل ترجع إلى ما قبلها ومعناه ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم وقيل إن إبراهيم قال: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال: ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، فبعث الله فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده إجابة الدعوة الثانية بأن يجعل في ذريته أمة مسلمة، والمعنى كما أجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك أجبت دعوته بأن أهديكم لدينه، وأجعلكم مسلمين، وأتم نعمتي عليكم ببيان شرائع الملة الحنيفية. وقيل: إن الكاف

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٨٧/١

متعلقة بما بعدها وهو قوله: فاذكروني أذكركم والمعنى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني، ووجه التشبيه أن النعمة بالذكر جارية مجرى النعمة بإرسال الرسول، وإن قلنا: إنها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه أن النعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة، وفيكم خطاب لأهل مكة والعرب وكذا قوله منكم، وفي إرساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليه لما فيه من الشرف لهم ولأن المعروف من حال العرب الأنفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم أقرب إلى قبول قوله والانقياد له، والمعنى كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب رسولا منكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يتلوا عليكم آياتنا يعني القرآن وذلك من أعظم النعم لأنه معجزة باقية على الدهر ويزكيكم أي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما إذا فعلتموه صرتم أزكياء مثل محاسن الأخلاق ومكارم الأفعال ويعلمكم الكتاب يعني أحكام الكتاب وهو القرآن وقيل إن التعليم غير التلاوة فليس بتكرار والحكمة يعني السنة والفقه في الدين ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون يعني يعلمكم من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية وقصص الأنبياء والخبر عن الحوادث المستقبلية مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكروني قيل الذكر يكون باللسان، وهو أن يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الأذكار، ويكون بالقلب وهو أن يتفكر في عظمة الله تعالى، وفي الدلائل الدالة على وحدانيته، ويكون بالجوارح وهو أن تكون مستغرقة في الأعمال التي أمروا بها، مثل الصلاة وسائر الطاعات التي للجوارح فيها فعل أذكركم أي بالثواب والرضا عنكم قال ابن عباس:

اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء، وقال أهل المعاني: اذكروني بالتوحيد والإيمان: أذكركم بالجنان والرضوان. وقيل: اذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب، أذكركم بغفران الذنوب. اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا، تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» قوله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي» قيل: معناه بالغفران إذا استغفر وبالقبول والإجابة، إذا دعا، وبالكفاية إذا طلب الكفاية. وقيل: المراد منه تحقيق الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح قوله: وأنا معه إذا ذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والإعانة. وقوله: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي». النفس في اللغة لها معان: منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة. ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فإن ذكرني خاليا ذكرته بالإثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه أحد. قوله: «وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه». الملأ أشراف الناس

وعظماؤهم الذين يرجع إلى رأيهم وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الأنبياء. وأجيب عنه بأن الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم. قوله:
«وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا إلخ». وهذا من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره فلا بد من التأويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة، ومجازا فيكون المراد بقرب العبد من الله." (١)

"فصاروا كالرؤساء للإنس والإنس كالأتباع. وقيل: إن قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الإنس خاصة لأن استمتاع الجن بالإنس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر، أما استمتاع الإنس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعني أن ذلك الاستمتاع كان إلى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة الندامة، قال الحسن والسدي: لأجل الموت. وقيل: هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة قال يعني قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والإنس النار مثواكم يعني أن النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم إليها خالدين فيها يعني مقيمين في نار جهنم أبدا إلا ما شاء الله اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل: معناه خالدين فيها إلا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب إلى حين دخولهم إلى النار فإن هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار، وقيل: المراد من الاستثناء هو أوقات نقلتهم من عذاب إلى عذاب آخر وذلك أنهم يستغيثون من النار فينقلون إلى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون إلى النار فكانت مدة نقلتهم هي المراد من هذا الاستثناء. ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس أنه قال: إن هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التأويل تكون ما في قوله إلا ما شاء الله، بمعنى من يعني إلا ما شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس أنه كان يتأول هذا الاستثناء بأن الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم إلى مشيئته، وقال في هذه الآية: إنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا. قال الزجاج: والقول الأول أولى لأن معنى الاستثناء إنما هو من يوم القيامة لأن قوله: ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم.
إن ربك حكيم يعني في تدبير خلقه وتصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال وغير ذلك من أفعاله.
وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة عليم يعني بعواقب أمور

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٩٢/١

خلقه وما هم إليه صائرون كأنه قال إنما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار، لعلمي بأنهم يستحقون ذلك.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٢٩ الى ١٣٠]

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون (١٢٩) يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (١٣٠)

قوله عز وجل: وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الكاف في كذلك **كاف التشبيه** تقتضي شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والإنس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين بعضا أي نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الأثر: «من أعان ظالما سلطه الله عليه» وقال قتادة: نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين كان. وفي رواية أخرى عن قتادة قال: يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة، وقيل: معناه نولي ظلمة الإنس الجن وظلمة الجن ظلمة الإنس يعني نكل بعضهم إلى بعض. وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية وأن الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم وإذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول إن الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم.

وقوله تعالى: بما كانوا يكسبون يعني يسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها.

قوله تعالى: امعشر الجن والإنس

المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر لم يأتكم رسل منكم

اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب أكثر العلماء إلى أنه لم يكن من." (١)

"[سورة طه (٢٠): الآيات ١٣٠ الى ١٣٥]

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٥٧/٢

ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢) وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى (١٣٤)
قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى (١٣٥)
فاصبر على ما يقولون نسختها آية السيف وسبح بحمد ربك أي صل بأمر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر وقبل غروبها أي صلاة العصر ومن آناء الليل أي ومن ساعاته فسبح يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل وأطراف النهار يعني صلاة الظهر سمي وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء لعلك ترضى أي ترضى ثوابه في المعاد، وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة، وقرئ ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه، وقيل يرضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» قوله لا تضامون بتخفيف الميم من الضيم، وهو الظلم والمعنى أنكم ترونه جميعا لا يظلم بعضكم بعضا في رؤيته وروي بتشديد الميم من الانضمام والازدحام، أي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر **كاف التشبيه** للرؤية لا للمرئي وهي فعل الرائي، ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم هذا القمر ليلة البدر ولا ترتابون فيه ولا تشكون قوله عز وجل: ولا تمدن عينيك قال أبو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني إلى يهودي فقال قل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بعني كذا وكذا من الدقيق أو سلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باءني أو أسلفني لقضيته إني لأمين في السماء وأمين في الأرض أذهب بدرعي الحديد إليه» فنزلت هذه الآية: ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظرا تكاد تردده استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به وتمنيا له إلى ما متعنا به أي أعطينا أزواجا أي أصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا أي زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة بأن تزيد النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا ورزق ربك أي في المعاد في الجنة خير وأبقى أي أدوم وقال أبي بن كعب من لم يعتز بالله تقطعت نفسه حسرات، ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه. ف قوله تعالى: وأمر أهلك أي قومك وقيل من كان على دينك بالصلاة يعني بالمحافظة عليها واصطبر عليها يعني اصبر

على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فإن الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان القول لا نسئلك رزقا أي لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك والعاقبة للتقوى أي الخصلة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية قوله تعالى وقالوا يعني المشركين لولا يأتينا بآية من ربه أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى أي بيان ما فيها وهو القرآن لأنه أقوى." (١)

"المأمورات بها. والكاف من قوله: كما آمن الناس في موضع نصب، وأكثر المعربين يجعلون ذلك نعتا لمصدر محذوف التقدير عندهم: آمنوا إيمانا كما آمن الناس، وكذلك يقولون: في سير عليه شديد، أو: سرت حثيثا، إن شديدا وحثيثا نعت لمصدر محذوف التقدير: سير عليه سيرا شديدا، وسرت سيرا حثيثا. ومذهب سيبويه، رحمه الله، أن ذلك ليس بنعت لمصدر محذوف، وإنما هو منصوب على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم المحذوف بعد الإضمار على طريق الاتساع، وإنما لم يجز ذلك لأنه يؤدي إلى حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه في غير المواضع التي ذكروها. وتلك المواضع أن تكون الصفة خاصة بجنس الموصوف، نحو: مررت بكاتب ومهندس، أو واقعة خبرا، نحو: زيد قائم، أو حالا، نحو: مررت بزيد راكبا، أو وصفا لظرف، نحو:

جلست قريبا منك، أو مستعملة استعمال الأسماء، وهذا يحفظ ولا يقاس عليه، نحو:

الأبطح والأبرق. وإذا خرجت الصفة عن هذه المواضع لم تكن إلا تابعة للموصوف، ولا يكتفى عن الموصوف، ألا ترى أن سيبويه منع: ألا ماء ولو باردا وإن تقدم ما يدل على حذف الموصوف وأجاز: ولو باردا، لأنه حال، وتقرير هذا في كتب النحو. وما، من: كما آمن الناس، مصدرية التقدير كإيمان الناس، فينسبك من ما، والفعل بعدها مصدر مجرور **بكاف التشبيه** التي هي نعت لمصدر محذوف، أو حال على القولين السابقين، وإذا كانت ما مصدرية فصلتها جملة فعلية مصدرة بماض متصرف أو مضارع، وشذ وصلها بليس في قول الشاعر:

بما لستما أهل الخيانة والغدر ولا توصل بالجملة الأسمية خلافا لقوم، منهم: أبو الحجاج الأعلم، مستدلين بقوله:

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٢١٨

وجدنا الحمر من شر المطايا ... كما الحبطات شر بني تميم

وأجاز الزمخشري، وأبو البقاء في ما من قوله: كما آمن، أن تكون كافة للكاف عن العمل مثلها في: ربما قام زيد، وينبغي أن لا تجعل كافة إلا في المكان الذي لا تتقدر فيه مصدرية، لأن إبقاءها مصدرية مبق للكاف على ما استقر فيها من العمل، وتكون الكاف إذ ذاك مثل حروف الجر الداخلة على ما المصدرية، وقد أمكن ذلك في: كما آمن الناس، فلا ينبغي أن تجعل كافة. والألف واللام في الناس يحتمل أن تكون للجنس، فكأنه قال:." (١)

"تعالى، والتسليم لأقضيته، فصدر منهم غير ذلك من غلظ القلوب وعدم انتفاعها، بما شاهدت، والتعنت والتكذيب، حتى نقل أنهم بعد ما حيي القتيل، وأخبر بمن قتله قالوا:

كذب. والضمير في قلوبكم ضمير ورثة القتيل، قاله ابن عباس، وهم الذين قتلوه، وأنكروا قتله. وقيل: قلوب بني إسرائيل جميعا قست بمعاصيهم وما ارتكبوه، قاله أبو العالية وغيره.

وكنى بالقسوة عن نبو القلب عن الاعتبار، وأن المواعظ لا تجول فيها. وأتى بمن في قوله:

من بعد ذلك إشعارا بأن القسوة كان ابتداؤها عقيب مشاهدة ذلك الخارق، ولكن العطف بثم يقتضي المهلة، فيتدافع معنى ثم، ومعنى من، فلا بد من تجوز في أحدهما.

والتجوز في ثم أولى، لأن سجاياهم تقتضي المبادرة إلى المعاصي بحيث يشاهدون الآية العظيمة، فينحرفون إثرها إلى المعصية عنادا وتكذيبا، والإشارة بذلك قيل: إلى إحياء القتيل، وقيل: إلى كلام القتيل، وقيل: إشارة إلى ما سبق من الآيات من مسخهم قردة وخنازير، ورفع الجبل، وانبجاس الماء، وإحياء القتيل، قاله الزجاج.

فهي كالحجارة: يريد في القسوة. وهذه جملة ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم بالحجارة، إذ الحجر لا يتأثر بموعظة، ويعني أن قلوبهم صلبة، لا تخلخلها الخوارق، كما أن الحجر خلق صلبا. وفي ذلك إشارة إلى أن اعتياص قلوبهم ليس لعارض، بل خلق ذلك فيها خلقا أوليا، كما أن صلابة الحجر كذلك. والكاف المفيدة معنى التشبيه: حرف وفاقا لسيبويه وجمهور النحويين، خلافا لمن ادعى أنها تكون اسما في الكلام، وهو عن الأخفش. فتعلقه هنا بمحذوف، التقدير: فهي كائنة كالحجارة، خلافا لابن عصفور، إذ زعم أن **كاف التشبيه** لا تتعلق بشيء، ودلائل ذلك مذكورة في كتب النحو. والألف واللام في الحجارة لتعريف الجنس. وجمعت الحجارة ولم تفرد، فيقال كالحجر، فيكون أخصر، إذ دلالة المفرد على الجنس

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١/١١٠

كدلالة الجمع، لأنه قوبل الجمع بالجمع، لأن قلوبهم جمع، فناسب مقابلته بالجمع، ولأن قلوبهم متفاوتة في القسوة، كما أن الحجارة متفاوتة في الصلابة. فلو قيل: كالحجر، لأفهم ذلك عدم التفاوت، إذ يتوهم فيه من حيث الإفراد ذلك.

أو أشد قسوة، أو: بمعنى الواو، أو بمعنى أو للإبهام، أو للإباحة، أو للشك، أو للتخيير، أو للتنويع، أقوال: وذكر المفسرون مثلا لهذه المعاني، والأحسن القول الأخير.

وكأن◌ قلوبهم على قسمين: قلوب كالحجارة قسوة، وقلوب أشد قسوة من الحجارة، فأجمل ذلك في قوله: ثم قست قلوبكم، ثم فصل ونوع إلى مشبه بالحجارة، وإلى أشد منها." (١)

"من مشاركة معنوية بين من ضرب به المثل، وبين من ضرب له المثل، من وجه واحد، أو من وجوه لا يشترط الاشتراك في سائر الصفات. والمعنى الذي وقعت فيه المشاركة بين آدم وعيسى كون كل واحد منهما خلق من غير أب. وقال بعض أهل العلم: المشاركة بين آدم وعيسى في خمسة عشر وصفا: في التكوين، و: في الخلق من العناصر التي ركب الله منها الدنيا. وفي العبودية، وفي النبوة. وفي المحنة: عيسى باليهود، وآدم بإبليس، وفي:

أكلهما الطعام والشراب، وفي الفقر إلى الله. وفي الصورة، وفي الرفع إلى السماء والإنزال منها إلى الأرض، وف◌ي الإلهام، عطس آدم فألهم، فقال الحمد لله. وألهم عيسى، حين أخرج من بطن أمه فقال: إني عبد الله «١» وفي العلم، قال: وعلم آدم الأسماء «٢» وقال: ويعلمه الكتاب والحكمة «٣» وفي نفخ الروح فيهما ونفخت فيه من روحي «٤» فنفخنا فيه من روحنا «٥» وفي الموت، وفي فقد الأب، ومعنى: عند الله أي عند من يعرف حقيقة الأمر، وكيف هو. أي: هكذا هو الأمر فيما غاب عنكم ولم تطلعوا على كنهه.

والعامل في: عند، العامل في: **كاف التشبيه**، وهذا التشبيه هو من أحد الطرفين كما تقدم، وهو الوجود من غير أب وهما نظيران في أن◌◌ كلا منهما أوجده الله خارجا عما استقر واستمر في العادة من خلق الإنسان متولدا من ذكر وأنثى، كما قال تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى «٦» والوجود من غير أب وأم أغرب في العادة من وجود من غير أب، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه، وأسر بعض العلماء بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١/٤٢٣

قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له. قالوا: كان يحيي الموتى. قال: فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر، وأحيا حز◌قيل ثمانية آلاف. فقالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص. قال:

فجرجيس أولى لأنه طحن وأحرق، ثم قام سالما. انتهى.

وصح

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عين قتادة بعد ما قلعت، ورد الله نورها،

وصح

أن أعمى دعا له فرد الله له بصره.

---

(١) سورة مريم: ١٩/ ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٣١.

(٣) سورة آل عمران: ٣/ ٤٨.

(٤) سورة الحجر: ١٥/ ٢٩ وص: ٣٨/ ٧٢.

(٥) سورة الأنبياء: ٢١/ ٩١ والتحريم: ٦٦/ ١٢.

(٦) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٣.." [١]

"له زجل كأنه صوت حاد ... إذا طلب الوسيقة أو زمير

وقول الآخر:

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش ... إلا لأن عيونه سيل واديها

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا لما كان من المؤمنين ما كان يوم أحد وعتب عليهم الله ما حذر منهم في الآيات التي تقدمت، أخبرهم بأن الأمم السالفة قتلت أنبياء لهم كثيرون أو قتل ربيون كثير معهم، فلم يلحقهم ما لحقكم من الوهن والضعف، ولا ثناهم عن القتال فجعهم بقتل أنبيائهم، أو قتل ربيبهم، بل مضوا قدما في نصرة دينهم صابرين على ما حل بهم. وقتل نبي أو أتباعه من أعظم المصاب، فكذلك كان ينبغي لكم التأسي بمن مضى من صالحي الأمم السابقة، هذا وأنتم خير الأمم، ونبيكم خير الأنبياء. وفي هذه الجملة من العتب لمن فر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٨٥/٣

وقرأ الجمهور وكأين قالوا: وهي أصل الكلمة، إذ هي أي دخل عليها **كاف التشبيه**، وكتبت بنون في المصحف، ووقف عليها أبو عمرو. وسورة بن المبارك عن الكسائي بياء دون نون، ووقف الجمهور على النون اتباعا للرسم. واعتل لذلك أبو علي الفارسي بما يُوقف عليه في كلامه وذلك على عادة المعللين، ومما جاء على هذه اللغة قول الشاعر:

وكائن في المعاسر من أناس ... أخوهم فرقهم وهم كرام

وقرأ ابن كثير: وكائن وهي أكثر استعمالا في لسان العرب وأشعارها. قال:

وكائن رددنا عنكم من مدجج وقرأ ابن محيصين والأشهب العقيلي: وكأين على مثال كعين. وقرأ بعض القراء من الشواذ كيئن، وهو مقلوب قراءة ابن محيصين. وقرأ ابن محيصين أيضا فيما حكاه الداني كان على مثال كع وقال الشاعر:

كان صديق خلته صادق الإخا ... أبان اختياري أنه لي مداهن

وقرأ الحسن كي بكاف بعدها ياء مكسورة منونة. وقد طول المفسرون ابن عطية." (١)

"وغيره بتعليل هذه التصرفات في كأين، وبما عمل في كأين، وبما عمل في كأين، فلذلك أضربنا عن ذكره صفحا.

وقرأ الحرميان وأبو عمرو قتل مبنيا للمفعول، وقتادة كذلك، إلا أنه شدد التاء، وباقي السبعة قاتل بألف فعلا ماضيا. وعلى كل من هذه القراءات يصلح أن يسند الفعل إلى الضمير، فيكون صاحب الضمير هو الذي قتل أو قتل على معنى التكثير بالنسبة لكثرة الأشخاص، لا بالنسبة لفرد فرد. إذ القتل لا يتكثر في كل فرد فرد. أو هو قاتل ويكون قوله: معه ربيون محتملا أن تكون جملة في موضع الحال، فيرتفع ربيون بالابتداء، والظرف قبله خبره، ولم يحتج إلى الواو لأجل الضمير في معه العائد على ذي الحال، ومحتملا أن يرتفع ربيون على الفاعلية بالظرف، ويكون الظرف هو الواقع حالا التقدير:

كائنا معه ربيون، وهذا هو الأحسن. لأن وقوع الحال مفردا أحسن من وقوعه جملة. وقد اعتمد الظرف لكونه وقع حالا فيعمل وهي حال محكية، فلذلك ارتفع ربيون بالظرف. وإن كان العامل ماضيا لأنه حكى الحال كقوله تعالى: وكلبهم باسط ذراعيه «١» وذلك على مذهب البصريين. وأما الكسائي وهشام فإنه يجوز عندهما إعمال اسم الفاعل الماضي غير المعروف بالألف واللام من غير تأويل، بكونه حكاية حال، ويصلح أن يسند الفعل إلى ربيون فلا يكون فيه ضمير، ويكون الربيون هم الذين قتلوا أو قتلوا أو

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٣٦٨

قاتلوا، وموضع كأين رفع على الابتداء. والظاهر أن خبره بالجملة من قوله: قتل أو قتل أو قاتل، سواء أرفع الفعل الضمير، أم الربيين. وجوزوا أن يكون قتل إذا رفع الضمير في موضع الصفة ومعه ربيون في موضع الخبر كما تقول: كم من رجل صالح معه مال. أو في موضع الصفة فيكون قد وصف بكونه مقتولا، أو مقتلا، أو مقاتلا، وبكونه معه ربيون كثير. ويكون خبر كأين قد حذف تقديره: في الدنيا أو مضى. وهذا ضعيف، لأن الكلام مستقل بنفسه لا يحتاج إلى تكلف إضمار. وأما إذا رفع الظاهر فجوزوا أن تكون الجملة الفعلية من قتل ومتعلقاتها في موضع الصفة لنبي، والخبر محذوف. وهذا كما قلنا ضعيف. ولما ذكروا أن أصل كأين هو أي دخلت عليها **كاف التشبيه** فجرتها، فهي عاملة فيها، كما دخلت على ذا في قولهم: له عندي كذا. وكما دخلت على أن في قولهم: كأن ادعى أكثرهم أن كأن، بقيت فيها الكاف على معنى التشبيه. وأن كذا، وكأن، زال عنهما معنى التشبيه. فعلى هذا

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ١٨.." (١)

"لا تتعلق الكاف بشيء، وصار معنى كأين معنى كم، فلا تدل على التشبيه ألبتة. وقال الحوفي: أما العامل في الكاف فإن حملناها على حكم الأصل فمحمول على المعنى، والمعنى: إصابتكم كإصابة من تقدم من الأنبياء وأصحابهم. وإن حملنا الحكم على الانتقال إلى معنى كم، كان العامل بتقدير الابتداء، وكانت في موضع رفع وقتل الخبر.

ومن متعلقة بمعنى الاستقرار، والتقدير الأول أوضح لحمل الكلام على اللفظ دون المعنى بما يجب من الخفض في أي. وإذا كانت أي على بابها من معاملة اللفظ، فمن متعلقة بما تعلقت به الكاف من المعنى المدلول عليه انتهى كلامه. وهو كلام فيه غرابة. وجرهم إلى التخليط في هذه الكلمة ادعاؤهم بأنها مركبة من: **كاف التشبيه**، وأن أصلها أي: فجرت **بكاف التشبيه**. وهي دعوى لا يقوم على صحتها دليل. وقد ذكرنا رأينا فيها أنها بسيطة مبنية على السكون، والنون من أصل الكلمة وليس بتنوين، وحملت في البناء على نظيرتها كم.

وإلى أن الفعل مسند إلى الضمير.

ذهب الطبري وجماعة ورجح ذلك بأن القصة هي سبب غزوة أحد، وتخاذل المؤمنين حين قتل محمد صلى الله عليه وسلم، فضرب المثل بنبي قتل. ويؤيد هذا الترجيح قوله: أفإن مات أو قتل. وقد قال ابن

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٣٦٩

عباس في قوله: وما كان لنبي أن يغل «١» النبي يقتل، فكيف لا يخان؟ وإذا أسند لغير النبي كان المعنى تثبيت المؤمنين لفقد من فقد منهم فقط. وإلى أن الفعل مسند إلى الربيين ذهب الحسن وجماعة. قال هو وابن جبير: لم يقتل نبي في حرب قط. وقال ابن عطية: قراءة من قرأ قاتل أعم في المدح، لأنه يدخل فيها من قتل ومن بقي. ويحسن عندي على هذه القراءة إسناد الفعل إلى الربيين، وعلى قراءة قتل إسناده إلى نبي انتهى كلامه. ونقول: قتل: يظهر أنها مدح، وهي أبلغ في مقصود الخطاب، لأنها نص في وقوع القتل، ويستلزم المقاتلة. وقاتل: لا تدل على القتل، إذ لا يلزم من المقاتلة وجود القتل. قد تكون مقاتلة ولا يقع قتل. وما ذكر من أنه يحسن عنده ما ذكر لا يظهر حسنه، بل القراءتان تحتملان الوجهين. وقال أبو الفتح بن جني: في قراءة قتادة لا يحسن أن يستند الفعل إلى الربيين لما فيه من معنى التكثير الذي لا يجوز أن يستعمل في قتل شخص واحد. فإن قيل: يستند إلى نبي مراعاة لمعنى كأين، فالجواب: أن اللفظ قد مشى على جهة الإفراد في قوله: من نبي، ودل الضمير المفرد في معه على أن المراد إنما هو التمثيل بواحد واحد، فخرج الكلام على معنى كأين. قال أبو الفتح: وهذه القراءة تقوي

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ١٦.." (١)

"كم اسم بسيط لا مركب من **كاف التشبيه** وما الاستفهامية حذف ألفها لدخول حرف الجر عليها وسكنت كما قالوا لم تركيبا لا ينفك كما ركبت في كأين مع أي وتأتي استفهامية وخبرية وكثيرا ما جاءت الخبرية في القرآن ولم يأت تمييزها في القرآن إلا مجرورا بمن وأحكامها في نوعيها مذكورة في كتب النحو. القيلولة نوم نصف النهار وهي القائلة قاله الليث، وقال الأزهري الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر ولم يكن نوم، وقال الفراء:

قال: يقيل قيلولة وقيلا وقائلة ومقيلا استراح وسط النهار. العيش الحياة عاش يعيش عيشا ومعاشا وعيشة ومعيشة ومعيشا- قال رؤبة:

إليك أشكو شدة المعيش ... وجهد أيام نتفن ريشي." (٢)

"الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه، وإنما هو من جهة القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر «١» . فقوله: وما كنت، هنا تهكم بهم، لأنه قد علم

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣/٣٧٠

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٦

كل أحد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان معهم. وأجمعوا أمرهم أي: عزموا على إلقاء يوسف في الجب، وهم يمكرون جملة حالية. والمكر: أن يدبر على الإنسان تدبيرا يضره ويؤذيه والناس، الظاهر العموم لقوله: ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. وعن ابن عباس: إنهم أهل مكة. ولو حرصت: ولو بالغت في طلب إيمانهم لا يؤمنون لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر. وجواب لو محذوف أي: ولو حرصت لم يؤمنوا، إنما يؤمن من يشاء الله إيمانه. والضمير في عليه عائد على دين الله أي: ما تبتغي عليه أجرا على دين الله، وقيل: على القرآن، وقيل: على التبليغ، وقيل: على الأنباء بمعنى القول. وفيه توبيخ للكفرة، وإقامة الحجة عليهم. أو وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى، كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا موعظة وذكر من الله للعالمين عامة، وحث على طلب النجاة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقرأ بشر بن عبيد: وما نسألهم بالنون. ثم أخبر تعالى أنهم لفرط كفرهم يمرون على الآيات التي تكون سببا للإيمان ولا تؤثر فيهم، وأن تلك الآيات هي في العالم العلوي وفي العالم السفلي وتقدم قراءة ابن كثير وكأين. قال ابن عطية وهو اسم فاعل من كان فهو كائن ومعناها معنى كم في التكثير انتهى. وهذا شيء يروى عن يونس، وهو قول مرجوح في النحو. والمشهور عندهم أنه مركب من **كاف التشبيه** ومن أي، وتلاعبت العرب به فجاءت به لغات. وذكر صاحب اللوامح أن الحسن قرأ وكي بياء مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد، وجاء كذلك عن ابن محيصن، فهي لغة انتهى. من آية علامة على توحيد الله وصفاته، وصدق ما جيء به عنه. وقرأ عكرمة وعمرو بن قائد: والأرض بالرفع على الابتداء، وما بعده خبر. ومعنى يمرون عليها فيشاهدون ما فيها من الآيات. وقرأ السدي:

والأرض بالنصب، وهو من باب الاشتغال أي: ويطوون الأرض يمرون عليها على آياتها، وما أودع فيها من الدلالات. والضمير في عليها وعنها في هاتين القراءتين يعود على الأرض، وفي قراءة الجمهور وهي بجر الأرض، يعود الضمير على آية أي: يمرون على تلك الآيات ويشاهدون تلك الدلالات، ومع ذلك لا يعتبرون. وقرأ عبد الله: والأرض برفع

---

(١) سورة القصص: ٢٨/ ٤٤.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٣١/٦

"الثروة والحشم والأتباع. و: وي، عند الخليل وسيبويه: اسم فعل مثل: صه ومه، ومعناها: أعجب.

قال الخليل: وذلك أن القوم ندموا فقالوا، متندمين على ما سلف منهم:

وي، وكل من ندم فأظهر ندامته قال: وي. وكأن: هي **كاف التشبيه** الداخلة على أن، وكتبت متصلة **بكاف التشبيه** لكثرة الاستعمال، وأنشد سيبويه:

وي كأن من يكن له نشب يح ... سب ومن يفتقر يعش عيش ضر

والبيت لزيد بن عمرو بن نفيل. وحكى الفراء أن امرأة قالت لزوجها: أين ابنك؟

فقال: ويكأنه وراء البيت، وعلى هذا المذهب يكون الوقف على وي. وقال الأخفش: هي ويك، وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب، ولا موضع له من الإعراب، والوقف عليه ويك، ومنه قول عنترة:

ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

قال الأخفش: وأن عنده مفتوح بتقدير العلم، أي أعلم أن الله، وقال الشاعر:

ألا ويك المضرة لا تدوم ... ولا يبقي على البؤس النعيم

وذهب الكسائي ويونس وأبو حاتم وغيرهم إلى أن أصله ويلك، فحذفت اللام والكاف في موضع جر بالإضافة. فعلى المذهب الأول قيل: تكون الكاف خالية من معنى التشبيه، كما قيل: ليس كمثله شيء «١» . وعلى المذهب الثاني، فالمعنى: أعجب لأن الله. وعلى المذهب الثالث تكون ويلك كلمة تحزن، والمعنى أيضا: لأن الله. وقال أبو زيد وفرقة معه: ويكأن، حرف واحد بجملته، وهو بمعنى: ألم تر. وبمعنى: ألم تر، قال ابن عباس والكسائي وأبو عبيد. وقال الفراء: ويك، في كلام العرب، كقوله الرجل: أما ترى إلى صنع الله؟ وقال ابن قتيبة، عن بعض أهل العلم أنه قال: معنى ويك: رحمة لك، بلغة حمير.

ولما صدر منهم تمني حال قارون، وشاهدوا الخسف، كان ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا، وداعيا إلى الرضا بقدر الله، فتنبهوا لخطئهم فقالوا: وي، ثم قالوا: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، بحسب مشيئته وحكمته، لا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء، لا لهوانه، بل لحكمته وقضائه ابتلاء. وقرأ الأعمش: لولا من الله، بحذف أن، وهي مزادة. وروي عنه: من الله، برفع النون والإضافة. وقرأ الجمهور: لخسف مبنيا

---

(١) سورة الشورى: ٤٢/ ١١.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٣٢٩/٨

"واعلم أن كل جار ومجرور لا بد له من شيء يتعلق به، فعل أو ما في معناه، إلا في ثلاث صور: حرف الجر الزائد ولعل ولولا عند من يجر بهما، وزاد الاستاذ ابن عصفور **كاف التشبيه**، وليس بشيء فإنها تتعلق. إذا تقرر ذلك ف «بسم الله» لا بد من شيء يتعلق به ولكنه حذف.

واختلف النحويون في ذلك، فذهب أهل البصرة إلى أن المتعلق به اسم، وذهب أهل الكوفة إلى أنه فعل، ثم اختلف كل من الفريقين: فذهب بعض البصريين إلى أن ذلك المحذوف مبتدأ حذف هو وخبره وبقي معموله، تقديره: ابتدائي باسم الله كائن أو مستقر، أو قراءتي باسم الله كائنة أو مستقرة. وفيه نظر من حيث إنه يلزم حذف المصدر وإبقاء معموله وهو ممنوع، وقد نص مكي على منع هذا الوجه. وذهب بعضهم إلى أنه خبر حذف هو ومبتدؤه أيضا وبقي معموله قائما مقامه، والتقدير: ابتدائي كائن باسم الله، أو قراءتي كائنة باسم الله نحو: زيد بمكة، فهو على الأول منصوب المحل وعلى الثاني مرفوعه لقيامه مقام الخبر. وذهب بعض الكوفيين إلى أن ذلك الفعل المحذوف مقدر قبله، قال: لأن الأصل التقديم، والتقدير: أقرأ باسم الله أو أبتدئ باسم الله. ومنهم من قدر بعده: والتقدير: باسم الله أقرأ أو أبتدئ أو أتلو، وإلى هذا نحا الزمخشري قال: «ليفيد." (١)

"قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾ : «مثلهم» مبتدأ و «كمثل» : جار ومجرور خبره، فيتعلق بمحذوف على قاعدة الباب، ولا مبالاة بخلاف من يقول: إن **كاف التشبيه** لا تتعلق بشيء، والتقدير مثلهم مستقر كمثل وأجاز أبو البقاء وابن عطية أن تكون الكاف اسما هي الخبر، ونظره بقول الشاعر:." (٢)

"٢٠٧ - أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط ... كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا مذهب الأخفش: يجيز أن تكون الكاف اسما مطلقا. وأما مذهب سيبويه فلا يجيز ذلك إلا في شعر، وأما تنظيره بالبيت فليس كما قال، لأنا في البيت نضطر إلى جعلها اسما لكونها فاعلة، بخلاف الآية. والذي ينبغي أن يقال: إن **كاف التشبيه** لها ثلاثة أحوال: حال يتعين فيها أن تكون اسما، وهي ما إذا كانت فاعلة أو مجرورة بحرف أو إضافة. مثال الفاعل: «أتنتهون ولن ينهى» البيت، ومثال جرها بحرف قول امرئ القيس:

٢٠٨ - ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا ... تصوب فيه العين طورا وترتقي

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٢/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٥٤/١

وقوله:

٢٠٩ – وزعت بكالهراوة أعوجي ... إذا جرت الرياح لها وثابا

ومثال جرها بالإضافة قوله:

٢١٠ – فصيروا مثل كعصف مأكول ... .

وحال يتعين أن تكون فيها حرفا، وهي: الواقعة صلة، نحو: جاء الذي كزيد، لأن جعلها اسما يستلزم حذف عائد مبتدأ من غير طول الصلة،." (١)

"قوله: ﴿أو أشد ذكرا﴾ يجوز في «أشد» أن يكون مجرورا وأن يكون منصوبا: فأما جره فذكروا فيه وجهين، أحدهما: أن يكون مجرورا عطفا على «ذكركم» المجرور **بكاف التشبيه**، تقديره: أو كذكر أشد ذكرا، فتجعل للذكر ذكرا مجازا، وإليه ذهب الزجاج، وتبعه أبو البقاء، وابن عطية.

والثاني: أنه مجرور عطفا على المخفوض بإضافة المصدر إليه، وهو ضمير المخاطبين. قال الزمخشري: «أو أشد ذكرا في موضع جر عطفا على ما أضيف إليه الذكر في قوله:» كذكركم «كما تقول: كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا» وهذا الذي قاله الزمخشري معنى حسن، ليس فيه تجوز بأن يجعل للذكر ذكر، لأنه جعل «أشد» من صفات الذاكرين، إلا أن فيه العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وهو ممنوع عند البصريين ومحل ضرورة.

وأما نصبه فمن أوجه، أحده: أن يكون معطوفا على «آباءكم» قال الزمخشري، فإنه قال: «بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم، على أن» ذكرا «من فعل المذكور» وهذا كلام يحتاج إلى تفسير، فقوله: «هو معطوف على آباءكم» معناه أنك إذا عطفت «أشد» على «آباءكم» كان التقدير: أو قوما أشد ذكرا من آبائكم، فكان القوم مذكورين، والذكر الذي هو تمييز بعد «أشد» هو من فعلهم، أي: من فعل القوم المذكورين، لأنه جاء بعد «أفعل» الذي." (٢)

"٩١٧ – يا أيها الراكب المزجي مطيته ... سائل بني أسد ما هذه الصوت

وقال آخر:

٩١٨ –. . . . . واسأل بمصقلة البكري ما فعلا

وإنما علق السؤال وإن لم يكن من أفعال القلوب، قالوا: لأنه سبب للعلم والعلم يعلق فكذلك سببه، وإذا

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١/١٥٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٣٣٨

كانوا قد أجروا نقيضه في التعليق مجراه في قوله:

٩١٩ – ومن أنتم إنا نسينا من أنتم ... وريحكم من أي ريح الأعاصر

فإجراؤهم سببه مجراه أولى.

واختلف النحويون في «كم» : هل بسيطة أو مركبة من **كاف التشبيه** وما الاستفهامية حذفت ألفها لانجرارها، ثم سكنت ميمها، كما سكنت ميم «لم» من «لم فعلت كذا» في بعض اللغات، فركبتا تركيبا لازما؟ والصحيح الأول. وأكثر ما تجيء في القرآن خبرية مرادا بها التكثير ولم يأت مميزها في القرآن إلا مجرورا بمن.

قوله: ﴿ومن يبدل نعمة الله﴾ «من» شرطية في محل رفع بالابتداء. وقد تقدم الخلاف في خبر اسم الشرط ما هو؟ ولا بد للتبديل من مفعولين: مبدل وبدل، ولم يذكر هنا إلا أحدهما وهو المبدل، وحذف البدل، وهو المفعول." (١)

"قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي﴾ : هذه اللفظة قيل: مركبة من **كاف التشبيه** ومن «أي» ، وحدث فيه بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من «كم» الخبرية، ومثلها في التركيب وإفهام التكثير: «كذا» في قولهم: «له عندي كذا كذا درهما» والأصل: **كاف التشبيه** و «ذا» الذي هو اسم إشارة، فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير، وكم الخبرية و «كأين» و «كذا» كلها بمعنى واحد، وقد عهدنا في التركيب إحداث معنى أخر، ألا ترى أن «لولا» حدث لها معنى جديد. وكأين من حقها على هذا أن يوقف عليها بغير نون، لأن التنوين يحذف وقفا، إلا أن الصحابة كتبتها: «كأين» بثبوت النون، فمن ثم وقف عليهما جمهور القراء بالنون إتباعا لرسم المصحف. ووقف أبو عمرو وسورة بن مبارك عن الكسائي عليها: «." (٢)

"واختلفوا في «أي» : هل هي مصدر في الأصل أم لا؟ فذهب جماعة إلى أنها ليست مصدرا وهو ظاهر قول أبي البقاء فإنه قال: «وكأين الأصل فيه:» أي «التي هي بعض من كل، أدخلت عليها **كاف التشبيه**» وفي عبارته عن «أي» بأنها بعض من كل نظر، لأنها ليست بمعنى بعض من كل، نعم إذا أضيفت إلى معرفة فحكمها حكم «بعض» في مطابقة الخبر وعود الضمير نحو: أي الرجلين قام؟ ولا تقول: «قاما» ، وليست هي التي «بعض» أصلا.

وذهب ابن جني أنها في الأصل مصدر «أوى يأوي» إذا انضم واجتمع، والأصل: أوي نحو: طوى يطوي

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٣٧٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٤٢١

طيا، الأصل: طوي، فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدمت في الياء، وكأن ابن جني ينظر إلى معنى المادة من الاجتماع الذي يدل عليه «أي» فإنها للعموم، والعموم يستلزم الاجتماع.

وهل هذه الكاف الداخلة على «أي» تتعلق بشيء كغيرها من حروف الجر أم لا؟ والصحيح أنها لا تتعلق بشيء أصلا لأنها مع «أي» صارتا بمنزلة كلمة واحدة وهي «كم» ، فلم تتعلق بشيء؛ ولذلك هجر معناها الأصلي وهو التشبيه.

وزعم الحوفي أنها تتعلق بعامل، ولا بد من إيراد نصه لتقف عليه فإنه كلام غريب. قال: أما العامل في الكاف فإن جعلناها على حكم الأصل فمحمول على المعنى، والمعنى: أصابتكم كإصابة من تقدم من الأنبياء وأصحابهم، وإن حملنا الحكم على الانتقال إلى معنى «كم» كان العامل بتقدير الابتداء وكانت في موضع رفع، و «قتل» الخبر، و «من» متعلقة بمعنى." (١)

"ولكن مراده أن الجار مقدر بالفعل، وحينئذ تؤول إلى جملة فعلية أي: كما استقر لهم آلهة.

الثاني: أن تكون «ما» كافة **لكاف التشبيه/** عن العمل فإنها حرف جر. وهذا كما تكف «رب» ، فيليها الجمل الاسمية والفعلية، ولكن ليس ذلك على سبيل الوجوب، بل يجوز في الكاف وفي «رب» مع ما الزائدة بعدهما وجهان: العمل والإهمال، وعلى ذلك قول الشاعر:

٢٢٨٦ - وننصر مولانا ونعلم أنه ... كما الناس مجروم عليه وجارم

وقول الآخر:

٢٢٨٧ - ربما الجامل المؤبل فيهم ... وعناجيج بينهن المهارى

يروى برفع «الناس» و «الجامل» وجرهما. هذا إذا أمكن الإعمال. أما إذا لم يمكن تعين أن تكون كافة كهذه الآية إذا قيل بأن «ما» زائدة.

الثالث: أن تكون «ما» بمعنى الذي، و «لهم» صلتها وفيه حينئذ ضمير مرفوع مستتر، و «آلهة» بدل من ذلك الضمير. والتقدير: كالذي استقر هو لهم آلهة. وقال أبو البقاء في هذا الوجه: «والعائد محذوف و» آلهة «بدل منه تقديره: كالذي هو لهم» وتسميته هذا حذفا تسامح؛ لأن ضمائر الرفع إذا كانت فاعلة لا توصف بالحذف بل بالاستتار.." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٢٥/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٤٣/٥

"تعالى باستعجالهم، بخلاف ما قدره مكي فإنه لا يظهر، إذ ليس» استعجال «مصدرا ل» عجل «.
وقال الزمخشري: أصله: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير، فوضع» استعجالهم بالخير «موضع» تعجيله لهم الخير «إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم، كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم» . قال الشيخ: «ومدلول» عجل «غير مدلول» استعجل «لأن» عجل «يدل على الوقوع، و» استعجل «يدل على طلب التعجيل، وذلك واقع من الله، وهذا مضاف إليهم، فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري، فيحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون التقدير: تعجيلا مثل استعجالهم بالخير، فشبه التعجيل بالاستعجال؛ لأن طلبهم [للخير] ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شيء. والثاني: أن يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره: ولو يعجل الله للناس الشر إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير، لأنهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم كما كانوا يستعجلون بالخير» . الثالث: أنه منصوب على إسقاط **كاف التشبيه**، والتقدير: كاستعجالهم. قال أبو البقاء. «وهو بعيد، إذ لو جاز ذلك لجاز» زيد غلام عمرو «أي: كغلام عمرو» وبهذا ضعفه جماعة وليس بتضعيف صحيح، إذ ليس في المثال الذي ذكر فعل يتعدى بنفسه عند حذف الجار، وفي الآية فعل يصح فيه ذلك وهو قوله «يعجل» .
وقال مكي: «ويلزم من يجوز حذف حرف الجر منه أن يجيز» زيد الأسد «أي: كالأسد» قلت: قوله «ويلزم إلى آخره» لا رد فيه على هذا القائل." (١)

"والمطابقة نحو:: ربهما رجلين» نادرة. وقد يعطف على مجرورها ما أضيف إلى ضميره نحو: «رب رجل وأخيه» . وها يلزم وصف مجرورها، ومضي ما يتعلق به؟ خلاف، والصحيح عدم ذلك. فمن مجيئه غير موصوف قول هند:

٢٩٢ - ٥- يا رب قائلة غدا ... يا لهف أم معاويه

ومن مجيء المستقبل قوله:

٢٩٢ - ٦- فإن أهلِك فرب فتى سيبكي ... علي مهذب رخص البنان

وقولها: «يا رب قائلة غدا» البيت، وقول سليم:

٢٩٢ - ٧- ومعتصم بالحي من خشية الردى ... سيردى وغاز مشفق سيؤوب

فإن حرف التنفيس و «غدا» خلصاه للاستقبال.

و «ما» في «ربما» تحتمل وجهين، أظهرهما: أنها المهيئة، بمعنى: أن «رب» مختصة بالأسماء، فلما

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١٥٨

جاءت «ما» هيأت دخولها على الأفعال. وقد تقدم نظير ذلك في «إن» وأخواتها، وتكفها أيضا عن العمل كقوله:

٩٢2 – ٨– ربما الجامل المؤبل. . . . .

في رواية من رفعه، كما جرى ذلك في **كاف التشبيه**. والثاني: أن «." (١)

"قوله: ﴿بقيعة﴾ : فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق بمحذوف على أنه صفة لسراب. والثاني: أنه ظرف. والعامل فيه الاستقرار العامل في **كاف التشبيه**. والسراب: ما يتراءى للإنسان في القفر في شدة الحر مما يشبه الماء. وقيل: ما يتكاثف في قعور القيعان. قال الشاعر:." (٢)

"الثالث: أنه منصوب على الظرف، وهو قول الكوفيين، ويجيزون «زيد مثلك» بالفتح. ونقله أبو البقاء عن أبي الحسن، ولكن بعبارة مشكلة فقال: «ويقرأ بالفتح، وفيه وجهان، أحدهما: هو معرب. ثم في نصبه أوجه» . ثم قال: «أو على أنه مرفوع الموضع، ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله:

﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤] على قول الأخفش «. ثم قال:» والوجه الثاني هو مبني «. وقال أبو عبيد:» بعض العرب يجعل «مثل» نصبا أبدا فيقولون: هذا رجل مثلك «.

الرابع: أنه منصوب على إسقاط الجار، وهو **كاف التشبيه**. وقال الفراء:» العرب تنصبها إذا رفع بها الاسم، يعني المبتدأ، فيقولون: مثل من عبد الله؟ وعبد الله مثلك، وأنت مثله؛ لأن الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب إذا ألقيت الكاف «. قلت: وفي هذا نظر، أي حاجة إلى تقدير دخول الكاف و» مثل «تفيد فائدتها؟ وكأنه لما رأى الكاف قد دخلت عليها في قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] قال ذلك. الخامس: أنه نعت لمصدر محذوف أي: لحق حقا مثل نطقكم. السادس: أنه حال من الضمير في» لحق «لأنه قد كثر الوصف بهذا المصدر، حتى جرى مجرى الأوصاف المشتقة، والعامل فيها» حق «. السابع: أنه حال من نفس» حق «وإن كان نكرة. وقد نص سيبويه في مواضع من كتابه على جوازه، وتابعه أبو عمر على ذلك.." (٣)

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٣٩/٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤١١/٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٩/١٠

"وإنما طولوا الباء من " بسم الله " ولم يطولوها في سائر المواضع لوجهين:

الأول: أنه لما حذفت ألف الوصل بعد الباء طولوا هذه الباء؛ ليدل طولها على الألف المحذوفة التي بعدها، ألا ترى أنهم لما كتبوا ﴿اقرأ باسم ربك﴾ بالألف ردوا الباء إلى صفتها الأصلية.

قال مكي – رحمه الله تعالى –: حذفت الألف من " بسم الله " لكثرة الاستعمال.

وقيل: حذفت لتحرك السين في الأصل؛ لأن أصل السين الحركة، وسكونها لعلة دخلتها.

الثاني: قال القتيبي: إنما طولوا الباء، لأنهم أرادوا ألا يستفتحوا كتاب الله – تعالى – إلا بحرف معظم وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يقول لكتابه: " طولوا الباء، وأظهروا السين، ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله تعالى.

فصل في متعلق الجار والمجرور

الجار والمجرور لا بد له من شيء يتعلق به، فعل، أو ما في معناه، إلا في ثلاث صور:

" حرف الجر الزائد "، و " لعل " و " لولا " عند من يجر بهما، وزاد ابن عصفور – رحمه الله تعالى – " **كاف التشبيه** "؛ وليس بشيء، فإنها تتعلق.

إذا تقرر ذلك ف " بسم الله " لا بد من شيء يتعلق به، ولكنه حذف، واختلف النحويون في ذلك:." (١)

"والثاني: أن تقديره: تعجيلا مثل استعجالهم، ثم فعل به ما تقدم قبله، وهذا تقدير أبي البقاء، فقدر المحذوف مطابقا للفعل الذي قبله؛ فإن «تعجيلا» مصدر ل «عجل» ، وما ذكره مكي موافق للمصدر الذي بعده.

والذي يظهر؛ ما قدره أبو البقاء؛ لأن موافقة الفعل أولى، ويكون قد شبه تعجيله تعالى باستعجالهم، بخلاف ما قدره مك] ، فإنه لا يظهر؛ إذ ليس «استعجال» مصدرا ل «عجل» ، وقال الزمخشري: «أصله: ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير، فوضع» استعجالهم بالخير «موضع تعجيله لهم الخبر؛ إشعارا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبهم، كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم» ، قال أبو حيان: «ومدلول» عجل «غير مدلول» استعجل «؛ لأن» عجل «يدل على الوقوع، و» استعجل «يدل على طلب التعجيل، وذلك واقع من الله – تعالى –، وهذا مضاف إليهم، فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشري، فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون التقدير: تعجيلا مثل استعجالهم بالخير، فشبه التعجيل بالاستعجال؛ لأن طلبهم للخير،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١/١٣٠

ووقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شيء.

والثاني: أن يكون ثم محذوف يدل عليه المصدر تقديره: ولو يعجل الله للناس الشر، إذا استعجلوا به استعجالهم بالخير؛ لأنهم كانوا يستعجلون بالشر ووقوعه على سبيل التهكم، كما كانوا يستعجلون بالخير»
.

الثالث: أنه منصوب على إسقاط الخافض، وهو **كاف التشبيه**، والتقدير: كاستعجالهم.

قال أبو البقاء: «وهو بعيد؛ إذ لو جاز ذلك، لجاز» زيد غلام عمرو «أي: كغلام عمرو» . وبهذا ضعفه جماعة، وليس بتضعيف صحيح؛ إذ ليس في المثال الذي ذكر فعل يتعدى بنفسه عند حذف الجار، وفي الآية فعل يصح فيه ذلك، وهو قوله: «يعجل» ، وقال مكي: «ويلزم من يجوز حذف حرف الجر منه، أن يجيز» زيد الأسد «، أي: كالأسد» .

قال شهاب الدين: «قوله: ويلزم. . إلى آخره» ، لا رد فيه على هذا القائل، إذ يلتزمه، وهو التزام صحيح سائغ؛ إذ لا ينكر أحد «زيد الأسد» ، على معنى: كالأسد، وعلى تقدير التسليم، فالفرق ما ذكره أبو البقاء، أي: إن الفعل يطلب مصدرا مشبها، فصار مدلولا عليه.

وقال بعضهم: تقديره: في استعجالهم؛ نقله مكي، فلما حذفت «في» انتصب، وهذا لا معنى له، وقال البغوي: المعنى «ولو يعجل الله إجابة دعائهم في الشر والمكروه استعجالهم بالخير، أي: كما يحبون استعجالهم بالخير» .." (١)

"خلاف، والصحيح عندم ذلك؛ فمن مجيئه غير موصوف قول هند: [مجزوء الكامل]

٣٢٥٦ - يا رب قائلة غدا ... يا لهف أم معاويه

ومن مجيء المستقبل، قوله: [الوافر]

٣٢٥٧ - فإن أهلك فرب فتى سيبكي ... علي مهذب رخص البنان

وقول هند: [مجزوء الكامل]

٣٢٥٨ - يا رب قائلة غدا..... ... ...

وقول سليم: [الطويل]

٣٢٥٩ - ومعتصم بالحي من خشية الردى ... سيردى وغاز مشفق سيئوب

فإن حرف التنفيس، و «غدا» خلصاه للاستقبال.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/٢٧٤

و «رب» تدخل على الاسم، و «ربما» على الفعل، ويقال: رب رجل جاءني، وربما جاءني.

و «ما» في «ربما» ، تحتمل وجهين:

أظهرهما: أنها المهيئة، بمعنى أن «رب» مختصة بالأسماء، فلما جاءت هنا «ما» هيأت دخولها على الأفعال وقد تقدم نظير ذلك [يونس: ٢٧] في «إن» وأخواتها ويـكفها أيضا عن العمل؛ كقوله: [الخفيف]

٣٢٦٠ - ربما الجامل المؤبلش فيهم..... ... ...

في رواية من رفعه كما جرى ذلك في **كاف التشبيه**.

والثاني: أن «ما» نكرة موصوفة بالجملة الواقعة بعدها، والعائد على «ما» محذوف تقديره: رب شيء يوده الذين كفروا، ومن لم يلتزم مضي متعلقها، لم يحتج إلى تأويل، ومن التزم ذلك قال: لأن المترقب في إخبار الله تعالى واقع لا محالة، فعبر عنه بالماضي، تحقيقا لوقوعه؛ كقوله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] ونحوه.

قوله: «لو كانوا» يجوز في «لو» وجهان: أحدهما: أن تكون الامتناعية، وحينئذ، يكون." [١]

"والرقراق: يكون بالعشايا. وهو ما ترقرق من السراب، أي: جاء وذهب.

قوله: «بقيعة» فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بمحذوف على أنه صفة ل «سراب» .

والثاني: أنه ظرف، والعامل فيه الاستقرار العامل في **كاف التشبيه**.

والقيعة: بمعنى القاع، قاله الزمخشري، وهو المنبسط من الأرض، وتقدم في «طه» .

وقيل: بل هي جمعه ك «جار وجيرة» قاله الفراء. وقرأ مسلمة بن محارب بتاء (ممطوطة) ، وروي عنه بتاء شكل الهاء، ويقف عليها بالهاء، وفيها أوجه:

أحدها: أن يكون بمعنى «قيعة» كالعامة، وإنما أشبع الفتحة فتولد منها ألف كقوله: مخرنبق لينباع. قاله صاحب اللوامح.

والثاني: أنه جمع: «قيعة» وإنما وقف عليها بالهاء ذهابا به مذهب لغة طيئ في قولهم: «الإخوه والأخواه» و «دفن البناه من المكرماه» أي: والأخوات، والبنات، والمكرمات. وهذه القراءة تؤيد أن «قيعة» جمع قاع.." [٢]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٤/١١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٠٠/١٤

"كان) فعلا رافعا لضمير مفرد امتنع تقديمه على المبتدأ. وإذا أردت معرفة هذه القاعدة فعليك بسورة «هود» عند قوله: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم﴾ [هود: ٨] .

فصل

لما ذكر الله ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ذكر ما يعين على التوكل وهو بيان حال الدواب التي لا تدخر شيئا لغد، ويأتيها رزقها كل يوم.

واعلم أن (في) كأين (أربع لغات غير هذه كائن على وزن راع، وكأى على وزن رعى «وكيء» على وزن «ريع» و «كا» على وزن «رع» ولم يقرأ إلا كائن و «كا» قراءة ابن كثير.

فصل

«كأين» كلمة) مركبة من **«كاف التشبيه»** و «أن» التي تستعمل استعمال «من» و «ما» ركبتا، وجعل المركب بمعنى «كم» ثم لم يكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لأن «كأي» مستعمل غير مركب كما يقول القائل: «رأيت رجلا لا كأي رجل يكون» (فقد حذف المضاف إليه، ويقال: رأيت رجلا لا كأي رجل) وحينئذ لا يكون «كي» مركبا. فإذا كان «كأي» ههنا مركبا كتبت بالنون للتمييز، (كما تكتب معد يكرب وبعلبك) موصولا للفرق وكما تكتب ثمة بالهاء تمييزا بينها وبين (ثمت) .

فصل

روي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وآذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة. فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال؟ فمن يطعمنا بها." (١)

"فصل

قد تقدمت في سورة العنكبوت ذكر حروف التهجي وأن كل سورة بدأ الله فيها يحروف التهجي كان في أوائله الذكر أو الكتاب أو القرآن. ولنذكر ههنا أن في ذكر الحروف أوائل السور أمورا تدل على أنها غير خالية عن الحكمة لكن علم الإنسان لا يصل إليها. والذي يدل على أن فيها حكمة من حيث الجملة هو أن الله تعالى ذلك من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفا وهي نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا: الهمزة ألف متحركة.

ثم إنه تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الألف إلى الذال والتسعة الأخيرة من الفاء إلى الياء وعشرة في الوسط من الراء إلى الغين، وذكر من القسم الأول حرفين الألف والحاء وترك سبعة ولم يترك فن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٧٢/١٥

القسم الأول من حروف الحلق والصدر إلا واحدا لم يذكره وهو الخاء ولم يذكر من القسم الأخير من حروف الشفة إلا واحدا لم يتركه وهو الميم والعشر الأواسط ذكرمنه حرفا وترك حرفا، فترك الزاي وذكر الراء وذكر السين وترك الشين، وذكر الصاد وترك الضاد، وذكر الطاء وترك الظاء وذكر العين وترك الغين. ولي هذا أمرا يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود وهو لحكمة لكنها غير معلومة وهب أن واحدا يدعي فيه شيئا فماذا يقول في كون بعض السور مفتتحة بحرف كسورة «ن» و «ق» و «ص» وبعضها بحرفين كسورة «حم» و «يس» و «طه» وبعضها بثلاثة أحرف كسورة «الم» و «طسم» و «الر» وبعضها بأربعة أحرف كسروة «المر» و «المص» وبعضها بخمسة كسورة «حمعسق» و «كهيعص» وهب أن قائلا يقول: إن هذا إشارة بأن الكلام إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والحرف كثيرا ما جاء على حرف كواو العطف وفاء العقيب، وهمزة الاستفهام، **وكاف التشبيه**، وباء الإلصاق وغيرها، وجاء على حرفين كمن للتبعيض و «أو» للتخيير، و «أم» للاستفهام المتوسط، وإن للشرط وغيرها. والفعل والاسم والحرف جاء على ثلاثة أحرف كإلى وعلى في الحرف وإلى وعلى في الاسم وألا يألو وعلا يعلو في الفعل، والاسم والفعل جاءا على أربعة أحرف، والاسم خاصة جاء على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة ك «عجل» وسنجل." (١)

"ولكنه فتح كما فتح الظرف في قوله: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤] على قول الأخفش، ثم قال: والوجه الثاني: هو مبني.

وقال أبو عبيد: بعض العرب يجعل «مثل» نصبا أبدا، فيقولون: هذا رجل مثلك.

الرابع: أنه منصوب على إسقاط الجار وهو **كاف التشبيه.**

وقال الفراء: العرب تنصبها إذا رفع بها الاسم يعني المبتدأ فيقولون: مثل من عبد الله؟ وعبد الله مثلك وأنت مثله لأن الكاف قد تكون داخلة عليها فتنصب إذا ألقيت الكاف.

قال شهاب الدين: وفي هذا نظر، أي حاجة إلى تقدير دخول الكاف و «مثل» تفيد فائدتها؟ وكأنه لما رأى أن الكاف قد دخلت عليها في قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] قال ذلك.

الخامس: أنه نعت لمصدر محذوف، أي لحق حقا مثل نطقكم.

السادس: أنه حال من الضمير في «لحق» ؛ لأنه قد كثر الوصف بهذا المصدر حتى جرى مجرى الأوصاف المشتقة، والعامل فيها «حق» .

السابع: أنه حال من نفس «حق» وإن كان نكرة. وقد نص سيبويه في مواضع من كتابه على جوازه، وتابعه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٥/١٦

أبو عمرو على ذلك.

و «ما» هذه في مثل هذا التركيب نحو قولهم: «هذا حق» ، كما أنك ههنا لا تجوز حذفها، فلا يقال: هذا حق كأنك ههنا. نص على ذلك الخليل – رحمه الله –.." (١)

"أحدهما: أن يكون مجرورا عطفا على «ذكركم» المجرور **بكاف التشبيه**، تقديره: أو كذكر أشد ذكرا، فتجعل للذكر ذكرا مجازا، وإليه ذهب الزجاج، وتبعه أبو البقاء – رضي الله عنه – وابن عطية.

والثاني: أنه مجرور عطفا على المخفوض بإضافة المصدر إليه، وهو ضمير المخاطبين، قال الزمخشري: أو أشد ذكرا في موضع جر عطفا على ما أضيف إليه الذكر في قوله: ﴿كذكركم آبآءكم أو أشد ذكرا﴾ ؛ كما تقول: «كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا» وهو حسن، وليس فيه تجوز بأن يجعل للذكر ذكر؛ لأنه جعل «أشد» من صفات الذاكرين، إلا أن فيه العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، وهو ممنوع عند البصريين، ومحل ضرورة.

وأما نصبه فمن أوجه:

أحدها: أن يكون معطوفا على «آباءكم» قال الزمخشري، فإنه قال: «بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم» ؛ إلى أن «ذكرا» من فعل المذكور هو كلام يحتاج إلى تفسير، فقوله: «هو معطوف على آباءكم» : معناه أنك إذا عطفت «أشد» على «آباءكم» ، كان التقدير: أو قوما أشد ذكرا من آبائكم، فكان القوم مذكورين، والذكر الذي هو تمييز بعد «أشد» هو من فعلهم، أي: من فعل القوم المذكرين؛ لأنه جاء بعد «أفعل» الذي هو صفة للقوم، ومعنى «من آبائكم» أي من ذكركم لآبائكم، وهذا أيضا ليس فيه تجوز بأن جعل الذكر ذاكرا.

الثاني: أن يكون معطوفا على محل الكاف في «كذكركم» ؛ لأنها عندهم نعت لمصدر محذوف، تقديره: «ذكرا كذكركم آباءكم أو أشد» وجعلوا الذكر ذاكرا مجازا؛ كقولهم: شعر شاعر، وهذا تخريج أبي علي وابن جني.

الثالث: قاله مكي: أن يكون منصوبا بإضمار فعل، قال: تقديره: «فاذكروه ذكرا أشد من ذكركم لآبائكم» ؛ فيكون نعتا لمصدر في موضع الحال، أي: اذكروه بالغين في الذكر.

الرابع: أن يكون منصوبا بإضمار فعل الكون، قال أبو البقاء: «وعندي أن الكلام محمول على المعنى،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٩/١٨

والتقدير: أو كونوا أشد لله ذكرا منكم لآبائكم، ودل على هذا المعنى قوله: ﴿فاذكروا الله﴾ أي: كونوا ذاكريه، وهذا أسهل من حمله على المجاز» يعنى المجاز الذي تقدم ذكره عن الفارسي وتلميذه.." (١)

"واسأل بمصقلة البكري ما فعلا

وإنما علق السؤال، وإن لم يكن من أفعال القلوب؛ قالوا: لأنه سبب للعلم، والعلم يعلق، فكذلك سببه، وإذا كانوا قد أجروا نقيضه في التعليق مجراه في قوله: [الطويل]

١٠٣٤ - ومن أنتم إنا نسينا من أنتم ... وريحكم من أي ريح الأعاصر

فإجراؤهم سببه مجراه أولى.

واختلف النحاة في «كم» : هل بسيطة، أو مركبة من **كاف التشبيه** وما الاستفهامية، حذفت ألفها؛ لانجرارها، ثم سكنت ميمها، كما سكنت ميم «لم» من «لم فعلت كذا» في بعض اللغات، فركبتا تركيبا لازما؟ والصحيح الأول. وأكثر ما تجيء في القرآن خبرية مرادا بها التكثير، ولم يأت ممزها في القرآن إلا مجرورا بمن.

قال أبو مسلم: في الآية حذف، والتقدير: كم آتيناهم من آية بينة، وكفروا بها، ويدل على هذا الإضمار قوله: ﴿ومن يبد○○ل نعمة الله﴾ .

فصل

اعلم أنه ليس المقصود اسأل بني إسرائيل ليخبروك عن تلك الآيات لتعلمها؛ لأنه - عليه السلام - كان علاما بها بإعلام الله له، وإنما المقصود المبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله تعالى، فهو سؤال على جهة التقريع والتوبيخ؛ لأنه أمر بالإسلام، ونهى عن الكفر بقوله: ﴿ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كآفة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [البقرة: ٢٠٨] ثم قال: ﴿فإن زللتم﴾ [البقرة: ٢٠٩] أي: أعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد، بقوله: ﴿فإن زللتم من بعد ما جآءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم﴾ [البقرة: ٢٠٩] ، ثم هددهم بقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملاائكة﴾ [البقرة: ٢١٠] ، ثم ثلث التهديد بقوله: ﴿سل بني إسرائيل﴾ يعني هؤلاء الحاضرين كم آتينا أسلافهم آيات بينات فأنكروها، فلا جرم استوجبوا العقاب، وهذا تنبيه لهؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلوا عن آيات

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٤٣٤

الله، لوقعوا في العذاب.

وفي المراد ب «الآية البينة» قولان:." [1]

"هذه اللفظة، قيل: هي مركبة من **كاف التشبيه**، ومن «أي» ، وقد حدث فيهما بعد التركيب معنى التكثير، المفهوم من «كم» الخبرية، ومثلها في التركيب وإفهام التكثير: «كذا» في قولهم: له عندي كذا درهما، والأصل: **كاف التشبيه** و «ذا» الذي هو اسم إشارة، فلما رك ِبا حدث فيهما معنى التكثير، ف «كم» الخبرية وكأين وكذا كلها بمعنى واحد، وقد عهدنا في التركيب إحداث معنى آخر؛ ألا ترى أن «لولا» حدث لها معنى جديد، وكان من حقها - على هذا - أو يوقف عليها بغير نون؛ لأن التنوين يحذف وقفا، إلا أن الصحابة كتبتها «كأين» - بثبوت النون -، فمن ثم وقف عليها جمهور القراء بالنون؛ اتباعا لرسم المصحف.." [2]

"الياء الثانية، استثقالا، فالتقى ساكنان - الياء والتنوين - فكسر الياء؛ لالتقاء الساكنين، ثم سكنت الهمزة تخفيفا لثقل الكلمة بالتركيب، فصارت كالكلمة الواحدة كما سكنوا «فهو» و «فهي» .

اللغة الرابعة: «كيإن» بياء ساكنة، بعدها همزة مكسورة، وهذه مقلوب القراءة التي قبلها، وقرأ بها بعضهم.

اللغة الخامسة: «كإن» - على مثال كع - ونقلها الداني قراءة عن ابن محيصن أيضا.

وقال الشاعر: [الطويل]

١٦٥١ -كئن من صديق خلته صادق الإخا ... ء أبان اختباري أنه لي مداهن

وفيها وجهان:

أحدهما: أنه حذف الياءين دفعة واحدة لامتزاج الكلمتين بالتركيب.

والثاني: أنه حذف إحدى الياءين - على ما تقدم تقريره -، ثم حذف الأخرى لالتقائها ساكنة مع التنوين ووزنه - على هذا - كف؛ لحذف العين واللام منه.

واختلفوا في «أي» هل هي مصدر في الأصل، أم لا؟

فذهب جماعة إلى أنها ليست مصدرا، وهو قول أبي البقاء؛ فإنه قال «كأين» الأصل فيه: «أي» ، التي هي بعض من كل، أدخلت عليها **كاف التشبيه**.

وفي عبارته عن «أي» بأنها بعض من كل، نظر لأنها ليست بمعنى: بعض من كل، نعم إذا أضيفت إلى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٩١/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧٩/٥

معرفة فحكمها حكم «بعض» في مطابقة الجزء، وعود الضمير، نحو: أي الرجلين قائم ولا نقول: قاما، فليست هي التي «بعض» اصلا.

وذهب ابن جني إلى أنها - في الأصل - مصدر أوى يأوي - إذا انضم، واجتمع - والأصل: أوي، نحو طوى يطوي طيا - فاجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت في الياء، وكأن ابن جني ينظر إلى أن معنى المادة من الاجتماع الذي يدل عليه «أي» فإنها للعموم، والعموم يستلزم الاجتماع.

وهل هذه الكاف الداخلة على «أي» تتعلق بغيرها من حروف الجر، أم لا؟

والصحيح أنها لا تتعلق بشيء؛ لأنها مع «أي» صارتا بمنزلة كلمة و ا حدة - وهي «كم» - فلم تتعلق بشيء، ولذلك هجر معناه الأصلي - وهو التشبيه -.

وزعم الحوفي ◌ أنها تتعلق بعامل، فقال: «أما العامل في الكاف، فإن جعلناها على حكم الأصل، فمحمول على المعنى، والمعنى: إصابتكم كإصابة من تقدم من الأنبياء وأصحابهم، وإن حملنا الحكم على الانتقال إلى معنى» كم «، كان العامل بتقدير الابتداء،." (١)

"٢٥٦٦ - واصل خليلك ما التواصل ممكن ... فلأنت أو هو عن قريب ذاهب

ولكن المراد أن الجار مقدر بالفعل، وحينئذ تؤول إلى جملة فعلية، أي: كما استقر لهم آلهة.

الثاني: أن تكون «ما» كافة **لكاف التشبيه** عن العمل، فإنها حرف جر، وهذا كما تكف رب فيليها الجمل الاسمية، والفعلية، ولكن ليس ذلك على سبيل الوجوب، بل يجوز في الكاف وفي «رب» مع «ما» الزائدة بعدهما وجهان: العمل والإهمال، وعلى ذلك قول الشاعر: [الطويل]

٢٥٦٧ - وننصر مولانا ونعلم أنه ... كما الناس مجروم عليه وجارم

وقول الآخر: [الخفيف]

٢٥٦٨ - ربما الجامل المؤبل فيهم ... وعناجيح بينهن المهار

وروي برفع «الناس، والجامل» وجرهما، هذا إذا أمكن الإعمال، إما إذا لم يمكن تعين أن تكون كاف◌◌ة كهذه الآية، إذا قيل: بأن «ما» زائدة.

الثالث: أن تكون «ما» بمعنى «الذي» ، و «لهم» صلتها، وفيه حينئذ ضمير مرفوع مستتر، و «آلهة» بدل من ذلك الضمير، والتقدير: كالذي استقر هو لهم آلهة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٨٢/٥

وقال أبو البقاء – في هذا الوجه –: والعائد محذوف، و «آلهة» بدل منه، تقديره: كالذي هو لهم وتسميته هذا حذفا تسامح، لأن ضمائر الرفع إذا كانت فاعلة لا توسف بالحذف، بل بالاستتار.

قوله إن هؤلاء متبر ما هم فيه. هؤلاء إشارة لمن عكفوا على الأصنام، ومتبر فيه وجهان: أحدهما: أن يكون خبرا ل «إن» و «ما» موصولة بمعنى «الذي» وهم فيه جملة اسمية صلة وعائده، وهذا الموصول مرفوع باسم المفعول فتكون قد أخبرت بمفرد رفعت به سببا.

والثاني: أن يكون الموصول مبتدأ، ومتبر خبره قدم عليه، والجملة خبر ل «إن» .

ق ال الزخشري: وفي إيقاع «هؤلاء» اسما ل «إن» ، وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار، وأنه لا يعدوهم." (١)

"بعدهم كسعد بن الربيع «١» ، ووصيته يومئذ للأنصار، وأنس بن النضر «٢» ، وغيرهما، ثم يدخل في الآية الشاكرون إلى يوم القيامة، وقال علي (رضي الله عنه) في تفسير هذه الآية «٣» : الشاكرون الثابتون على دينهم أبو بكر، وأصحابه، وكان يقول: أبو بكر/ أمير الشاكرين إشارة منه إلى صدع أبي بكر بهذه الآية يوم موت النبي صلى الله عليه وسلم، وثبوته في ذلك الموطن، وثبوته في أمر الردة، وسائر المواطن التي ظهر فيها شكره، وشكر الناس بسببه، ثم أخبر عز وجل عن النفوس أنها إنما تموت بأجل مكتوب محتوم عند الله تعالى، أي:

فالجبن والخور لا يزيد في الأجل، والشجاعة والإقدام لا ينقص منه، وفي هذه الآية تقوية للنفوس في الجهاد، وفيها رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين.

وقوله سبحانه: ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ... الآية، أي: نؤت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى: من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد [الإسراء: ١٨] ، وقرينة الكلام تقتضي أنه لا يؤتى شيئا من الآخرة لأن من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا، فلا نصيب له في الآخرة، والأعمال بالنيات، وقرينة الكلام من قوله: ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها لا تمنع أن يؤتى نصيبا من الدنيا، قال ابن فورك في قوله تعالى: وسنجزي الشاكرين: إشارة إلى أنه ينعمهم بنعم الدنيا، لا أنهم يقصرون على الآخرة «٤» .

ثم ضرب سبحانه المثل للمؤمنين بمن سلف من صالح الأمم الذين لم يثنهم عن دينهم قتل الكفار لأنبيائهم، فقال: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير ... الآية: وفي «كأين» لغات، فهذه اللغة أصلها «٥» لأنها

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٩٤/٩

كاف التشبيه دخلت على «أي» ، و «كأين» في

---

(١) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، الأنصاري، الخزرجي، أحد نقباء الأنصار. ينظر: «الإصابة» (٣/ ٤٩) . [.....]

(٢) أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري، الخزرجي، عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم. ينظر: «الإصابة» (١/ ٢٨١) .

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥) برقم (٧٩٣٧) ، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٥١٦) ، والسيوطي بنحوه في «الدر المنثور» (٢/ ١٤٥) ، وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٥١٨) .

(٥) هذه اللفظة قيل: مركبة من **كاف التشبيه** ومن «أي» ، وحدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من «كم» الخبرية، ومثلها في التركيب وإفهام التكثير: «كذا» في قولهم: «له عندي كذا كذا درهما» والأصل:

كاف التشبيه و «ذا» الذي هو اسم إشارة، فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير، وكم الخبرية و «كأين» و «كذا» كلها بمعنى واحد، وقد عهدنا في التركيب إحداث معنى آخر ألا ترى أن «لولا» حدث لها معنى جديد. «وكأين» من حقها على هذا أن يوقف عليها بغير نون لأن التنوين يحذف وقفا، إلا أن-." (١)

"﴿وكأين﴾ كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من **كاف التشبيه** وأي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي إحداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كأن مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى ﴿من نبى﴾ تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله ... أطرد اليأس بالرجاء فكأين ... أملاحم يسره بعد عسره ...

وقوله تعالى

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢/١١٧

﴿قاتل معه ربيون كثير﴾ خبر لها على أن الفعل مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها أيضا على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أي كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الأخيرتين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أي قتلوا أو قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وأيده بأن مدار التوبيخ اتخذالهم للإرجاف بقتله عليه السلام أي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل أو في القتال ربيون الخ وقوله تعالى

﴿فما وهنوا﴾ عطف عل قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله أي فما فتروا وما انكسرت همتهم

﴿لما أصابهم﴾ في أثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعلته قوله تعالى

﴿فى سبيل الله﴾ فإن كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة أو موصوفة فإن جعل الضميران لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية." (١)

"إن الذين يبايعونك على الجهاد، بيعة الرضوان إنما يبايعون الله لأنه خليفة عنه، فعقد البيعة معه صلى الله عليه وسلم كعقدها مع الله من غير تفاوت بينهما، كقوله: من يطع الرسول فقد أطاع الله «١» ثم أكد ذلك بقوله: يد الله فوق أيديهم يعني: أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله، من باب مبالغة التشبيه، فمن نكث نقض البيعة، ولم يف بها فإنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه، قال جابر رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت، وعلى ألا نفر، فما نكث أحد منا البيعة، إلا جد بن قيس المنافق، اختبأ تحت إبط بعيره،

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٩٥/٢

ولم يسر مع القوم «٢» . ومن أوفى بما عاهد عليه الله، يقال: وفيت بالعهد وأوفيت. وقرأ حفص بضم الهاء من «عليه» توسلا لتفخيم لام الجلالة، وقيل: هو الأصل، وإنما كسر لمناسبة الياء. أي: ومن وفى بعهده بالبيعة فسيؤتيه أجرا عظيما

الجنة وما فيها.

الإشارة: لكل جيل من الناس يبعث الله من يذكرهم، ويدعوهم إلى الله، بمعرفته، أو بإقامة دينه، ليدوم الإيمان بالله ورسوله، ويحصل النصر والتعظيم للدين إلى يوم الدين، ولولا هؤلاء الخلفاء لضاع الدين. وقوله تعالى: إن الذين يبايعونك الآية، قال الورتجبي: ثم صرح بأنه عليه السلام مرآة لظهور ذاته وصفاته، وهو مقام الاتصاف بأنوار الذات والصفات في نور الفعل، فصار هو هو، إذ غاب الفعل في الصفة، وغابت الصفة في الذات.

فقال: إن الذين يبايعونك ... الآية. وإلى ذلك يشير الحلاج وغيره. وقال في القوت: هذه أمدح آية في كتاب الله عز وجل، وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه جعله في اللفظ بدلا عنه، وفى الحكم مقامه، ولم يدخل فيه **كاف التشبيه**، فيقول: كأنما، ولا لام الملك، فيقول: لله، وليس هذا من الربوبية للخلق سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم. هـ.

وقال الحسن بن منصور الحلاج: لم يظهر الحق تعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسمه وأشرفه، فقال: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. هـ.

قال القشيري: وفي هذه الآية تصريح بعين الجمع، كما قال: وما رميت إذ رميت «٣» وقال في مختصره: يشير إلى كمال فنائه وجوده عليه السلام في الله وبقائه بالله. هـ. فالآية تشير إلى مقام الجمع، المنبه عليه في الحديث:

«فإذا أحببته كنت سمعه، وبصره، ويده» «٤» وسائر قواه، الذي هو سر الخلافة والبقاء بالله، وهذا الأمر حاصل

---

(١) من الآية ٨٠ من سورة النساء.

(٢) أخرجه مسلم فى (الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم ١٨٥٦، ح ٦٨، ٦٩) .

(٣) من الآية ١٧ من سورة الأنفال.

(٤) سبق تخريج الحديث.." [1]

"مسألة

اعلم أن كأين فيها لغات عديدة أفصحها الاثنتان اللتان ذكرناهما، وكأين بفتح الهمزة والياء المكسورة المشددة أكثر في كلام العرب، وهي قراءة الجمهور كما بينا، وكائن بالألف والهمزة المكسورة أكثر في شعر العرب، ولم يقرأ بها من السبعة غير ابن كثير كما بينا، ومعنى كأين: كمعنى كم الخبرية، فهي تدل على الإخبار بعدد كثير ومميزها له حالتان:

الأولى: أن يجر بمن وهي لغة القرآن كقوله: وكأين من قرية [٦٥ \ ٨] وقوله وكأين من نبي الآية [٣ \ ١٤٦] وكأين من آية في السماوات والأرض الآية [١٢ \ ١٠٥] ، ونظير ذلك من كلام العرب في جر مميز كأين بمن قوله:

وكائن بالأباطح من صديق ... يراني لو أصيب هو المصابا

الحالة الثانية: أن ينصب ومنه قوله:

وكائن لنا فضلا عليكم ومنة ... قديما ولا تدرون ما من منعم

وقول الآخر:

اطرد اليأس بالرجاء فكائن ... آلما حم يسره بعد عسر

قال في الخلاصة:

ككم كأين وكذا وينتصب ... تمييز ذين أو به صل من تصب

أما الاستفهام بكأين فهو نادر ولم يثبته إلا ابن مالك، وابن قتيبة، وابن عصفور، واستدل له ابن مالك بما روي عن أبي بن كعب أنه قال لابن مسعود: كأين تقرأ سورة الأحزاب آية فقال: ثلاثا وسبعين اهـ.

واختلف في كأين هل هي بسيطة أو مركبة وعلى أنها مركبة فهي مركبة من **كاف التشبيه**، وأي المنونة، قال بعضهم: ولأجل تركيبها جاز الوقف عليها بالنون في قراءة الجمهور ؛ لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية، ولهذا رسم في المصحف نونا وقراءة أبي عمرو بالوقف على الياء لأجل اعتبار حكم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٨٩/٥

التنوين في الأصل، وهو حذفه في الوقف.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: الأظهر عندي أن كأين بسيطة، وأنها كلمة." [١]

"(٢٥٩٠٦) – عن عكرمة مولى ابن عباس – من طريق عطاء الخرساني – في قوله: (ونقلب أفئدتهم) الآية، قال: جاءهم محمد – صلى الله عليه وسلم – بالبينات فلم يؤمنوا به، فقلبنا أبصارهم وأفئدتهم، ولو جاءتهم كل آية مثل ذلك لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله أخرجه ابن أبي حاتم (٤) / (١٣٦٩) – .

(٢٥٩٠٧) – قال مقاتل بن سليمان: (ونقلب أفئدتهم) يعني: قلوبهم، (وأبصارهم) عن الإيمان، (كما لم يؤمنوا به أول مرة) يقول: كما لم يؤمن بها أوائلهم من الأمم الخالية بما سألوا من الآيات قبلها، فكذلك كفار أهل مكة لا يصدقون بها إن جاءتهم آية تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٥٨٤) – ذكر ابن عطية ((٣) / (٤٤٢) بتصرف) ثلاث احتمالات لعود الضمير في (به): الأول: «أن يعود على الله» – الثاني: «أن يعود على القرآن» – الثالث: «أن يعود على النبي – صلى الله عليه وسلم –» – .

(٢٥٩٠٨) – عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – من طريق ابن وهب – في قوله: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم)، قال: نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أول مرة – وقرأ: (كما لم يؤمنوا به أول مرة) أخرجه ابن جرير (٩) / (٤٩٠)، وابن أبي حاتم (٤) / (١٣٦٩) من طريق أصبغ بن الفرج – اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) على أقوال: الأول: لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ما آمنوا، كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة؛ لأن الله حال بينهم وبين ذلك – وهو قول ابن عباس من طريق العوفي، ومجاهد، وابن زيد – الثاني: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا، فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك فلم يؤمنوا في الدنيا – قالوا: وذلك نظير قوله: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) [الأنعام: (٢٨)] – وهو قول ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة – الثالث: جاءهم محمد – صلى الله عليه وسلم – بالبينات فلم يؤمنوا به، فقلبنا أبصارهم وأفئدتهم ولو جاءتهم كل آية مثل ذلك لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله – وهو قول عكرمة – ووجه ابن عطية ((٣) / (٤٤١)) القول الأول بقوله: «ومعنى الآية: أن هؤلاء الذين أقسموا أنهم يؤمنون إن جاءت آية نحن نقلب أفئدتهم وأبصارهم أن لو جاءت فلا يؤمنون بها كما لو يؤمنوا أول مرة بما دعوا إليه من عبادة الله، فأخبر الله تعالى على هذا التأويل بصورة فعله بهم» – وعلق ابن القيم ((١) / (٣٦٣)) على القول الثالث بقوله: «وهذا معنى حسن، فإن **كاف التشبيه** تتضمن نوعا من التعليل، كقوله: (وأحسن كما أحسن الله إليك) [القصص: (٧٧)]، وقوله: (كما أرسلنا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٧٢/٥

فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم) [البقرة: (١٥١) - (١٥٢)]، والذي حسن اجتماع التعليل والتشبيه الإعلام بأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر» - ورجح ابن جرير ((٩) / (٤٩١)) مستندا إلى لغة العرب أن المعنى: ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرة قبل ذلك - وذلك هو القول الأول، ثم قال: «إن الله - جل ثناؤه - أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم: لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، أنه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرفها كيف شاء، وأن ذلك بيده، يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد، وأن قوله: (كما لم يؤمنوا به أول مرة) دليل على محذوف من الكلام، وأن قوله: (كما) تشبيه ما بعده بشيء قبله - وإذا كان ذلك تأويله كانت الهاء من قوله: (كما لم يؤمنوا به) كناية ذكر التقليب» - وزاد ابن عطية نقلا عن فرقة أن المعنى: «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم في النار وفي لهيبها في الآخرة لما لم يؤمنوا في الدنيا، ثم استأنف على هذا: (ونذرهم) في الدنيا (في طغيانهم يعمهون)» - .
(ونذرهم في طغيانهم)
" (١).

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٤/٣٩